

نظر فيه من فضل خالقه وباريه
العبد الفقير المعترف بالذنب
[illegible] انيس ابن السيد [illegible]
والله [illegible] غفر الله له ولمن
الواح

1

تملكه العبد الفقير العاجز
المذنب ... محمد سعيد ...



٢

هذه رحلة السيد ابو عبد الله
الشهير بالطيب نور الله
ضريحه وفتح علينا ببركاته
والمسلمين اجمعين
والحمد لله رب
العالمين
امين

بملك العبد المذنب الفقير الفاني
عبده محمد عبد القادر بن المرحوم
كبير عبد الله افندي بن مولانا
المرحوم كبير محمد حسن افندي
الاسطنبولي بالبر الشرقي
من الشيخ احمد عمر ... في
ذي الحجة ... والحمد
لله على كل حال
امين

تملكه العبد الفقير مصطفى
نجل عبد الله بك الشاهدي
ولد اسعد بك

ومن كتب الفقير الحقير
محمد حسن القويسني
من الداوالبة
الشرجي
١٤٢٧



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

ان ازهى وازهر زهر تجلت به ابات الكتب والرسايل وابهى وابهر درر تجلت به لبات الخطب والوسايل حمد من جعل الكعبة البيت الحرام قياما لكل قاصد وسايل ومجمعا لا بحر الخيرات فهي ما بين فايض جوالبها وسايل وان اجدى واجد بها تزينت بحليه الطروس والمهارق وتوجت باكليله منها الروس والمفارق شكر من قال لابرهيم واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من قصى المغارب والمشارق الملبى دعوة الساعين الى حرمه المفيض على الطايفين ببابه بحر كرمه

فالحمد لله حمدا لا نفاد له   ما طاف بالبيت من قد حج او زارا
وما محا الله ذنب الطائفين وما   حط الاله عن الساعين اوزارا

والحمد لله الذي جعل البيت مثابة للناس وامنا وصيره مناطا لجميع الخيرات وضمنا

فمن جاء مشتاقا اليه اخا وجد   وخلف ما خلى من الاهل والوجد
وقاسى مشقات الطريق ولم يزل   يسايرها ما بين غور الى نجد
ووافى الى ذلك المقام الذي غدا   جماع جميع الخير والفخر والمجد
يقال له اهلا وسهلا ومرحبا   باشرف وفد مرحبا بك من وفد
امنت الذي تخشى وفزت بما تشا   وفوق الذي املته حزت من رفد
واخلف ما انفقته متضاعفا   وفلسك امسى الف الف بلا كد
وان شوكة شاكتك في طرقاته   فلا تشك نلت الخلد في جنة الخلد
فتلك جزاء للذي بر حجه   وساعده من ربه طالع السعد

والحمد لله الذي جعل الحجاج في كفالته وضمانه والبسهم في حالتي الذهاب والاياب جلابيب حفظه وامانه فلا يصيبهم ظما ولا مخمصة ولا نصب ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا ولا يعتريهم وصب

الا اثابهم بما لا يخطر   في خاطر كلا وما لا يبصر
وجزاهم في هذه الدنيا بما   شاوا من الخير الذي لا يحصر

واباهم

واباحهم بحبوحة الفردوس في   يوم القيمة سارعوا او قصروا

فلذلك كان السلف الصالح يتوقعون في مثل هذه الطريق نزول الشدايد ويعدونها من اغنى الذخاير واغنم الفوائد واربح التجاير وانجح العوايد واعلى الجواهر واغلى الفرايد

وان سلموا من افة في طريقهم   يعدون هاتيك السلامة ماتما
وان ازمة ازمتهم طربوا لها   وامست لهم عرسا عظيما وماتما

فلا غرو ان اعزم العارفون بحمد من اعزى سهام المصايب بنحور الاسفار وجعل في ضمنها من عجيب الغرايب وغريب العجايب ما لا تحتمله الدفاتر ولا تسعه الاسفار

ففيها علامات القبول لانها   تشير لاقبال المليك على العبد
وترشد ان العبد مهما اصابه   بنائبة مولاه قربه من بعد

ولا بدع ان ثني المصنون عنان الاعتنا للمدح والشكر والثنا على من اقتضت حكمته ان اختص الحجاز منها باوفر نصيب وجعل سهمه هو السهم المصيب فهو يغدو على الاجسام تارة وعلى الاموال طورا وقد يجمع بين الامرين اخرى وما ذاك الا ليعظم سبحانه لعباده المومنين الاجر ويجزل لهم الثواب ويضاعف اعمالهم ويبلغ امالهم بذهاب الذهب وسلب الاثواب

فيا فوز المصاب من الاله   بداهية دهته عن الملاهي
لقد امسى مصيبا كل خير   وبالولدان في الفردوس لاهي

فسبحان مولانا من حكيم لم تخل احكامه وقضاياه عن حكم بالغه ومن لطيف لم يبتل عبدا في الظاهر الا وقد جعل بلاياه في الباطن نعمة سابغه

فكم من نعمة في طي نقمه   وكم من نقمة في طي نعمه
وكم من شدة صارت رخاء   واعقب ضيقها فرجا ورحمه

ارشادا بان العبد عاجز عن جلب المنفعه ودرء المضره واعلاما بانه لا يميز طرق المسرة من سبل المسره

واني له علم بذاك وقد غدا   لغفلته العظمى جهولا بنفسه

ومن اين يدري غيه من رشاده   غدا وهو ساه عن تصاريف امسه

نحمده جل اسمه على ان سهل علينا الطريق في هذه السنه وجمع لنا في الحجاز بين الرخا المفرط والاهوية الحسنه

واما ما سواه من الجريد   وبرقة ربة الخصب المديد
فلا تسال عن الخيرات فيها   ولكن قل الا هل من مزيد
بحر دمن لبوس البوس كل   وابرق بارق الزمن السعيد

ونشكره تعالى على ان ابتلانا ببلايا عرفنا انها نعمه اذ لا يصاب الا المومن كما صرح به اكابر الائمه وصحت به احاديث سيد الامه ففي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال ليس بمومن مستكمل الايمان من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة قالوا كيف يا رسول الله قال لان البلاء لا يتبعه الا الرخاء وكذلك الرخاء لا يتبعه الا البلاء والمصيبة خرجه الطبراني وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه ويحسن في هذا المقام انشاد قول ابي تمام

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت   ويبتلي الله بعض الناس بالنعم

ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الجبار القادر القهار الفاعل على حسب المشيئة والاختيار لا يسئل عما يفعل والعبد مسئول عن الحركة والسكون والنطق والسكوت والايراد والاصدار

وكيف يكون مجبورا عليه   وقد خلق الخلايق والافعال
فكل ملكه من غير حجر   تعالى الله عن حجر تعالى

ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وخليله ومصطفاه ومختاره وسفيره ودليله اشرف رسول حمل المشقات فكان يصبر عليها وافضل نبي كلف ابعد الشقات فلم يكن يصبوا الا اليها ترغيبا منه صلى الله عليه وسلم في جزيل الاجور وتعليما لهذه الامة الشريفة بما ذا تنال عوالي الامور ليقتفوا في ذلك اثره ويتحلوا بامثال هذه الماثره

فليقتفه الاثار من رام العلا   وليستتم اثار احمد طه
وليغتنم طاعاته تبعا فمن   يطع الرسول فقد اطاع الله

صلى الله وسلم عليه وعلى اله واصحابه الذين تخلقوا باخلاقه وتادبوا

باداب

باداب صلاة وتسليما لا ينحصر لهما عدد ولا ينقطع لهما امد

فمن صلى على المختار عشرا   عليه الله صلى الف مره
وحرمه على النيران ربي   وكان لعينه في الخلد قره

اما بعد حمدا لله الذي شرف بيته الحرام واكرمنا بالرحلة اليه اي اكرام وجعلها من القربات العظام والطاعات الجسام والصلاة والسلام على مولانا محمد المصطفى الذي نسب من حج ولم يزره الى القطيعة والجفا

واية قربة اعلا واغلا   من الترحال للبيت الحرام
واية زورة تمحو الخطايا   كزورة احمد خير الانام

فانه لما كان الحج من القواعد التي بني عليها الاسلام والقربات التي ورد في فضلها والترغيب فيها احاديث جمة عنه عليه الصلاة والسلام كما تلم بالاشارة الى ذلك بعض الايمة ارجو فان تفوز ببعض ما اعد الله لزواره من فيض فضله وكرمه

ونظفر في ام القرى بمنى القرا   ونمسي القرا اخفا من النعل والوزر
وعند ضريح المصطفى نجد الوفا   بماء الصفا يشفي من الاثم والوزر

فامن الله سبحانه علينا بكمال هذه الاراده حتى فزنا في تلك الاماكن المشرفة بما امرنا به من العباده وتقلب القلب والقالب فيما رامه من ذلك واراده

وبالكعبة الغراء عن كل كاعب   تسلى فلا يصبو الى غيد لاعب
وفي روضة المختار اصبح هائما   يروح ويغدو بين تلك الملاعب

وكنا جمعنا في طريقنا نبذة تحتوي على ما سلكناه من المراحل وتعدد ما نزلناه من المنازل وتشتمل على ذكر من لقيناه او تكلمنا معه في نازلة من النوازل وفي ضمن ذلك ابيات كان يقتضيها الحال وقصايد شرفناها بذكر تلك المحال وفوائد مهمة يعتني بها ذو الهمة فاستولت على ذلك كله يد الضياع وسرقها سارق مع ما كان لدينا من كتب ومتاع فلم يسعنا الا الصبر الجميل لرغبتنا فيما اعد للصابرين على المصيبة من الثواب الجزيل وعلمنا بان ذلك قضاء من رب الارباب وحكم من الحكم العدل المنزه عن الحجاب والباب فلم نبال والحمد لله بشيء مما ذهب

ولم نلتفت بقوة الله لفضة ولا ذهب

وكيف ابالي او احدث بالي ... بفان من الاعراض خلق بال
وهب انه في الحال يصلح بالي ... اما هو في يوم المعاد وبال
على ان مولانا الكريم بفضله ... هو المصلح الاحوال دون نبال
فكن واثقا بالله جل ولا تمل ... الى المال تحظى عن رشيد نبال

لكن حصل لنا اسف شديد على تلك الرحلة التي ليس لها في صنعها فريد مع اشتمالها على تلك القصايد الفايقه التي انشدها في الكعبة المنورة والروضة المشرفة الرايقه

فياليته لو رد منها قصيدة ... وسامحته في المال اجمع والكتب

وحيث القينا عصا التسيار واستقرت بنا من الحجاز في مصر الديار طلب منا بعض من يجب علينا اسعافه وموافقته وكيف تصح مخالفته وقد ثبتت خلته ومرافقته ان نستنجم القريحة الجامده ونسترجع الفكرة الخامده لعلها ان تنال في بعض ما تلاشى من تلك الرحلة البديعه وتقصد من كل مقصد عجيبه وبديعه فاعتذرت فابى ان يقبل الاعتذار ثم اجبته بعد الاستخارة على ما بي من الاعذار مستعينا بقوة من له القوة والحول مستمدا من فضل مالك الفضل والطول ورايت ان اقدم مقدمات جامعه لنجعلها تذكرة لكل حاج ويتبعها منه اذن سامعه **المقدمة الاولى** فيما ورد من الايات الصريحه والاثار الصحيحه في فضل الحج والعمره وما اعد الله للحجاج والعمار مما لا ينال غيرهما وان افضل انواع الطاعات عمره قد ذكر الله تعالى في كتابه الحكيم بيته الشريف المعظم وقلد لبته من ابلغ المدح واسبغ الحمد كل علق نفيس وعقد منظم وامر عباده ان يحجوه بقصد العباده وجعله مثابة وامنا للقاصد ونصب لكل مرتفع الى انجاده ومنخفض الى اغواره جزما اسنى مقاصد فقال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقال جل من قايل واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين

من

من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات وقال عز اسمه الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وقال جلت قدرته جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد وقال سبحانه انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وقال عز وجل فليعبدوا رب هذا البيت وقال فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا وقال واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقال قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها وقال فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين وقال ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وقال واذ بوانا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطائفين والقائمين وقال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وخرج الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الاعمال افضل قال ايمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور وفي مسند احمد وسنن ابن ماجه عن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحج جهاد كل ضعيف وخرج البيهقي والنسائي وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا جهاد الكبير والصغير والضعيف والمراة الحج والعمرة وخرج البخاري والنسائي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل افلا نجاهد قال لكن افضل الجهاد وفي رواية احسن الجهاد واجمله حج مبرور قالت عائشة فلم ادع الحج بعد ان سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات وغزوة لمن حج خير من عشر حجج وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن اجاز البحر فكانما جاز الاودية كلها والمايد فيه كالمتشحط في دمه وخرج البزار برواة ثقات

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجة افضل من
اربعين غزوة وغزوة خير من اربعين حجة وحجة الاسلام خير من
اربعين غزوة وخرج النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه
عن ابي هريرة واسحق عن جابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد
الله ثلاثة الغازي والحاج والمعتمر وخرج ابن ماجه عن ابي هريرة
وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج
الى بيت الله والعمار وفد الله عز وجل ان دعوه اجابهم وان استغفروه
غفر لهم وفي رواية دعاهم فاجابوه وسالوه فاعطاهم وخرج البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة
ورواه الاصبهاني وزاد وما سبح الحاج من تسبيحة ولا هلل من
تهليلة ولا كبر من تكبيرة الا بشر بها تبشيرة وخرج احمد بن منيع
واللفظ له وابن ابي شيبة وابو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من يده ولسانه
غفر له من ذنبه ما تقدم وما تاخر وخرج البيهقي وابن حبان في صحيحه
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما ترفع ابل الحاج رجلا ولا تضع يدا الا كتب الله له بها حسنة او محا
عنه سيئة او رفع له درجة وخرج الحرث بن ابي اسامة والطبراني
في الاوسط والازرقي في تاريخ مكة عن جابر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج
يؤم هذا البيت من حاج او معتمر او زائر كان مضمونا على الله عز وجل
ان قبضه ان يدخله الجنة وان رده رده بغنيمة واجر وخرج الطبراني
في الاوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ام في هذا الوجه بحج او عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة
وخرج ابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من خرج حاجا فمات كتب الله له اجر الحاج الى يوم
القيمة ومن خرج معتمرا فمات كتب له اجر المعتمر الى يوم القيمة ومن خرج

غازيا

غازيا في سبيل الله فمات كتب له اجر الغازي الى يوم القيمة وقال الله
تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع اجره على الله وفي الجامع والكنز والمنتخب من خرج حاجا
او معتمرا او غازيا ثم مات في طريقه كتب الله له اجر الغازي والمعتمر
والحاج الى يوم القيمة وخرج الامام احمد والترمذي والنسائي وابن
خزيمة وابن حبان عن عبد الله وقال الترمذي حسن صحيح غريب من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين
الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد
والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة زاد الترمذي
وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وخرج الامام
احمد والحرث بن ابي اسامة وابو بكر بن ابي شيبة عن عامر بن ربيعة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فان متابعة
بينهما تزيد في العمر والرزق وينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث
الحديد وخرج البيهقي عن الشافعي انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حجوا تستغنوا وسافروا تصحوا وتناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم
الامم حتى السقط وخرج الطبراني في الاوسط والبزار برجال
الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امعر
حاج قط قيل لجابر ما الامعار قال ما افتقر وفي الجامع الصغير للسيوطي
والكنز ومنتخب الكنز حج ثلاث وعمر نسقا يدفعن ميتة السوء وعيلة الفقر
وعن ابن عباس عن ابي امامة الحاج في ضمان الله مقبلا ومدبرا وفي الجامع
والكنز والمنتخب ايضا عن انس رضي الله عنه الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم
ما سالوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما انفقوا الدرهم الف الف
وخرج البزار عن ابي موسى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاج يشفع
في اربعمائة من اهل بيته ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وخرج الامام
احمد وابو داود وابو بكر بن ابي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد الحج فليتعجل وفي رواية لاحمد تعجلوا الحج
يعني الفريضة فان احدكم لا يدري ما يعرض له وخرج الدارقطني عن ابي

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا
قيل وما شان الحج يا رسول الله قال تقعد اعرابها على اذنابها ودينها فلا
يصل الى الحج احد وخرج ابو يعلى باسناد رجاله على شرط مسلم الا انه منقطع
وابن خزيمة والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان للحاج الراكب بكل خطوة يخطوها سبعمائة
حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال الحسنة
بمائة الف وخرج الجلال السيوطي في الجامع وصاحب الكنز والمنتخب انه صلى
الله عليه وسلم قال ان الملائكة لتصافح ركاب الحجاج وتعتنق المشاة وفيها
انه صلى الله عليه وسلم قال ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته
سبعين حسنة وللماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم
النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف وقال صلى الله عليه وسلم
الا ادلك على جهاد لا شوكة فيه حج البيت وقال عليه الصلاة والسلام
خير ما يموت عليه العبد ان يكون قافلا من حج او مفطرا من رمضان وقال
صلى الله عليه وسلم كثرة الحج والعمرة تمنع العيلة وقال صلى الله عليه وسلم من
اضحى يوما محرما ملبيا حتى غربت الشمس غربت بذنوبه وقال صلى الله عليه وسلم
ما اهل مهل قط الا آبت الشمس بذنوبه وقال صلى الله عليه وسلم ما اهل
مهل قط ولا كبر مكبر قط الا بشر بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم
يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من
ههنا وههنا وقال صلى الله عليه وسلم من مات محرما حشر ملبيا وقال صلى الله عليه وسلم
الحجاج والعمار وفد الله ان سالوا اعطوا وان دعوا اجابهم وان انفقوا
اخلف لهم والذي نفس ابي القاسم بيده ما كبر مكبر على نشز ولا اهل مهل على
شرف من الاشراف الا اهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به مقطع التراب
وقال صلى الله عليه وسلم حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن وقال
صلى الله عليه وسلم من حج وعليه دين قضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم من حج
هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه واختار
القرطبي وابن بزيزة وغيرهما ان ذلك يتضمن الكبائر والصغائر وقال
صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة

قا

قال المازري اي لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه ولا بد ان
يبلغ به ادخاله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اراد دنيا واخرة فليؤم
هذا البيت ما اتاه يسال الله دنيا الا اعطاه منها ولا اخرة الا ادخر له منها
وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه انه عليه السلام قال له
اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها
وان الحج يهدم ما كان قبله وحكى عياض في الشفا عن ابي سعد وبن الخولاني
ان قوما اتوه فاعلموه ان كامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار فلم تعمل فيه
وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجات فقالوا نعم فقال نعم حدثت
ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج
حرم الله شعره وبشره على النار **تنبيه** قال صاحب المطالع وغيره
الحج المبرور هو الخالص الذي لا يخالطه ماثم واصله من البر وهو اسم جامع
للخير ومنه بررت فلانا اي وصلته وكل عمل صالح بر ويقال بر الله حجه وابره
وقيل المتقبل وعليه درج مالك بن المرحل في نظم الفصيح فقال وبر ذاك
الحج اي تقبلا قالوا ومن علامات القبول ان يرجع خيرا مما كان ولا يعاود
المعاصي وقيل الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق وقيل الذي
لا معصية بعده وقال الحسن البصري الحج المبرور ان يرجع زاهدا في الدنيا
راغبا في الاخرة وقال ابو الشعثاء نظرت في اعمال البر فاذا الصلاة
تجهد البدن والصوم كذلك والصدقة تجهد المال والحج يجهدهما فرايته افضل
ووافقه على ذلك جماعة من العلماء **المقدمة الثانية** في فضل
زيارة النبي المصطفى وما اعد الله من القرب والاصطفا لعباده الذين
اختارهم لزيارة رسوله واصطفى روى الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي
وغيرهما من طريق موسى بن هلال عن عبيد الله العمري مصغرا كما صوبه الحافظ
يحيى بن علي القرشي كما نقله السيد السمهودي عن نافع عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي قال السيد السمهودي
ومعنى وجبت انها ثابتة لا بد منها بالوعد الصدق وقوله له اي يخص
بشفاعة ليست لغيره او يفرد بشفاعة لا تحصل لغيره تشريفا له او ان
دخوله في الشفاعة لا بد منه فهو بشرى بموته مسلما فلا يضمر فيه شرط الوفاة

على الاسلام بخلافه على الاولى وقوله شفاعتي اى انه يشفع فيه هو بنفسه
والشفاعة تعظم بعظم الشافع وروى البزار من طريق عبد الله بن ابرهيم
الغفاري حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من زار قبري حلت له شفاعتي قال السيد السمهودي وهذا هو الاول
وهذا عزاه عبد الحق للدارقطني ايضا الا ان في الاول وجبت له وفي هذا
حلت والقصد تقوية الاول به وروى الطبراني في الكبير والاوسط
والدارقطني في اماليه وابو بكر بن المقرى في معجمه من طريق مسلمة بن سالم
الجهني حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر مرفوعا من جاءني
زائرا لا يهمه حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له شفيعا يوم القيمة
وفي معجم ابن المقري بالسند المذكور عن نافع وسالم عن ابن عمر مرفوعا من جاءني
زائرا كان له حقا على الله عز وجل ان اكون له شفيعا يوم القيمة واورد
الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محذوف الاسانيد ومقتضى ما شرطه في خطبته ان يكون مما اجمع على
صحته قاله السيد السمهودي وروى الطبراني والدارقطني وغيرهما عن
ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني
بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات في احد الحرمين بعث من الامنين
يوم القيمة وروى ابو داود بسند صحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد عليه السلام وفي مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا من حج الى
مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان وعن العتبي واسمه
محمد بن عبيد الله بن عمرو ادرك ابن عيينة وروى عنه قال دخلت
المدينة فاتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء اعرابي
فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الاية وقد جئتك مستغفرا من ذنبي
مستشفعا بك الى ربي ثم بكى وانشا يقول

يا خير من دفنت في القاع اعظمه … فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه … فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال

قال ثم انصرف فغلبتني عيناي فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال
يا عتبي الحق الاعرابي فبشره بان الله تعالى قد غفر له بشفاعتي قال فاستيقظت
فخرجت اطلبه فلم اجده وحكى السيد السمهودي رحمه الله في تاريخه وفي الوفا
واوما له في خلاصة الوفا قال الحافظ ابو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان
في كتابه مصباح الظلام ان الحافظ ابا سعيد السمعاني ذكر فيما رويناه
عنه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قدم علينا اعرابي بعد ما دفنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلثة ايام فرمى نفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وحثا من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت
عن الله سبحانه ووعينا عنك وكان مما انزل عليك ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا
رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر انه قد غفر لك
وروى الطبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف ان رجلا كان يختلف الى
عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته
فلقي ابن حنيف فشكا اليه ذلك فقال له ابن حنيف ايت الميضاة فتوضا ثم
ايت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك فتقضي حاجتي
فانطلق الرجل فصنع ما قال ثم اتى باب عثمان فجاءه البواب حتى اخذ بيده
فادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فذكر حاجته
وقضاها له ثم قال ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة وقال ما كانت لك
من حاجة فاذكرها ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك
الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت الي حتى كلمته في فقال ابن حنيف
والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه ضرير فشكا اليه
ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم او تصبر فقال يا رسول الله ليس
لي قائد وقد شق علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ايت الميضاء فتوضا ثم صل
ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال ابو حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا
الحديث حتى دخل علينا الرجل كانه لم يكن به ضر قط رواه البيهقي من طريقين
بنحوه ورواه النسائي والترمذي في الدعوات من جامعه عن عثمان بن

حنيف ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي ان
يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال
فادعه فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسئلك
واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني توجهت بك الى
ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه في فقام وقد ابصر وفي رواية ففعل
الرجل فبرا قلت هذا الاثر المروي عن ابن حنيف اورده السيد السمهودي
في الوفا وخلاصة الوفا في ابواب فضل الزيارة وتوسل الزائر به صلى الله عليه
وسلم وتابعه على ذلك جماعات وصوبوه مستدلين به بخصوص الزيارة
والظاهر ان هذا الاثر فيه دلالة قوية لاجابة الداعي المتشفع بالنبي
صلى الله عليه وسلم في تلك الكلمات التي علمها صلى الله عليه وسلم للضرير بعد الطهارة
وصلاة ركعتين اينما كان وليس فيه تقييد بكونه زائرا اذ لم يكن وقتئذ
هناك قبر ولا غيره بل كان النبي صلى الله عليه وسلم قائما بين اظهرهم وعلم
ذلك الضرير كيف يسال الله تعالى فمن فعل ذلك اقتداء وامتثالا وانقيادا
لامره عليه السلام بنية خالصة فان الله يقبل دعاءه ويستجيب سواله
اينما كان كما هو شان الادعية النبوية على الكيفيات المطلوبة الماثور
بها عنه عليه السلام فانه كان يامر الصحابة بالادعية والصلوات
وغيرها من انواع الطاعات في ذلك المسجد ولا يكون ذلك خاصا بحيث
يقتصر عليه في تلك الامكنة فقط بل يعملون به ويامرون به غيرهم على
جهة العموم في اي مكان كان الا ان يقال ان ابن حنيف فهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ذلك مما يختص به المسجد النبوي او نحو ذلك فيكون مما
يعد في فضل المسجد النبوي ومزيته على غيره ولا مدخل للزيارة اذ ذاك الا
بحسب اللزوم فقط لكن الانسب بساحة التشفع به صلى الله عليه وسلم هو العموم
في اي مكان وفي اي زمان والله اعلم فليتامل وقال الامام ابو بكر بن
المقرئ كنت انا والطبراني وابو الشيخ في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنا على حالة فاثر فينا الجوع وواصلنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشا
حضرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الجوع وانصرفت
قال ابو بكر فنمت انا وابو الشيخ والطبراني جالس ينظر في شيء فحضر بالباب

علوي

علوي فدق ففتحنا له فاذا معه غلامان مع كل واحد منهما زنبيل فيه
شيء كثير فجلسنا واكلنا وظننا ان الباقي ياخذه الغلام فولى وترك عندنا
الباقي فلما فرغنا من الطعام قال العلوي يا قوم اشكوتم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فامرني ان احمل
بشيء اليكم والاثار الواردة في فضيلة هذه القرب الجسيمة والاخبار
الشاهدة بفوز من يشاهد هاتيك الاماكن الشريفة الوسيمة يعجز عن
استيفائها الاحصا ويكل دون كلها الاستقصا ولو تتبعناها
مبسوطة واستقريناها من عقال الاختصار منشوطة لم تكتب
بمصنف مستقل واوردنا هذا النزر القليل لننقع به الغليل ونشفي
من داء الكسل كل عليل وننشط المكسل ونهيج المقل والا فجميع ما ذكرناه
نقطة من بحار هاتيك الفضائل الزاخرة ودرة من عقودها الفاخرة
وقطرة من سحائبها الكفيلة باثمار اغصان الامال في الدنيا والاخرة
المقدمة الثالثة في السفر وفوائده وما قيل في موصولات
صلاته وعوائده اخبر العلما ولا سيما ائمة الحديث في القديم والحديث
على ان الارتحال غنيمة على كل حال والحركة بركة والسفر ظفر بشهادة
فلولا نفر وقد جمع العلماء في فوائد الاسفار اسفارا واسفروا عن وجوه
عوائدها اسفارا فلنقتبس بعض ذلك الاثر ولنقتصر على ما هو مويد لتلك
الفوائد بحكمة او اثر فنقول وعلى الله المعول ان للسفر فوائد ابداها
الصدر الاول منها ان الانسان اذا كان في بلد بين قوم لئام
ليس بينه وبينهم التئام لا يقدرونه قدره ولا يطلعون في افقهم
شمسه ولا بدره بل يجزمون نفعه ويخفضون نصبه ورفعه ويبنون
على الحذف قواعده ويجزون بالخلف مواعده فانه بالانصراف والرحيل
عن ذلك البلد المحيل يتمكن من عوامل التمكين مكانه وتتاسس على اس
التحصن اركانه وتذل للاخلة عزته وتعز الاذلة بزته وتعجر
معاطف سيادته بمطارف التعظيم والتبجيل ويطوف بكعبة مجادته
حجاج افادته وعمار وفادته باجادة التكريم جيلا بعد جيل فلا تتصرف
في الاسماء الا افعاله اينما كان ولا ينادى بالترفع الا علمه المفرد في كل



مكان ولا تنتج الا مقدماتُ علومه وفهومه ولا نتيجة الا فضائل منطوقه
ومفهومه فيتعوض عن نعت الظهور بذلك الخمول ويتأكد عطف الوجوه الى قبلة
بيته المأمول ويدل لما اشرنا اليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر
من مكة الى المدينة اعز الله امرته وابرز زهرته واكرم دينه فقد روى
ايمة الحديث والسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة شرفها الله تعالى
وهي احب البقاع اليه وهاجر الى طيبة فكان من امره ما ظهر للعيان وبهر
الاعيان وقصر دونه البيان ثم عاد اليها عليه الصلاة والسلام
وفتحها الله عليه وهو في عشرة الاف من الاسلام بعدما خرج منها هو
وابو بكر رضي الله عنه منفردين بسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فاينما وجدت الخير فاقم واتق الله
وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل للمومن ان يذل نفسه قالوا يا رسول الله وكيف يذل
نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق وقيل

وان صريح الحزم والراي لامرئ اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقال الطغرائي

رضى الذليل بخفض العيش مسكنة والعز عند رسيم الاينق الذلل

وقال بعض الاعراب

سأعمل نص العيش حتى يكفني عن المال يوما او عن الحدثان
فالموت خير من حياة يرى بها على المرء بالاقلال وسم هوان

وقال المتلمس

ان الهوان حمار الذل يألفه والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الذل يألفها الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد

وقال ابو الطيب

واطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود   وقال ايضا
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش اخف منه الحمام
وقال عش عزيزا او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

وقال التهامي

واذا الفتى الف الهوان فبينه ما الفرق بين الكلب والانسان
موت الذليل كعيشه وبه الفتى شلاء او مقطوعة سيان

ولاخر حاولت ان الفى الزمان بطبعه لولا الوفاء وشيمة لا تنقل
في الارض متسع لنفس حرة ان تنب منزلة دعاها منزل

ومنها ان الابدان تعتدل بالسفر وتظفر فيه بالصحة غاية الظفر
فلا تخشى تخليط اخلاطها ولا فساد مزاجها ولا تفتقر مشعشعة كيموسها
وقد صفت في نفوسها لمداوات صرفها بمزاجها عدل الاجسام اختلاف
الاهوية وفاز كل خلط بما عشقه من ذلك وهويه فهي تتقلب في نعمى
بلا بوس وتتسربل من ملاحف السماء باسنى لبوس ولاشتماله على هذا
الحظ الوافر من الصحة حض عليه النبي عليه الصلاة والسلام فقال سافروا
تصحوا كما رواه عنه مرفوعا جماعة من شيوخ الاسلام ومنها انه يحصل
له من المعارف والعلوم في غربته ما يعجز عن تحصيل عشره بين عشيرته
في تربته ولذلك كان السلف رضي الله عنهم يشترطون في العلم الرحلة
الى الحصن التحصيل الحصين ويتمسكون في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا العلم ولو في الصين ومنها انه اذا قضى له في سفره بالوفاة وقضى
نحبه في غربته وفات فانه يحكم له بالشهادة بما صححه ايمة الحديث من شهادة
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحبذا الشهادة فقد روى ابن ماجه
والدارقطني في سننهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه موت
الغريب شهادة وذكره الدارقطني من حديث ابن عمر وصححه ومنها انه
يقاس له من مولده الى منقطع اثره في الجنة فيكون ذلك وقاية له من النار
وجنة فقد روى النسائي وابن ماجه في سننهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما مات رجل بالمدينة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات
بغير مولده قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده
قيس له من مولده الى منقطع اثره في الجنة ومنها انه يكتب له ما يفوته
بسبب السفر من صالح الاعمال ويفوز من اجورها وان لم يعملها بغاية الامال
ففي صحيح البخاري عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا مرض العبد او سافر كتب له من الاجر ما كان يعمل صحيحا مقيما ومنها
ان دعوته مستجابه وكربته دائما منجابه فقد روى ائمة الصحيح عن ابى
هريرة يرفعه ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم
ودعوة الوالد ودعوة المسافر وقد جمعت جملة من فوايد الجولان فى الارض
والذهاب هذه الابيات المنسوبة عند جماعة من الفقها للقاضى عبد الوهاب

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا   وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة   وعلم واداب وصحبة ماجد
فان قيل فى الاسفار هم وغربة   وقطع الفيافى وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته   بدار هوان بين واش وحاسد

ونسبها صاحب الدرر الفرائد المنظمة للشافعى رضى الله عنه واند كل فائدة
بما اراها تماثله من الاحاديث والحكم او قريبة منه ونحن نشير لذلك غير
مقتصرين على ما هنالك فنقول اما الفائدة الاولى وهى انفراج الهموم
وانكشاف الغموم فلا يخفى ان الله تعالى اجرى العادة فى العباد ما بين
حاضر وباد بان الملازم لنوع واحد من الاطعمة او الاشربة او الامكنة
لا يزال يسام من اللزوم ويضجر منه ما امكنه ولا سيما ان همه هم او غمه
غم اهم فانه يشتد لشدة الملل التى جبلت عليه النفوس فى سائر الملل فاذا
انفصل عن تلك الحالة وتشاغل بغيرها انصرف الهم عنه وانبعثت
روحانيته لما يروم من نفعها وخيرها قال يحيى بن عدى ان الطبيعة
تمل الشى الواحد اذا دام عليها ولذلك اتخذت الوان الاطعمة والتزوج
باربع نسوة ورسم التنزه والتحول من مكان الى مكان والاستكثار من
الاخوان والجمع من الجد والهزل واما الفائدة الثانية وهى اكتساب
المعيشة التى لم تزل النفوس لا غنية لا غنا لها ثانية فلا يخفى ان
السفر من انجح اسبابها واصح ما يتمسك به من اسبابها فقد ورد عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال سافروا تصحوا وتغنموا وفى حديث اخر سافروا تصحوا
واغزوا تستغنوا وفى التوراة ابن ادم خلقتك من الحركة فتحرك وانا
معك وفى التوراة مكتوب ايضا احدث سفرا احدث لك رزقا وروى
ان الله تعالى لما خلق الارزاق امر الرياح فقسمتها فى الاقطار فمن الناس
من

من جعل رزقه فى مكان واحد ومنهم من جعل رزقه فى عشرة مواضع ومنهم
من جعله له فى مائة ومنهم من جعله له فى الف واكثر فكل واحد يطلبه رزقه
حيث كان حتى يستوفيه طوعا او كرها ومن الكلام النافع صعود
الاكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان قال الشاعر

دع الهوينا وانتصب واكتسب   واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل   فالطبع موجود مع الراحه

وقال رجل لمعروف الكرخى يا ابا محفوظ اتحرك لطلب الرزق ام اجلس
قال لا بل تحرك فانه اصلح لك فقال اتقول هذا قال ما انا قلته ولكن
الله عز وجل امر به قال لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا ولو شاء ان ينزله اليها من غير هز انزله وقال النابغة

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه   شكى الفقر او لام الصديق فاكثرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى   تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

وقال ابن عبد ربه هل يجوز فى عقل او تمييز فى وهم او يصح فى قياس
ان يحصل زرع بغير بذر او يجنى ثمر بغير غرس او يورى زند بغير قدح
او يثمر مال بغير طلب وقالت العرب من اجدب انتجع وقالوا الحركات
بركات وقيل لاعرابى اين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وقال البحترى

واذا الزمان كساك حلة معدم   فالبس له حلل النوى وتغرب

واما الفائدة الثالثة وهى تحصيل العلوم فانها من المقرر المعلوم
وقد كان السلف رضى الله عنهم يرحلون فى طلب الفائدة الواحدة ويقصدون
ابعد الافاق للاخذ عمن يرونه فريد الزمان وواحده ورحل جابر بن
عبد الله مسافة بعيدة فى طلب حديث واحد وفى قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
العلم ولو بالصين حجة لكل منصف وجاحد واما الفائدة الرابعة
وهى اكتساب الادب فانه فى السفر يتيسر لطالبه من كل جانب لان الانسان
يتادب باداب من يلقاه من الافاضل ويكتسب من اداب العلما والباب
العقلاء الذين لا يداوون قطرة كل شنشنة فضيلة وكل خلق فاضل ويتحلى
بفرائد فوائدهم ويعود عليه من صلاتهم وعوائدهم فيكمل لذلك اخلاقه
ويكمل حظه من التاديب والتهذيب وخلاقه واما الفائدة الخامسة

وهي صحبة الماجد فهي مما لا يكاد يجمع في القطر الواحد واحد فاذا
ضرب الانسان في اغوار الارض وبخودها كان السفر سببا في انتاج هذه
الفائدة ووجودها فيكتسب بذلك من المجد غايته وينصب لرفع الذكر
وخفض الشكر رايته هذا وكم في السفر من فوائد غير ما ذكر ومنافع وعجائب
لا يكاد يجحدها منكر اذ لا يطلع على منافع الارض الا من جال الطول
وجاب العرض واعظم فوايد واكرم عوايد ما يتحققه الانسان
من سعة قدرة الله الحاملة له على شكر مولاه فقد قالت الحكما ان الله تعالى
لم يجمع منافع الدنيا في ارض بل فرقها واحوج بعضها الى بعض وقيل
المسافر يجمع العجايب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار
مما تزيد علما بقدرة الله تعالى وحكمته وتدعوا الى شكر نعمته وقال الثعلبي
من فضايل السفر ان صاحبه يرى من عجايب الاقطار وبدايع الامصار
ومحاسن الاثار ما يزيده علما بقدرة الله تعالى ويدعو شكرا الى نعمه وقال
المامون لا شي الذ من السفر لانك تجد في كل يوم محلة لم تحلها وتعاشر قوما
لم تعاشرهم وقال عنترة السفر يشد الابدان وينشط الكسلان ويشهي
الطعام ففي هذه الحكم دون ما مر من الفوايد ما يعود من موصولها على
متاملها صلات وعوايد واعرضنا عن تتبع ذلك وبسطه لانه لطوله
يستدعي التاليف بل قد لا تفي التاليف باستيفاء حظه وقسطه ولنختم هذه
المقدمة بنبذة من الاشعار الواردة عمن له بالسفر اشعار المنبئة عن
فوايده المبينة لعوايده فمن ذلك قول ابي الغنايم محمد بن المعلم

سرطا لبا غاياتها اما ترى … فوق الثريا وترى تحت الثرى
لا تخلدن الى المقام فانما … سير الهلال قضى له ان يقمرا
لا تبك دارا فالفتى من ان عا … د معاعصاه وان دعاه دما جرى
اين الكناس من العرين واين غزلان الفلا في المجد من اسد الشرى
لو ينتج الوطن العلا ما سار عن … غمدان سيد حمير مستنصرا
ولو استتم تمكنه لمحمد ما دام … لم ينصب بيثرب منبرا
والليث لو وجد الفريسة رابضا … او ناهضا في خيسه ما اصحرا
لا عار في بيع النفوس على الردى … عندي اذا كان العلاء المشترا

حتى م

حتى م حظي في الوهاد وحظ اصحاب الدناءة في الشواهق والذرا

ما الجبن يحميني الحمام ولا ارى … الاقدام يجلب لي سوى ما قدرا
لا بد منها وثبة تسعى الظبا … فيها ويكسو الجو فيها عثيرا
اشكو الى الايام ما القى لها … وجها على تلاوينها مستبشرا
ما عندهن لم يبق وجها ابيضا … منهن ان لم يلق موتا احمرا

وقال ابو تمام

وطول مقام المرء في الحي مخلق … لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رايت الشمس زيدت محبة … من الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقال ابن قلاقس

سافر اذا حاولت قدرا … سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى … طيبا ويخبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النفيسة … بدلت بالبحر نحرا

وقال ايضا ان مقام المرء في بيته … مثل مقام الميت في لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى … فالسيف لا يقطع في غمده
والنار لا يحرق مشبوبها … الا اذا ما طار عن زنده

وقال ايضا والصغير الحقير يسمو به السير … فيعلو له الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى … انحط عنه في قيمة الدستفيل

ومثله قول ابي الفضل التميمي

دعني اسير في الارض ملتمسا … فضلة مال ان لم يفز زانا
فبيدق الرخ وهو ايسر ما في … الدست ان سار صار فرزانا

وقال اخر ليس ارتحالك ترتاد الغنا سفرا بل المقام على خسف هو السفر

وقال ابو الفرج

لم يجتبك العلا الى الغايات … ما غناء الاسود في الغابات
لا يرد الردى لزوم بيوت … لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدر جماة فاذا سا … فر حلى التيجان واللبات

وقيل ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وعقده ابن الساعاتي فقال

اهلك والليل مطيا جملك … ثم فخير البلاد ما حملك

لا خير في بقعة تروق من الارض … اذا لم تنل بها املك

وقال ابو الطيب … وكل امرئ يولي الجميل محبب … وكل مكان ينبت العز طيب

وقال ايضا … وما بلد الانسان غير الموافق … ولا اهله الادنون غير الاصادق

وقال ابو محمد الحريري

لا تبك الفا نائي ولا دارا … ودر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا … ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره … وداره فاللبيب من دارا
ولا تضع فرصة السرور فما … تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جايلة … وقد دارت على الورى دارا
واقسمت لا تزال قانصة … ما كر عصر الحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك … لم ينج منه كسرى ولا دارا

وقال ابن شرف

وصير الارض دارا والورى رجلا … حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وهو ماخوذ من قول بهاء الدين

شرق وغرب تجد من غادر بدلا … فالارض من تربة والناس من رجل

وقال ابو الطيب

اذا صديق نكرت جانبه … لم تعنني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب … وفي بلاد من اختها بدل

وقال ابو العرب الصقلي

اذا كان اصلي من تراب فكلها … بلادي وكل العالمين اقاربي

وقال اخر … تنقل فلذات الهوى في التنقل … ورد كل صفو لا تقف عند منهل
وان سار من تهوى فسر عن جنابه … ولا تسكبن دمعا على متر حل
ولا تتبع قول امرئ القيس انه … ضليل ومن ذا يهتدي بمضلل
ففي الارض احباب وفيها منازل … فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقال ابن الساعاتي

وكن غايبا عن كل ارض باختها … وان حل مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدر اصداف بحره … لا نكره تاج وصد جبين

وقال

وقال ابن قلاقس

ان كنت تبغي وطنا من العلا فاغترب … فالسمر في غاباتها معدودة في الحطب
والشمس لا ترتقب في المشرق لو لم تغرب

وقال اخر

والتبر كالترب ملقى في مواطنه … والعود في ارضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه … وان تغرب هذا سار في الذهب

وهو ماخوذ من قول الاخر

اضيع في معشري وكم بلد … يعد عود الكباء من حطبه

وقال حماد بن هبة الله

قالوا اراك كثير السير مجتهدا … في الارض تنزل طورا وترتحل
فقلت لو لم يكن في السير فائدة … ما كانت السبع في الابراج تنتقل

وقال ابو تمام

لا يمنعك خفض العيش تطلبه … نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها … اهلا باهل واوطانا باوطان

وقال الطغرائي

ان العلا حدثتني وهي صادقة … فيما تحدث ان العز في النقل
لو كان في شرف الماوى بلوغ منى … لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وقلت في ذلك سالكا بعض ما سلكوه من المسالك

سافر الى نيل المعزة ان في السفر الظفر … وانفر لنيل المجد فمن للمعالي قد نفر
واعلم بان المكث في الاوطان يدعو للضجر … ويورث الاخلاط والاجسام انواع الضرر
اوما رايت الماء طول المكث يعروه الكدر … والبدر لو لزم الاقامة في محل ما بدر
والدر لو ابقوه في قعر البحار لما افتخر … والتبر ترب في المعادن وهو فخر متجر
والعود معدود لدى الغابات من جنس الشجر … والعنبر المحمود لو لم يخرجوه لما بهر
هذا وكم مثل سرى في الناس من هذي العبر … ابدى البدائع منه من نظم القريض ومن نثر
عن وجهها في غالب الاسفار اسفر من سفر … فادام على الرحال في الاحوال اجمع ثم سر
واعلم بان البعد عن وطن به تم الوطر … واغرب تشرق واشرق في الغرب ان تك ذا نظر
واجعل جميع الناس اهلا لك واهل الثوى طرا وذر … لا تختارن بدوا ولا حضرا وكن مع ما حضر
فالبدو عز واللطافة والظرافة في الحضر … فاذا بدوت فكل عز ما دخ فيك استقر

وإذا حضرت فكل ظرف ظرفه لك مستقر   لا تبك الفا لا ولا دارا ولا سيما دثر
فالناس الفك كلهم والارض اجمعها مقر   فمتى وجدت العز والعيش الهني اقم تبر
واذا رايت الضد والصد الخفي فدع وذر   واجعل بضاعتك التقى مع من اسر ومن جهر
فاذا اتقيت الله فزت بكل كنز مدخر

تنبيهات الاول ما مر من الفوائد المشار اليها لا يخفى انها في مطلق السفر والارتحال فما بالك بالسفر لبيت الله ورسوله الكفيل بالفوز الاخروي والدنيوي على كل حال الثاني قول القاضي عياض

تقعد عن الاسفار ان كنت طالبا   نجاة ففي الاسفار سبع عوايق
تشوق اخوان وفقد احبة   واعظمها يا صاح سكنى الفنادق
وكثرة ايحاش وقلة مونس   وتبديد اموال وخيفة سارق
فان قيل في الاسفار كسب معيشة   وعلم واداب وصحبة وافق
فقل كان ذا دهرا تقادم عصره   واعقبه دهر شديد المضايق
فهذا مقالي والسلام كما بدا   وجرب ففي التجريب علم الحقايق

مردود بما اشرنا اليه فلا ينبغي ان يعول عليه الثالث قسم العلماء السفر الى هرب وطلب وكل منهما تعرض له الاحكام الخمسة فاما الهرب فينقسم الى واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح فاما الواجب فالخروج من ارض غلب فيها الحرام وقد تقرر ان طلب الحلال فريضة على كل مسلم واما المستحب فالخروج من ارض غلبت فيها البدع ولم يقدر على انكارها قال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما الحرام فالخروج من ارض تعين عليه فيها وظيفة كمن يتعين عليه القضا او الفتوى في بلد واما المكروه فالخروج من ارض وقع بها الطاعون فرارا منه لما ورد في الحديث الصحيح كما في البخاري وغيره من النهي عن ذلك واما المباح فخروج المريض من الارض الموخمة الى النزهة لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن للرعاة حين استوخموا المدينة ان يخرجوا منها كما في البخاري وغيره واما الطلب فينقسم ايضا الى واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فالواجب سفر الجهاد والحج وتحصيل القوت لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب والمستحب السفر

لطلب

لطلب العلم والزيارة والعشيرة والرباط والحرام سفر المعاصي والمكروه السفر للاستكثار من المال من غير حاجة والمباح سفر التنزه والتجارة وكسب الزايد على القوت الذي لا ينتهي به الحد الطغيان في الغنى واما سفر السياحة لا لغرض ولا لمكان مقصود فمنهي عنه وفي الحديث لا رهبانية في الاسلام ولا تبتل

المقدمة الرابعة فيما ينبغي للمسافر ارتكابه

اذا اجمعت على النص ركابه ينبغي لمن اراد السفر ورامه ولا سيما الى شعا شعب ورامه ان يستشير حازما في رايه عاقلا في تدبيره باذلا نصحه لمن استنصحه من قريبه وبعيده وقبيله ودبيره موثوقا بدينه وعلمه وصلاحه مجزوما برفع همته وخفض جناحه ونصب قداحه ولما اشتملت عليه المشورة من الخيرات المشهورة والبركات المنثورة امر الله سبحانه رسوله ان يشاور اصحابه مع ان جميع العقول بالنسبة لعقله عليه السلام نقطة من سحابه قال تعالى وشاورهم في الامر وقال في معرض المدح والثنا وامرهم شورى بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم الا هداهم الله لارشد امورهم وقال صلى الله عليه وسلم المستشار موتمن وقال الحسن ان الله لم يامر نبيه عليه السلام بمشاورة اصحابه حاجة منه الى رايهم ولكن اراد ان يعرفهم ما في المشورة من البركة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نزل به امر فشاور من هو دونه تواضعا عزم له على الرشد وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور في امرك من يخاف الله عز وجل وكان يستشير في الامر حتى ان كان ربما يستشير المراة فابصر في رايها فضلا وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه يا بني لا تقطع امرا حتى تشاور مرشدا فانك اذا فعلت ذلك لم تندم وقالت الحكما اذا كنت مستشيرا فتوخ ذا الراي والنصيحة فانه لا يكتفى براي من لا ينصح ولا بنصيحة من لا راي له وقال

شاور سواك اذا نابتك نائبة   يوما وان كنت من اهل المشورات
فالعين تبصر منها ما دنا ونأى   ولا ترى نفسها الا بمرآة

وقال

اذا عن امر فاستشر فيه صاحبا   وان كنت ذا راي تشير على الصحب
فاني رايت العين تجهل نفسها   وتبصر ما قد حل في موضع الشهب

وانشد ابو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس لبعض الاعراب

خليلي ليس الراي في صدر واحد   اشيرا علي اليوم ما تريان

وانشد ابن عبد القدوس

وان باب امر عليك التوى   فشاور لبيبا ولا تعصه
وان ناصح منك يوما دنا   فلا تنا عنه ولا تقصه

فاذا اشير عليه بالسفر وظهر له وجه مصلحته وسفر بادر مقبلا على الاستخارة
ليتهيا له ما اختاره مولاه تعالى وخاره وصفتها كما في البخاري وغيره ان
يصلي ركعتين من غير الفريضة واستحب العلماء ان يقرا في الاولى بعد الفاتحة
قل يا ايها الكافرون وفي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله احد والفيت
بخط شيخنا الوالد رحمه الله واستحسن بعض العلما ايضا ان يقرا في الركعة
الاولى بعد الكافرون وربك يخلق ما يشا ويختار الى يشركون وفي الثانية
بعد الاخلاص وما كان لمومن ولا مومنة الى من امرهم ثم يسلم ويثني على
الله تعالى بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اني
استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك
تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان
هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك
لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري فاصرفه
عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ورضني به فاذا وصل الى
هنا اعاده مرة اخرى على وجه اخر بان يقول بعد قوله وانت علام الغيوب
اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني وعاجل امري واجله الى اخره
ثم يعيد مرة ثالثة ويقول فيها اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في
عاجل امري واجله الى اخره فاذا فعل ذلك فانه يوافق لفظ النبي صلى الله عليه وسلم
جزما ويخرج من الشك الوارد في الرواية كما افاده جماعة من ايمة التحقيق
والتدقيق في الدراية وبه كان يفتي شيخنا الامام العلامة المحقق الهمام
ابو عبد الله محمد بن احمد بن المسناوي البكري الدلائي رحمه الله والفيته بخطه
مرارا ومنه نقلت وكذلك الفيته بخط والدنا رحمه الله وزاد ان في بعض
الروايات اللهم ان كنت تعلم هذا الامر خيرا باسقاط ان ونصب خيرا
على انه مفعول ثان لتعلم ورواية صاحب الدرر الفرائد المنظمة اللهم ان كنت

تعلم

تعلم في هذا الامر وتسميه خيرا لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري
وفي الامور كلها فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه وان كنت تعلم ان في هذا
الامر شرا لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وفي الامور كلها فاصرفه عني
واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ورضني بقضايك ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم اللهم خر لي واختر لي مع عافيتك ورحمتك اللهم
ما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته الى خير قلت فيها زيادات حسنة
وهي مع غرابتها في الدواوين الحديثية لا باس بها اذ مثل هذا المقام
ينبغي فيه الاطناب والاكثار والالحاح في السوال والطلب كما لا يخفى والله
اعلم فاذا فعل ذلك وانشرح صدره لسلوك تلك المسالك وقوي عزمه
واشتد على السفر حزمه فليجتهد في امور منها ان يسعى ما امكنه في تحصيل
مال حلال يصرفه في تلك القربة العظيمة لان الحلال سبب القبول واجابة
الدعا وغير ذلك من الخيرات ولذلك كان طلبه فريضة كما مر ايماء اليه
بخلاف الحرام فانه سبب المقت وعدم القبول حتى قال ابن حنبل ان من حج
بمال حرام فان حجه باطل قال الامام النووي رحمه الله في مناسكه ان حج
بمال مغصوب او فيه شبهة صح حجه في ظاهر الحكم ولكن ليس حجا مبرورا
ويبعد قبوله هذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة وجماهير العلماء من
السلف والخلف وقال احمد بن حنبل لا يجزيه بمال حرام قلت يويده ما خرجه
الطبراني وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا خرج الرجل حاجا
بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد
من السماء لبيك وسعديك زادك حلال ونفقتك حلال وراحلتك حلال
وحجك مبرور غير مازور واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله
في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السما لا لبيك ولا سعديك
زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور وقال الشاعر

يحجون بالمال الذي يجمعونه   حراما الى البيت العتيق المحرم
ويزعم كل منهم ان وزره يحط   ولكن سعيهم في جهنم

وقال الاخر

اذا حججت بمال اصله سحت   فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الا كل طيبة   ما كل من حج بيت الله مبرور

ومنها ان يخلص التوبة لله تعالى ظاهرا وباطنا من كل ذنب وقع فيه ولو
مرة قولا كان او فعلا ومنها ان يوصى بما يحتاج الى الوصية من اولاد
واموال وغير ذلك ويشهد على وصيته ويستحل كل من كان بينه وبينه
معاملة فى شى او مصاحبة ويبادر الى اداء ما فى ذمته من حقوق العباد
واسترضاء اربابها ويسرع لرد المظالم والمغصوبات وغيرها ويعجل
اداء ما ترتب عليه من حقوق الله تعالى من الزكاة والصوم وغير ذلك
ويعزم بقضائها وبراءة ذمته منها وهذا وان كان مطلوبا بالكل وقت لكن
عند ارادة النسك يتاكد الطلب به ومنها ان يتعلم مناسك الحج والعمرة
ليكون على بصيرة فيما يفعله واذا استصحب كتابا مشتملا على المحتاج اليه
فى المناسك كان افضل واولى وكثير من الناس بل غالبهم فى زماننا هذا
يقلدون بعض عوام مكة الذين لا خبرة لهم بمناسك الحج بل ينقادون
لصغار الولدان ويتوهمون انهم يعرفونهم المناسك فيغترون بهم مع
تخليط المذاهب وعدم المعرفة وذلك من الخطا الشنيع الذى يجب التحرز
منه والتنزه عنه ومنها ان يعد النفقة لمن تلزمه نفقته من الزوجات
والاولاد والخدم والوالدين وغيرهم ويسترضى جميعهم بما امكن ولا
سيما والديه فان حقهما اوكد لديه ويطلب منهم الدعاء الصالح
ومنها اختيار الرفيق المساعد المنزل منه منزلة العضد والساعد ليوافقه
فى مرافقته ويرافقه فى موافقته ويساعده على ما يقصده من الامور الدينية
والدنيوية ويذكره اذا نسى ويعينه اذا ذكر ويحلم اذا غضب ويقبل
اذا ادبر جامعا من خصال الكمال والتمام ما قال ابو تمام

من لى بانسان اذا اغضبته   وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من   اخلاقه وسكرت من ادابه
وتراه يصغى للحديث بطرفه   وبقلبه ولعله ادرى به

ومنها ان يستكثر الزاد من غير اسراف ويوثر المحتاجين منه ولا يخرج
الى المفاخرة بالرفاهية وقصدا لتنعم والاستطالة على من هو دونه
ولا يجحف بنفسه اجحافا ينتسب به الى ما لا يليق به بل يرتكب الوسط
فان خير الامور اوسطها دون افراط ولا تفريط كما وردت السنة بذلك

ومنها

ومنها ان يطلع الجمال على ما اراد حمله من الزاد قليلا او كثيرا ولا يخفى
منه شيئا ومنها ان يحسن اخلاقه ما استطاع ويلين جانبه ويخفض
جناحه لجميع الخلق ولا سيما الضعفاء والمساكين فان فى لين الجانب لهم
جبرا لخواطرهم ويتاكد حسن الخلق مع الجمالة فانهم اصعب شى واشد شراسة
وسوء خلق فيلين لهم ويعرض عن كلامهم ما امكنه ولا يقابلهم بشى ولا
جلب الضرر لنفسه وخصوصا جمالة الحجاز فانهم لا يعبرون عن شراستهم
بحقيقة ولا مجاز فليحذر الانسان منهم ما امكنه ويجمل اخلاقه معهم
فى سائر الاماكن قيل انه لا يداوم على ذلك بل يغلظ عليهم احيانا ويهددهم
بالضرب وغلظة الكلام دفعا لامتداد اذيتهم وتمردهم اذا تحققوا
اللين من احد طلعوا عليه وقاسوه المشاق وقد حكى ابن حمدون فى
تذكرته عن الاعمش انه حج فاحرم فلاحاه الجمال فى شى من فم عكازه فشجه
بها فقيل له لم ذاك وانت محرم فقال ان من تمام الاحرام شج الجمال وحمل
ابن حزم قوله على الفسقة منهم وقال ابن مفلح فى كتابه الفروع وليس
من تمام الحج ضرب الجمال خلافا للاعمش ومنها ان يتواضع لله تعالى
فى هيئته وملبسه ولا يخرج الطور فى ذلك بل يجمل نفسه وهيئته وملبسه
تجملا لا يخل بامثاله دون افراط ولا تفريط واما المركب فليتانق فيه
جهده وليتجنب فى اختياره زهدا لان فى رذالة الدابة تعب النفوس
والابدان ولا سيما مع طول السفر والتنقل فى البلدان ولكن يتوسط
فى كسوتها وحوايجها ولا يخرج بها عن طور امثاله ومنها ان يتجنب
الغيبة والنميمة واللعن لمخلوق اياكان حيوانا او غيره ويترك الشتم
والمخاصمة ومزاحمة الناس فى الطرق وموارد المياه وغير ذلك من كل
ما فيه اذاية له او لغيره ولا يصحب كلبا ولا دابة فى عنقها جرس لان
ذلك ينفى الملائكة عنه فان فعله غيره ازاله ان قدر وان لم يقدر قال
اللهم انى ابرا اليك مما فعل هولاء فلا تحرمنى ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم
ومنها انه اذا عزم على الخروج فليخرج يوم الخميس كما استحبه بعض
العلماء ولا باس بالخروج فى غيره وليصل ركعتين فى اهله لحديث المنظم
ابن المقدام الصحابى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف

احد عند اهله افضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا رواه الطبراني
وغيره قال الامام النووي قال بعض اصحابنا يستحب ان يقرا في الاولى
منهما بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد وقال
بعضهم يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل اعوذ برب الفلق وفي الثانية
قل اعوذ برب الناس واذا سلم قرا اية الكرسي قبل خروجه من منزله لم يصبه
شي يكرهه حتى يرجع ويستحب ان يقرا لايلاف قريش فقد قال الامام
ابو الحسن القزويني الفقيه الثقة صاحب الكرامات الظاهرة انها
امان من كل سوء قال ابو الطاهر اردت سفرا وكنت خائفا منه فدخلت الى
القزويني اساله الدعا فقال ابتداء من نفسه قبل ان اساله من اراد سفرا
ففزع من عدو او وحش فليقرا لايلاف قريش فانها امان من كل سوء
فقراتها فلم يعرض لي عارض حتى الان ومنها انه اذا فرغ من الصلاة
وقراءة ما ذكر ان يدعو باخلاص ورقة وخشوع ومن احسن ما يقول
اللهم بك استعين وعليك اتوكل اللهم ذلل لي صعوبة امري وسهل علي مشقة
سفري وارزقني من الخير اكثر مما اطلب واصرف عني كل شر رب اشرح لي
صدري ونور قلبي ويسر لي امري اللهم اني استحفظك واستودعك نفسي
وديني واهلي واقاربي وكل ما انعمت علي وعليهم به من اخرة ودنيا فاحفظنا
اجمعين يا كريم ويفتتح ذلك ويختمه بحمد الله تعالى والصلاة والسلام
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا نهض من جلوسه فليقل ما روي عن انس
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد سفرا الا قال حين ينهض
من جلوسه اللهم اليك توجهت وبك اعتصمت اللهم اكفني ما اهمني وما لا اهتم
له اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير فيما توجهت
ومنها انه اذا فرغ من الدعا فليودع اهله واقاربه واصحابه وجيرانه
ويسالهم الدعا ويدعو هو لهم ففي مسند الامام احمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا استودع شيا حفظه وعن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان يسافر فليقل لمن
تخلف استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه قال الامام النووي رحمه الله
والسنة ان يقول له من يودعه ما رويناه في سنن ابي داود عن قزعة قال

قال

قال لي ابن عمر رضي الله عنهما اودعك كما ودعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك قال الامام الخطابي الامانة
هنا اهله ومن تخلفه وماله قال وذكر الدين هنا لان السفر مظنة المشقة فربما
كان سببا لاهمال بعض الدين وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه قال
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اريد ان اسافر فزودني
فقال زودك الله البر والتقوى قال زدني قال وغفر ذنبك قال زدني
قال ويسر لك الخير حيث كنت وفي بعض المناسك ووجهك له وكفاك
المهم وجعلك في حفظه وكنفه وقال الصلاح الصفدي

ولما ان حججت جعلت اهلي ... وديعة رب زمزم والحطيم
فيا امني عليهم في رواحي ... ويا فرحي بهم عند القدوم

وقال ايضا

سرت بقصدي حين سرت لطيبة ... وما كل قصد في الورى راح ضايعا
وودعت اولادي واودعت ضعفهم ... وعجزهم من لا يضيع الودايعا
وفارقت اوطاني واوطار لذتي ... وصيرتها اذ سرت عنها بلاقعا
اما قد وكلت الامر فيهم الى الذي ... غدا لطفه في سائر الناس ذائعا
فما قلقي من اجلهم راح مجديا ... ولا شغل قلبي بعد ذلك نافعا

ومنها انه اذا ودع اهله فليخرج مقدما رجله اليمنى ثم يقول بسم الله
وبالله امنت بالله واعتصمت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم اللهم اني اسالك خير هذا الخروج وخير ما فيه واعوذ بك
من شره وشر ما فيه خرجت بحول الله وقوته وبرئت اليه من الحول والقوة اللهم
اكفني ما اهمني وما انت اعلم به مني اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي
ووجهني للخير حيثما كنت اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل
اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنظر وسوء المنقلب في الاهل
والمال والولد اللهم اطو لنا البعيد وهون علينا السفر فاذا قدم رجله
للركوب قال بسم الله فاذا استوى راكبا قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا الى
قوله لمنقلبون ثم يقول الحمد لله ثلاث مرات الله اكبر ثلاث مرات ثم يقول
سبحانك لا اله الا انت اني كنت من الظالمين فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب

الا انت فاذا نزل منزلا فليتحر عدم النزول في الطريق ويشتغل بالتسبيح
حال حط الرحال فاذا استقر على الارض قال اعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق فانه لا يضره شي حتى يرتحل فان نزل نهارا فلا باس ان ينام
نومة تعينه على دفع الوسن وتقويه على السير ليلا وان نزل ليلا قال
يا ارض ربي وربك الله اعوذ بك من شرك وشر ما فيك وشر ما يدب عليك
اعوذ بالله من اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما
ولد فاذا اصبح قال اصبحنا واصبح الملك لله الحمد لله الذي لا اله الا هو
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شي قدير رب اسالك
خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده واعوذ بك من شره وشر ما بعده فاذا
امسى قال امسينا وامسى الملك لله الى اخره اعوذ بالله من شر هذه الليلة الى اخره
فاذا ارتحل قال الحمد لله الذي عافانا من متقلبنا ومثوانا اللهم كما حملتنا
من منزلنا فبلغنا غيره في عافية لا اله الا الله الحليم العظيم لا اله الا الله رب
العرش العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل واداب السفر كثيرة والاذكاره
غزيرة وليكن هذا القدر في هذا المختصر كفاية **خاتمة** وفيها
امور اولها قال بعض حذاق الاطبا يجب على من اراد السفر بعيدا وطويلا
ان ينقي بدنه من الفضول بالفصد والمسهل خشية تولدها في بدنه والا
غلبت على مزاجه وافسدته لان المسافر وبدنه غير نقي لم يكد يسلم من الخراجات
والبثور والحميات المتطاولة وانواع الاورام والنوازل ثم يدرج
نفسه الى المياه التي ينتقل عليها بان يحمل من ماء بلده ويمزجه بالماء الذي
يرد عليه ويحمل من ماء ذلك المنزل الثاني ويخلطه بماء المنزل الثالث ويفعل
ذلك الى ان يبلغ الموضع الذي قصده فان تعذر هذا التدبير وكرهه
فليجتهد ان لا يشرب ما يشربه الا بمزاج شراب ان كان مرطوبا او بسكنجبين
ساذج ان كان محرورا وان تعذر فبخل وقد ينفع المرطوب البصل المكبوس
في الخل والمقطع فيه والمشوي به ومن ساعته باكله وينفع من ذلك ايضا
ان يتزود من طين بلده الحر الجيد من موضع الماء الذي الف شربه فيلقي
منه قطعة في اي ماء يرد عليه ويتركه حتى يسكن ويصفو ثم يشربه فان كان
الماء الذي يرد عليه كدرا صفاه وان كان مالحا مزجه بسكنجبين ساذج

او شي من خل او يلقي فيه خرنوبا او حب الاس او زعرورا او طينا حرا والسكنجبين
افضل من ذلك كله وان كان مرا اكدا او كانت فيه عفونة فليخرج برب الفواكه
المزة الحامضة كرب الحصرم والرمان والتفاح والسفرجل ويهجر الاغذية
الحارة ما دام الشرب منه فان هذا النوع من الماء اسرع شي في تولد الحصاة
وان كان فيه مرارة فينبغي ان يمزج بجلاب او ماء السكر ويوكل عليه الاشيا
الحلوة ومما يدفع ضرره ان يتجرع قبل شربه ماء الحصرم وكذلك الحمض
نفسه نافع من ذلك ومن سافر في حر شديد فلا يمتلي من الطعام والشراب
ولا ينبغي خلوه منهما لما يودي اليه من الفزاع ولكن يمتنك فيهما ويستعمل
الاغذية الباردة المسكنة للعطش كماء الحصرم والخل والزيت وشراب
التمر هندي والسكنجبين وحليب البقلة الحمقا ويشرب شربة خفيفة
من السكر والسويق وليحذر اكل الاشيا المالحة والحلوة والحريفة وانواع
السمك والزيتون فانها معطشة وينفعه البصل المنقوع بالخل والرفق
في السير وتقليل الاكل ومن سافر في برد شديد وثلج فقد يعرض له الجمود
او الجوع او الاسترخاء ونحوها فينبغي ان يمتلي من الطعام ويمسك
عن الحركة بقدر ما يسخن الطعام في باطنه ويحصن نفسه بما يحتاج اليه
من اللباس المسخن وينبغي لكل مسافر ان يستصحب معه انواع المنقيات
للدماغ والباطن والمعاجين والمربيات على اختلافها بحسب الازمنة
والامكنة والادهان الحارة والباردة وانواع التكاحيل والمراهم وغير
ذلك مما تمس الحاجة اليه لينتفع به وينفع غيره الامر الثاني ينبغي لمطلق
الحاج ان يستصحب معه ما يحتاج اليه من متعلقات تتعلق به او بدابته
فيكسو نفسه اولا كسوة امثاله ولا يسرف ولا سيما في الكتان فانه اماما باقل
ثمن واكد ما يعتني به دايرة جيدة تحول بينه وبين المطر والبرد بعد الكسوة
المالوفة وينظر في دابته فيستصحب ما تحتاج اليه من الصفيحة والمسمار وبطرق
ذلك وتهيئته ويوثق اللجام والحزام والركاب ويكون معه في خرجه الخيط
وكذا القنب والوترة ومخيطان او ثلاثة وعشرا او ثمان من الابر ونحو
اللقاط والمطرقة وشبه ذلك فاذا كان من ينتمي للعلم يستصحب زيادة على
ذلك ما يحتاج اليه من كتب الفروع كمناسك خليل ومختصره وان صاحبه شرحا من شروحه

فلا باس بذلك ونحو الشفا وكتاب يشتمل على القصايد المدحية والادعية
الخيرات والاحزاب ويستصحب الات الكتابة من المحبرة والاقلام الكثيرة
ويحفظها في جعاب والمداد العنبرة والمقص والموسى ونحو ذلك وقد ذكر الامام
زين الدين عبد القادر الحنبلي في كتابه الدرر الفرايد المنظمة ان عدد
ما اصطلحت عليه كتاب القبط من اسماء الات الكتابة ينيف على اربعين
وسردها منثورة ونظمها العلامة نور الدين علي العسلي رحمه الله فقال

حمدا لمن علمنا بالقلم ... وعلم الانسان ما لم يعلم
وخصه بالنطق والكتابه ... كيما ينال بهما ادابه
وان من اشرف اوضاع البشر ... رسم الكتاب فهو وضع يعتبر
فمن هنا تفنن الكتاب ... فيما به ينتظم الكتاب
فاو عوادد بهم قديما ... لما ذكرنا اربعين فيما
لكن فيها الغث والسمينا ... وما نرى اسقاطه يعنينا
كمشغز ومرود ومكحله ... والحق ان مثل ذا لا اصل له
فالعزم ان نبدله والنبه ... بما له علاقة قويه
حتى يرى اظرف مما اشتهر ... وهذه عدتها كما ترى
محبرة مركب ملاق ... وهو الذي في عرفهم مشاق
مرملة مزودة مجفف ... لرملهم وهو بهذا يوصف
ومبرد مجدد ومزبر ... لقلم ومجرد ومحفر
معرشة ممسحة ومكثره ... ومغرز ومقسم ومسطره
ملزمة ومكيس ملف ... مصفاة حبر للاذى تكف
ومنقد ومكشط ومديه ... وهي برسم ما نروم بريه
كذا مسن مسحد ومقط ... وقلم الطومار يسمون محط
وملزق ومخيط مشك ... مقطع كتب ليس فيها شك
ومركز لما عليه يوضع ... رؤس الاقلام لئلا تصدع
كذلكا المموالة والمقص ... تمت محراك عليه نصوا
محفظة ومجمع ومنشار ... لقطع اوصال اليراع يختار
كذاك ملقاط لما شان القلم ... مصقلة تكمل النظم وتم

الامر

الامر الثالث يجب على امير الحاج زيادة على ما مر ذكره في مطلق الناس
عشرة اشيا ذكرها الماوردي رحمه الله ونقلها النووي في مناسكه مختصرة
فقال واما تسيير الحاج فهو ولاية سياسة ورعاية وتدبير والشروط
المعتبرة في المولى ان يكون مطاعا ذا راي وشجاعة وهداية والذي عليه
في هذه الولاية عشرة اشيا احدها جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى
لا يفترقوا فيخاف عليهم العدو والتعزير الثاني ترتيبهم في المسير والنزول
واعطاء كل طايفة منهم محلا معروفا حتى اذا نزل عرف محله حتى لا يتنازعوا
فيه ولا يضلوا عنه الثالث ان يرفق بهم في المسير حتى لا يعجز عنهم ضعيفهم
ولا يضل منقطعهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المضعف امير الرفقة
يريد ان من ضعفت دوابه كان على القوم ان يسيروا بسيره الرابعة ان
يسلك بهم اوضح الطرق واحسنها ويجتنب اوعرها واجدبها الخامس ان يرتاد لهم
المياه اذا انقطعت والمراعي اذا قلت السادس ان يحرسهم اذا نزلوا ويحوطهم
اذا رحلوا حتى لا يتخطفهم داعر ولا يطمع فيهم متلصص السابع ان يمنع
عنهم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال ان قدر
او ببذل مال ان اجابه الحجيج اليه ولا يسعه ان يجبر احدا على بذل الخفارة
ان امتنع منها لان بذل المال على التمكين من الحج لا يجب الثامن ان يصلح
بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين ولا يتعرض للحكم بينهم فان دخلوا
بلدا فيه حاكم جاز له او لحاكم البلد ان يحكما بينهما فايهما حكم نفذ حكمه ولو كان
التنازع بين الحجيج واهل البلد لم يحكم بينهم الا حاكم البلد التاسع ان يقوم
زايغهم ويودب خاينهم ولا يجاوز التعزير الى الحد الا ان يوذن له فيه
فيستوفيه اذا كان من اهل الاجتهاد فيه فان دخل بلدا فيه من يتولى اقامة
الحدود على اهله نظر فان كان ما اتاه المحدود قبل دخول البلد فوالي الحجيج
اولى باقامة الحد عليه العاشر ان يراعي اتساع الوقت حتى يامن الفوات ولا
يلجئهم ضيقه الى الحث في المسير فاذا وصل الى الميقات امهلهم للاحرام واقام
بسببه فان كان الوقت متسعا عدل بهم الى مكة ليخرجوا مع اهلها الى الموقف
وان كان الوقت ضيقا عدل بهم عن مكة الى عرفة خوفا من فواتها فيفوت الحج
بها فاذا وصل الحجيج الى مكة فمن لم يكن على العود منهم زالت عنه ولاية الوالي

على الحجيج فلم تبق عليه تبعة ومن كان منهم على العود فهو تحت ولايته قلت
ومما يتاكد وجوبه على امير الحاج ان يقف بالركب في اوقات الصلوات
الخمس لاجل الصلاة في الوقت ويامر المنادي ان يقول الصلاة يا حجاج
وان يكون له امام خاص به كما كان السلف فان من حج من غير اقامة الصلاة
لا سيما ان كان حجه تطوعا كان بمنزلة من سعى في ربح درهم وضيع
راس ماله وهو الوف كثيرة وقد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل
الصلاة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل على راحلته في
اسفاره كلها ويوتر عليها وحج مسروق فما نام الا ساجدا وكان محمد بن
واسع يصلي في طريق مكة ليله اجمع في محمله يومي ايماء ويامر حاديه ان
يرفع صوته خلفه حتى يشتغل عنه بسماع صوت الحادي فلا يتفطن
له فيجب على الامير ان يامر بالمحافظة على الصلوات في اوقاتها ويفعل
ذلك ويظهره اذ لا يحل له ولا لغيره ان يوخر الصلاة لغير عذر شرعي
كما هو مقرر في الفروع ونبهنا على هذا لزهادة الناس فيه في وقتنا هذا
وغفلتهم عن الصلوات واعراضهم عنها وتاخيرها عن اوقاتها وجمع
الليلية والنهارية دفعة والعكس ويتشاغلون بالنوم والاهواء
والاغراض النفسانية عنها ويثقل عليهم ابدا الصلاة فلا ياتونها الا
وهم كسالى وما علموا ان الله تعالى متى علم من عبد حرصه على اقامة
الصلاة على وجهها اعانه وما قدم احد حق الله تعالى على هوى نفسه
وراحتها الا وفي سعادة الدنيا والاخرة ومما يجب عليه ايضا اجتناب
ما يرتكبه امراء وقتنا من قطع مرحلتين في مرحلة قصدا للسرعة في السير
وذلك ضرر كبير ومشقة شديدة على النفوس والابدان والجمال ومما
يجب عليه الرفق بالناس في الحر الشديد فيريحهم في وقت القيلولة المفرطة
ويقصد بهم الظلال والمياه للاستراحة وفي وقت الرياح المفرطة الشدة
ويكون بالمرصاد لرعيته فاذا حصل لهم اذى مشقة بادر الى راحتهم بازالتها
ولا سيما في الحجاز ويجب عليه في الرحلة التي بها مضيق ووعر منعهم من المزاحمة
والاصطدام والتشاجر وكل من يمنعهم من ذلك ومن الرفق بالحجاج امهالهم
بالدار بعد الاعلام بالرحيل مقدار ما يعلم ان اهل الركب في حال الاعتدال

للسير

للسير والا يصير الذي لم يحمل جماله في غاية السرعة والدهشة خصوصا
ليلا فقد يترك بعض امتعته بالدار ذهولا ونسيانا وينبغي له ان يجلس
بهم في كل دار ومنزلة ليحضر اليه من يشكو ظلما من جمال او غيره فيزيل
شكواه ويصلح بين المتخاصمين وان كان الحكومة شرعية جهزه لقاضي
الركب ان لم يكونوا في بلد ولا ينبغي له ان يحتجب عن الحجيج ويدع امرهم
فوضى بينهم لانه راع وكل راع مسؤول عن رعيته ولا يتخذ ترجمانا يحول
بينه وبين الناس الا اذا دعت لذلك ضرورة من عجمة او عجمة بعض الحجيج
اما اذا عرف الالسنة وقصد بالترجمان اهانة وفد الله تعالى والتكبر
عليهم فقد ارتكب اثما عظيما مع انه قد لا يبلغه الترجمان ما قاله كل من
الامير والحاج لغش او ارادة رشوة او قصور او نحو ذلك ويجب عليه
النظر في الفقراء والضعفاء والمرضى وخصوصا المشاة ويكشف على الساقة
في الغالب لانها مظنة ذلك وعلى غيرها وفي الدور وتحت الاشجار فان
الفى ميتا فقيرا امر بدفنه وغسله والصلاة عليه لانهم رعيته وهو مسؤول
عنهم كما مر فاذا كان الحر فينبغي له ان يحمل معه من القرب المملوءة بالماء لسقي
العطاش ويتفقد الجيعان ويركب العيان ولا سيما في الحجاز فمثل هذا هو
المطلوب من امراء الحاج لا ما يعدونه من تجهيز الاحمال الكثيرة للمباهاة
وتنميق الماكل والمشارب والملابس والمراكب تفاخرا بالمفاخر لا يعملون
الا لليوم الاخر بل قد يرتكبون الفواحش والنقايص ويتعاطون كل
خسيس ناقص وينهمكون في انواع المحرمات على اختلافها ويرضعون من
ثدي الفسق والزنا فايض اخلافها فما اجدى من يرتكب هذه الرذايل بقول
القايل

حججت البيت ليتك لا تحج　　ومنك الركب في الآفاق ضجوا
وزرت بحمل اوزار ثقال　　فعدت وفوق ذاك الحمل خرج

ولابن سنا الملك

حج في العمرة وتعني واحرما　　وانا من الحجاز كما راح محرما
فهو ذو الحجة التي تستحل المحرما

ولآخر

راى البيت يدعى بالحرام فحجه　　ولو كان يدعى بالحلال لما حجا

ولبعضهم

حج وقد كان ذا غرام　　بالركن والبيت والمقام

وعاد من حجه سريعا   يطعن في المشعر الحرام

وهذا بالنسبة لوقتنا غير مستبعد ولا مستنكر لافشاء الباطل واذاعة المنكر فنحن في زمان عاد الاسلام فيه غريبا والقابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وماذا يقال وقد حكى صاحب المحاضرات ان عبيد ابن شرية دخل على معوية بن ابي سفين في ذلك العصر من الزمان وقد اتت على عبيد مائتان وعشرون سنة فقال له ما شاهدت من الزمان وما ادركت فقال يا امير المومنين ادركت الناس وهم يقولون ذهب الناس فلا مربع ولا مفزع وقيل ما بقي من الناس الا حمار رابح او كلب نابح او واخ فاضح وكانت عايشة ام المومنين رضي الله عنها تنشد ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت قال ابن عباس رضي الله عنهما لئن شكت ام المومنين من زمانها فلقد شكا قوم عاد من زمانهم اذ وجد في خزاينهم سهم عليه مكتوب

بلاد بها كنا ونحن نحبها   اذ الناس ناس والزمان زمان

وقال ابو صالح في قوله تعالى ويذهبا بطريقتكم المثلى اي بسراة الناس وقال المتنبي

وصرت اشك فيمن اصطفيه   لعلمي انه بعض الانام

وهذا مما ملئت به الدفاتر فلا نطيل به

ذكر ابتداء العزم على السفر والتهيئ للرحيل عن الوطن في اشرف وطن

اعلم ارشدنا الله واياك واشرق بنور الطاعات محيانا ومحياك ان الله تعالى اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك وان جلت قدرته اذا اراد بك السعاده يسرلك من اسبابها وفتح عليك من ابوابها ما هو معدود من خرق العاده • اذ قدرته سبحانه لا تتقيد بعادة ولا قانون • بل تجري على خلاف ما تتوهمه الاوهام وتتخيله الظنون • طالما كنا نتمنى الوصول لبيته الحرام ونساله تعالى ان يبلغنا من الروضة المطهرة النبوية غاية المرام ونشتهي الحلول في تلك الاماكن الشريفة ولم استطل لا بظلالها الوريفه فاصرح بذلك في نثاري ونظامي طالبا من الله تعالى ان يقوي بمشاهدة تلك المشاهد ما اوهنته الذنوب من عظامي وكان هيجان شديد شوقي الذي لا يخل وزجان قد يدتوقي

الذي

الذي لا يخفى نحوه ولا يخل زمن شرحي لنظم فصيح ثعلب للملك ابن المرحل فكنت كلما مر بي ذكر الحرام او الاحرام اضرم نار الاشواق بين الجوانح غاية الاضرام فتبرز القريحة الخامدة النثار ما يعجز البليه من العثار وتبدي الفكرة الجامدة من الاشعار ما لم يكن لها به اشعار تشوقا لتلك المساكن وتشوقا لمن بها ساكن فمن ذلك قولي بعد شرحي قوله • وقد حللت انا من احرامي • اكملته في البلد الحرام • وقد هيج اللوعة واثار الغرام ذكر الحرمين الشريفين والحج والاحرام وتحركت سواكن القرايح بعوامل الاشواق فنفثت بما راته نفاقا في هاتيك الاسواق وتشوقا لتلك المرابع وتشوفا بهاتيك المجامع مرتجلة ارتجالا يدفع عنها الاعتراض ويستر مكنون جواهرها في حلى الاعراض وان كانت الاعراض هي التي تظهر في الجواهر والازهار هي التي تبدو على الغصن الزاهر والنفثة المشار اليها قولي دون روية بحول الله لا بحولي

الا ليت شعري هل ارى البيت معلما   وهل اردن يوما على الوف زمزما
ومن لي بحج البيت في خير معشر   حدا بهم الحادي وغنى وزمزما
ومن لي بان امسي على حجراته   واصبح ممن للمعالي به انتمى
ومن لي بالخل الذي قد الفته   فيدعى جهارا انما القصد انتما
نطوف بذاك البيت طورا وتارة   نلم بها تيك البقاع فنلثما
وآونة ناتي الى الحجر الذي   سما قدره حتى تطاول للسما
نعفر فيه الخد والوجه كله   ولست ارى ممن يخص به الفما
وطورا نصلي ثم نسعى الى الصفا   ليصفي الفواد المستهام المتيما
ونسرع كي نلقى المنى ولدى منى   نخيم فيمن كان لليمن خيما
ونجني ثمار العرف من عرفاته   ونعرف منه الخير عرفا معمما
ونبرا من كل العقاب اذا دنت   عقاب جمار تحرق الذنب اينما
ونصبح فيمن برته حجه   واصبح في تلك الرياض منعما
ويا ليت شعري هل ارى طيبة التي   بها طابت الاكوان نجدا واتهما
وهل يبصر القبر الشريف محاجري   فاصبح فيه منشدا مترنما
اخاطبه جهرا واسال ما اشا   وارجو حصول السول منه متمما

ويسعد بي القول البليغ فانثني ... اذا ما نظمت القول فيه تنظما
وارجع مملوء الحقائب عامرا ... بما شئت من علم وحلم وما وما
وتخدمني الدنيا واصبح في غد ... لدى رتبة شماء في منزل سما
تحف بي الاملاك من كل جانب ... لدى جنة الفردوس فوزا معظما
فتربح هاتيك التجارة كلها ... ويغنم مولودها ابتدا ومختما
واهدي الى خير الانام محمد ... سلاما بعرف الطيبات مختما

حقق الله منا الرجاء وبلغ الامال بالفوز في هاتيك الارجاء بكرمه وطوله وعزته وفضله ومن ذلك كلام واي كلام

فهناك يحلو المدح دون تردد ... ويطيب تكراري الثنا وترددي
واخاطب القبر الشريف مشافها ... واقول للفكر القريح الوارد
واقول يا خير الانام جميعه ... يا صفوة الله العظيم الاوحد
يا خير من وطئ الثرى واجل من ... بذل الثناء لناشد او منشد
هذا عبيد جاء كم متطفل ... يسعى بدمع محاجر لم يجمد
متسربل بجرائر وجرائم ... هدت قواه وكل طود اطود
فاشفع له فلقد اتى متشفعا ... مولاي بالسبطين سبطي احمد
وسل الاله العفو عن اثامه ... حتى يرى منها طهورا في الغد
والختم بالحسنى فذلك عنده ... مولاي في المطلوب اكمل مقصد
والستر في الدنيا وفي الاخرى فلي ... ال بتسميتي سماة محمد
والفيض من كل العلوم بصدره ... فيضان بحر بالمعارف اجود
والورد من حوض تكفل ورده ... ان ليس يظما وارد للمورد
وعليك ما سجع الحمام تحية ... واشتاق مشتاق لقبر محمد

ونبهت على بعض ما اشتملت عليه هذه الابيات من الانواع البديعيات بقولي قلت قولي دون تردد المراد به التلعثم وعدم الانسجام من تردد في الشئ اذا لم ينطلق في فعله والمراد بترددي تكراري من ردد الشئ بمعنى كرره واعاده المرة بعد المرة او من قولك تردد بالمكان اذا اكثر من الذهاب والرجوع فيه فهو جناس تام لا ايطا كما يتوهم من لا معرفة عنده وان كان الايطا خاصا بالقوافي فان البلغاء

يتجنبونه

21

يتجنبونه حتى في التصريع ولا يخفى ما في قولي لناشد او منشد من التورية مع ما في الابيات من انواع الجناس واجناس البديع وذلك كله من بركة الممدوح صلى الله عليه وسلم ومجد وكرم وعظم ومن ذلك قولي وقد جرى له ذكر الحج المبرور سائلا من الله تعالى تعجيل الذهاب لحرمه والمرور لا حرمنا الله تعالى من حجة مبروره وعمرة بالخيرات معموره وزيارة للروضة النبوية التي لم تزل بالانوار مغموره

فهناك يدنو الهنا والسرور ... وتتم المنى وتنأى الشرور
وافوز بكل خير اذا ما ... قيل لي ذاك حجه مبرور
واذا زرت قبر خير الورى ... طه عليه الصلاة ثم السرور

ومن ذلك قولي وقد جرى له ذكر التعريف وعرفه بعد ما نبهت على ان يومه يوم شريف كل قد علم شرفه وعرفه جعلنا الله تعالى ممن يعرف هذه السنة بعرفات ويغرف من زمزم بل يكرع اذ لا تكفيه الغرفات وينال من فضل مواهبه في فراديسه اعلا القصور والغرفات ويشاهد بعد تلك المشاهد الانوار النبوية وينشد انشاداته هنالك دون رويه

وتسعفه غر القوافي لانه ... مشوق الى تلك المرابع شيق
ويوحى له من كل قول لبابه ... ومن كل نظم في المدائح ريق
ويصبح رحب الصدر منه موسعا ... لانه من فرط الصبابة ضيق

فهناك يحق السرور وتذهب بجار الافراح بمراكب الشرور الى غير ذلك مما تقبل فيه مودتنا ولله الحمد على ما اولانا وسوالنا ودعانا وافهم بخيراته الباطنة والظاهرة في تلك الاماكن المقدسة الطاهرة كما سالناه سبحانه ودعاءنا كقولي في القصيدة الغراء التي قافيتها الراء

ام هل اطيب بطيبة زمنا ... وهل اعود من عطرها عطرا
وهل ارى منشدا بساحتها ... مدح الرسول المبعوث من مضرا

وستاتي بتمامها في الزيارة اذا وصلنا روضة المصطفى وداره وربما فترت فكرتي لتطاول اشجاني وكثرت حسرتي لتداول الوجد الذي برح بي واشجاني فاعدل الى الانشاد عن الانشاء واستنشي من الادب بعض ما يحق له الاستقراء والاستنشاء فاتمثل بقول من

تقلب قلبه على نيران الاشواق لما صفا   فاصبح يشتاق الى جيران الحجون والصفا

يا جيرتي بعد الحجون الى الصفا   شوقي اليكم مجمل ومفصل
اهوى دياركم ولي بربوعها   وجد يثبطني وعهد اول
ويزيدني فيها العذول صبابة   فيظل يغريني اذا ما يعذل
ويقول لي لو مذ تبدلت الهوى   فاقول قد عز الغداة تبدل
بالله قل لي كيف تحسن سلوتي   عنها وحسن تصبري هل يجمل
هل في البلاد محلة معروفة   مثل المعرف او محل يحلل
ام في الزمان كليلة النفر التي   فيها من الله العوارف تجزل
ام مثل ايام تقضت في منى   هم الزمان بها اغر محجل.

وربما اتواجد بما غشيني من الوجد وعلاني فاتمثل بقول القطب القسطلاني

الا هل لنظرة بالاراك معاد   وهل ذلك العيش الهني يعاد
وهل زائر الزوراء زائر بطحا   وخيف منى دار تحل سعاد
وهل لطوى والمازمين ومشعر   تدان فقد اضنى الفواد بعاد
وهل مدنف بالك تكدر عيشه   واقلقه داء في الغرام يعاد
وهل ذلك السر الذي كان بيننا   وما فطن الواشي لذاك يعاد

وكلما تحدث بالرحيل الى تلك الاماكن راحل او تتابعت الى طريقها المراحل اعود لاداب القطب فارد قوله الذي هو ازهى كلمة وابهى قوله

اراحك وشك البين ام انت غافل   ام القلب في اثر الظعاين راحل
لقد لج هذا الوجد حتى كانه   يحاول ثارا عند من هو قاتل
تحيرت حتى لو سئلت عن الهوى   لفرط الجوى لم ادر ما انا قايل
احبابنا بالجزع عن ايمن الحمى   ترى هل لما اروى من الشوق قاتل
تمنع من اهوى علي بوصله   فعندي من الوجد المبرح شاغل
كتمت هواه برهة فنمت به   دموع على خدي سح هوامل

وربما فاضت الاشواق فيضا فرجعت قوله ايضا

الا هل عشيات الاراك رواجع   فننعم عينا والعيون هواجع
وننزل من القرب سابل   ويسكن نضاح حنته القواطع
وترفع جزم الهجر عنا بوضعها   عوامل لما ان عداها التقاطع

في ذيل

غريب

22

غريب له مذ بان بان برامة   فواد معنى ازعجته المطامع
يبيت يناجي النجم والطرف ساهر   بجنب قريح قد جفته المضاجع
له مذ نائي الاحباب سفح مدامع   وزفرة مهموم وهل ذاك نافع
تشاغل دهرا بالحديث يظنه   يشتت هما وهو للهم جامع
ولم يثنه قول الوشاة بانه   وان ظن عاص فهو بالقطع طايع
تبدا من مر التصابي حلاوة   فلذ له ما طال فيه التنازع
دعوا العتب فيما قد مضى وتصدقوا   ببذل الندى فالعمر لو دام ضايع
ومن لي بوصل ارتجيه وانني   بطيب خيال في المنام لقانع
اجيروا من الجور المفرق للمنى   بجمع على مر الدهور يطاوع

ومهما خضت في ذلك الوادي او ركضت الى جيد انجوادي او تشخصت ان يحل في تلك الاماكن المشرفة سوادي اعتد وصولي اليها من المحال واعتقد اني لا اقدر عليه ولو بالغت في الحيل والمحال زاعما ان الضعفا امثالي لا يستطيعون على كل حال لان الحج انما يستقيم بالاجسام الجسام والاموال التي لا توسم بالحصر والانسام حتى كنت ربما اتغالى فاصرح باني لا اصاحب من هنالك ذهب ولو ملكت ما ملكت من الفضة او الذهب وان كان التوحيد يحمل العبد على تعليق افعاله بمشيئة مولاه فنقول الا ان يشاء الله ولما دعانا مولانا تعالى لشريف حضرته وايدنا بتاييده وتوفيقه ونصرته هيا لنا الاسباب وفتح لنا من خيراته كل باب ولم يترك سبحانه نوعا من انواع التيسير الا امدنا به جلت قدرته في الامد اليسير ليعلمنا ان قدرته سبحانه صالحة لتسوية الموسع والمقتر وانه جلت حكمته لا فرق في ارادته بين القوي والضعيف والمقل والمكثر ويبين ان وصاله لا ينال بحيلة ولا يرام بالنفايس الجليلة وانما هو خصيصا يخص بها من شاء من عباده وفضل يجريه في الخلايق على حسب اختياره ومراده ولقد صدق القايل الذي ظهرت على قوله من الخصوصية مخايل

قد كنت احسب ان وصلك يشترى   بنفائس الاموال والارباح
وظننت جهلا ان حبك هين   تفنى عليه كرائم الارواح

حتى رايتك تجتني وتخص من   تختاره بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة   ولويت راسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي   فيه عشيي دائما وروا حي

فلذلك لما ازعجنا الشوق الذي منه سبحانه في صدورنا وجوانحنا
الى شريف تلك المساكن حركت عوامله المعنوية من قلوبنا وجوارحنا
كل كائن وساكن حتى ذهلنا عن النظر في العواقب ولم نلتفت لفوت
جسم ولا مال ولم نعتبر ذلك ولم نراقب وخرجنا منقادين
بسلاسل الارادة لما شاء ان يوثرنا به سبحانه من عظيم هذه العبادة
وقيض لنا الرفيق الذي لم نكن لنفارقه والصديق الذي خلي بحلى
الصداقة والمودة بحوره ومفارقه والخليل الحبيب الصاحب الذي
الذي لم يكن له في خلته ومحبته من مثيل والاخ القائم باعباء الاخوة
لانه يرى الذهول عن حقوقها ليس من المروءة الفقيه الاوذعي
الكاتب المجيد الذي قلد بدرر اسجاعه الحلوة ونظامه المستعذبة
كل جيد اخانا ومحبنا وصفي ودنا ووفي عهدنا ابا عبد الله محمد بن
محبنا الفقيه الناسك العدل الارتقى الاتقى ابي عبد الله الخياط ابن احمد
الشهير بين الديار الحضرية الفاسية بابن جنيه المستنشق من اعراف
الاعراق واطيب الاخلاق نسيم الحسب واريجه اصلح الله الولد
ورحم الوالد وبلغنا جميعا من المقاصد كل طارف وتالد فقد كانت
لوالده رحمه الله تعالى فينا زيادة محبة اوجبت اخلاص مودة الولد
فلذلك لم نترك منها شيئا احبه وتخلى الولد حفظه الله بتلك المحبة
القديمة التي لم تزل على ممر الازمان مستديمة فكنا بتوفيق الله على عشرة
لم تعهد للغير ومساعفة ومساعدة شاهدة لنا بكل خير كل هنا الزم
لصاحبه من ظله واشد استغناء به عن اقاربه واهله شنشنة عرفناها
في زمن الصبا وجعلناها اشهى الى الروح من نسيم الصبا فلا تذكر
ملازمة الفرقدين بالنسبة لذلك ولا تعبا بما قيل عن منادمة عقيل ومالك

فهذا هو الود الذي تستديمه   ولا تسال عن مالك وعقيل
ولا تذكرن الفرقدين فودنا   على كل ذي ود زري وخليل

الود صح

نسال

نسال مولانا سبحانه ان يديم تلك المودة المحضة مصحوبة بالتوفيق
الى ان يرث الله الارض لان القلوب بيديه والامر كله لديه وكان
هذا الاخ بلغه الله امنيته ووفاه قصده ونيته قبل هاتين السنتين
بعام كلما تهيات الركاب للسفر سبح في بحر مدامعه وعام ولم يملك قيادا
لنفسه ولم يميز وحشته من انسه شوقا لتلك الاماكن المشرفة المكرمة
وتوقا لذلك الجناب الذي عظمه الله تعالى ومجده وكرمه فاذا اشتدت
اشواقه ونفقت ببضائع الوجد اسواقه طفق يغريني بطرايق الوجد
ويحثني على الرحيل الى تهامة ونجد فيسري ذلك مني الي ويستولي
بخيله ورجله علي غير اني اتصبر فلا اساعده على قوله لما اتحقق
من عدم قوتي وحولي واظهر له التمنع من ذلك لما اعلم من انا معا
لا قدرة لنا على سلوك تلك المسالك وان كانت القلوب لتلك
الرباع الرابعة راحلة بغير زاد ولا راحلة فما زال بي اعلى الله تعالى
قدره حتى شرح الله سبحانه صدري لما شرح اليه صدره واذهب عنا
الموانع والعلايق وارشدنا الى ان ذلك هو الامر اللايق فعند ذلك
لم يمكنا الا ان نرتضع من الاسعاف جميع الاخلاف ولم يسعنا بعد
ما ازهرت روضة الوفاق ان نستنشق زهر الخلاف فاخذنا جادين
في اهبة السفر وقد اضاء علينا بفضل الله تعالى صبح التيسير وسفر

ذكر خروجنا من فاس ومفارقتنا لتلك الشمايل الطيبة الانفاس

خرجنا من فاس الغراء التي لم ينظر لها نظير سوى الحرمين الشريفين
فيما اظلت الخضراء واقلت الغبراء الارض التي لم تزل رياضها
بماثر الكمالات اريضة ومحاسنها الباهرة طويلة عريضة ارض جمعت
ما تفرق في الدنيا من المحاسن وحوت ما لا يوجد في غيرها من الفواكه
المنوعة وانهار الماء الذي ليس باسن

ارجاؤها طبق المنى وهواؤها   يشتاقه الولهان في الاسحار
والطبع معتدل فقل عاشئته   في الظل والازهار والانهار

بلد تدفقت انهاره وتفتقت ازهاره واتسقت ابنيته واتسعت
افنيته فاذا تذكرت اشمه وبانه انشدت قول ابن اللبانة



بلاد اعارت الحمامة طوقها   وكساه حلة ريشه الطاووس
فكانما الانهار فيه مدامة   وكان ساحات الديار كؤوس
ارض تثنت الثراء ثراها وتبتهج النفوس مهما تراها ارض حازت
مصالح الدين والدنيا بغير شرط ولا ثنيا ارض ما زلت انشد
كلما شوقني اليها لذاتها واترابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي   واول ارض مس جلدي ترابها
وما ذا اقول في ارض اخرست محاسنها لسان الدين ابن الخطيب
وقد الف فيما جمع من البراعة والفصاحة والفضل والسماحة نفح
الطيب وما ادراك ما نفح الطيب وباي عبارة اعبر عن بلاد
عجز عن استيفاء بعض كمالاتها القلم والقرطاس وما رام رام ان
نصيب اغراضها ويبل سهامه من قراطيسها اغراضها الا نباسهمه
فاخطا القرطاس واذا طار صيت هذه الارض في الافاق وسما
قدرها على جميع الامصار في ساير الاعصار وفاق وسارت بمحاسنها
البادية في الحاضرة والبادية الركبان والرفاق واشتهرت مزاياها
اشتهارا جلت به عن المثال والنزاع واقر الخصم بما لها من الكمالات
وارتفع النزاع فلا يخدش في وجه جمالها الباهر وكمالها الظاهر
صيرت الفتن اعجازها صدورا واقعدت الشرور والمحن اوباشها من مقاعد
التصرفات صدورا واستولى امرها ارذالها دون اشرافها واكابرها
وتحكم انذالها في كراسيها ومنابرها فان الشرور ظلمه ولا يظلم احد حتى
يستوجب ظلمه وتراكم الاهوال موجب لتغير الاحوال وانقلاب الدول
مظنة الفتن من الزمان الاول على ان ذلك مستندر بالنسبة لما مضى
من تمام عافيتها وما هو ان شاء الله آت ومغتفر في جنب حسناتها العظام
ان الحسنات يذهبن السيآت • واذا المليح اتى بذنب واحد جاءت
محاسنه بالف شفيع • فمن رام ان يغنم صفوها بلا كدر اسرع النقلة
عنها قبل ايام الفتن وبدر والا زمع الارتحال عند انتقال الحال وقد
فارقنا محياها الازهر وانصرفنا عن روضها الذي بافنان فنون
العلم والعمل يزهر ونحن نستمد المعونة من القادر ونساله اللطف

والخيرة

والخيرة في جميع المقادر مصحوبون بالسلامة والعافيه مغمورون
في آلاء الله تعالى التي ليست بواهية ولا عافيه صبيحة يوم الاربعا
الرابع من رجب الفرد الحرام سنة تسع وثلاثين ومائة والف
لهجرة المصطفى صلى الله وسلم عليه وعلى اله وصحابته الكرام وكان الركب
خرج قبلنا في يوم الاثنين الثاني من الشهر المذكور محفوفا بالسعادة
والاقبال في الاصال والبكور وتاخرنا عنه نحن لمقتضيات اقتضاها
الحال مع مطر غزير تولدت منه اوجال واوحال فلما اصبح يوم
الاربعا بسمت ثغوره عن الصحو وهبت رياح الاقبال على السحايب
فمحت اثارها اي محو فخرجنا بعد ان استعملنا ما اشرنا اليه في المقدمة
الرابعة من التوديع والادعيه واقمنا بزيارة من امكنت زيارته
من الصالحين الصدور والاوعيه
وسالت الاله مولاي ان يخلفني   في جميع اهلي ومالي
فهو ارحم جل مني بهم   وهو ينيلني غاية الآمال
وختمنا الزيارة بشمس المغرب التي ليس لمشرق انوارها مغرب بغية
الآمل وملتقى القاصدين بالخلق الكامل بضعة الرسول ومنتهى
السول مولانا ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل اعاد الله على
جميع المسلمين من بركاته واختص هذا العبد الفقير باوفر نصيب منها
في سكناته وحركاته ليكون الركوع في ذلك المسجد الاعظم والخضوع
بين يدي ضريحه المعظم هو اخر العهد من تلك المدينة المباركة التي
ليست فخر ايا ها وما ثرها بمشاركه ثم قصدنا زيارة رجال باب
الفتوح والدخول في منيع حرزهم وختمنا بالامام الاكبر ابي الحسن
علي ابن حرزهم وخرج لتشييعنا جماعة من اصحابنا الاعيان واودا ثنا
الذين يقصر عن وصف جلالهم وصف علاهم الايضاح والتبيان
فمنهم من ودعنا بباب الفتوح والدموع منسكبة انسكاب الفتوح
ومنهم من فارقناه في اواسط الزيتون وسحايب المدامع تجري
فتزري بالعارض الهتون ومنهم من حملته المودة على الوصول
الى عنق الجمل ولم يعبا في جنب المحبة بما تكلف من مشقة الطين والوحل

وحمل فكان للبين بين هولاء القوم يوم واي يوم واني
بموقف من اعظم المواقف وترك المحبين ما بين جالس من جزع البين
وواقف سكروا بمدامة الفراق وهاموا بسلامة النوى واختاروا
ادامة الارتحال والنوى عن ملازمة المنوى في جنب الوجه الذي
نوينا اذ هو اكمل وجه وافضل نوى فيا ما اشح النفوس بنفيس
تلك الجموع ويا ما اسخ الاماق بسحايب الدموع في ذلك الموقف
العظيم الذي وقفت دون وصفه اليراعه وقفت آثار الكل
بالنسبة اليه كل فصاحة وبراعه موقف مدت فيه الى الله تعالى
ايدي التذلل والضراعه وحسر المشتاقون فيه ساعد الالحاح
في الطلب وذراعه وارتفعت الاصوات بالدعاء والابتهال
وانهار جبل الصبر الشامخ لعظيم جزعه وانهال وتوالت من النفوس
زفراتها واستولت عليها شدايدها وحسراتها واستعبرت
العيون فلا تسل عن سيل سحائب العبرات واستعبرت الاعيان
من ذلك الموقف حتى قصرت العبارات عن تلك العبرات فياله
من يوم غبط فيه المقيم الراحل وتمنى ان يطوى معه ولو على مقلتيه
نشر المراحل وجعل يتلو شوقا لتلك الاماكن التي لا تزال تزداد
تشريفا وتعظيما يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما ويا له من
مشهد استحلت النفوس فيه مرارة الفراق وحلفت ان لا يميل في ذوقها
لشراب الوصل ولو جاؤها بالفراق

فلا تعذلوا وتعجبوا من مقالها   فان الذي قالت هو الكلم الفصل
لان فراقا مثل هذا وحقكم   وصال لان القصد منه هو الوصل
الم تك فارقنا البلاد واهلنا   لوصل الذي في الكائنات هو الاصل
عليه صلاة الله ثم سلامه   ورضوانه ما اهتز في المهرك النصل

فلما سمع الاصحاب هذه الابيات المرتجلة طفقوا يعجبون من البداهة
والعجلة ويستحسنون معانيها الغريبة ومبانيها الفائقة
والتزاماتها القريبة ثم اخذوا يتناشدون من الاشعار مارق
وراق ويتذاكرون فيما قيل في مثل هذا اليوم من ايام الفراق

فمن

فمن منشد قول من لم يجد لسقام الوجد من منصف ولا راق

لا تسائلني عما جناه الفراق   حملتني يداه ما لا يطاق
اين صبري او كيف املك دمعي   والمطايا بالظاعنين تساق
قف معي نندب الطلول فهذي   سنة قبل سنها العشاق
واعد لي ذكرا العوير فكم ما ل   بعطفي نسيمه الخفاق
في سبيل الغرام ما فعلت بالعا   شقين القدود والاحداق
يوم ولت طلائع الصبر منا   ثم شنت غاراتها الاشواق

ومن مستحسن قول بعض الناس لما فيه من الجناس

ودعتكم فرجعت بعد وداعكم   ندما اعض من الفراق انا ملي
اما التصبر بعدكم فعدمته   ومن التشوق والغرام انا ملي

ومن مستجيد قول القائل المجيد

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا   ورايت كيف نكرر التوديعا
لعلمت ان من الدموع محدثا   وعلمت ان من الحديث دموعا

ومن مائل الى قول القائل

ولما بدا التوديع ممن احبه   ولم يبق الا ان تزم الرواحل
بكيت وابكيت العواذل رحمة   وحسبك من تبكي عليه العواذل

ومن جامع جميع الاوطار في قول من بان عنه الفه او طار

حلوا عقود اصطباري عند ما رحلوا   وفي الخمائل حلوا مثل امطاري
ان المنازل قد كانت منازه اذ   بانوا بها وهي اوطاني واوطاري

ومن قائل ان الراي الصالح هو انشاد قول المعافري محمد بن صالح

ودعت قلبي ساعة التوديع   واطعت قلبي وهو غير مطيع
ان لم تشيعهم فقد شيعتهم   بمشيعين تنفسي ودموعي

ومن ساكن حركته عوامل الاشواق فلاذ بقول القائل الاسواق

كيف طابت نفوسكم بفراق   وفراق الاحباب مر المذاق
لو علمتم بلوعتي وصبابا   تي ووجدي وزفرتي واحتراقي
لرثيتم للمستهام المعنى   ووفيتم بالعهد والميثاق

ومن قائل هل من صائغ مثل قول ابن الصائغ

قد اودعوا القلب لما ودعوا حرقا   فظل في الليل مثل النجم حيرانا
لا ودّ يستعير الصبر بعدهم   فقال اني استعرت القلب نيرانا

ومن اسوان فاضت عينه فيضان السواني فتمثل بقول القاضي الرشيد الاسواني

رحلوا فلا خلت المنازل منهم   ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم   وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا ارض العقيق عن الحما   روّت جفون عيوني اي ارض يمموا
نزلوا العذيب وانما هو مهجتي   رحلوا وفي قلبي المتيم خيموا
ما ضرهم لو ودعوا من اودعوا   نار الغرام وسلموا من اسلموا
هم في الحشا ان اعرقوا واتخذوا   او ايمنوا او اشملوا او اتهموا

ومن مشتاق • يردد قول من نزع لا حبته واشتاق •

غبتم فما لي في التصبر مطمع   عظم الجوى واشتدت الاشواق
لا الدار بعدكم كما كانت ولا   ذاك البهاء بها ولا الاشراق
اشتاقكم وكذا المحب اذا نأى   عنه احبته فقلبه يشتاق

ومن مغرق في بحر دمعه السايل • مغرم بقول القايل السائل •

ولي فؤاد مذ نأى شخصهم   ظل كئيبا مدنفا موجعا
ومقلة مهما تذكرتهم   تذرف دمعا اربعا اربعا
وليس لي من حيلة كلما   لجت بي الاشواق الا الدعا
اسال من الّف ما بيننا   وقدر الفرقة ان يجمعا

ومن مشوق غلبته العبرة فما زاد على ان توجع وتالم • وانشد بلسان حاله وما تكلم •

وموّدع يوم الفراق بطرفه   شرق من العبرات ما يتكلم
متلفت نحو الحبيب بغصة   لا يستطيع وداعه فيسلم

ومن داع الى قول من اعتبر حروف الجمع والوداع

كنا جميعا والدار تجمعنا   مثل حروف الجمع ملتصقه
واليوم صار الوداع يجعلنا   مثل حروف الوداع مفترقه

ومن مصبّر قلبه بقول من اعتبر من الوداع قلبه

اذا رايت الوداع فاصبر   ولا يهمنك البعاد
وانتظر العود عن قريب   لان قلب الوداع عادو

ومن

ومن منتصوب ترك الوداع منشد بقول من ليس له بطالع الوداع

عاقني عن حلاوة التشييع   ما ارى من مرارة التوديع
لم يقم انس ذا بوحشة هذا   فرايت الصواب ترك الجميع

ومن واله ناسج على منواله منشد قول الزين ابن الوردي تقوية لتصحيح تلك الحجه وتتمية لتوضيح هاتيك المحجه

من كان مرتحلا بقلب محبته   يوما فانك راحل بجميعي
وانا الذي ترك الوداع تعمدا   من ذا يطيق مرارة التوديع

ومن مخالف لهذا المذهب قائل ان عكسه هو الطراز المذهب محتجا بقول من اقام البرهان من فرسان ذلك الزمان

ارايت من يرضى بفرقة الفه   انا قد رضيت لنا بان نتفرقا
حتى افوز بقبلة في خده   عند الوداع ومثلها عند اللقا

الى غير ذلك من الانشادات التي لست استوفيها ولو وضعت مولفا مستقلا فيها غير ان آخر ما سمعته من الانشادات بين هولاء السادات قول من فاضت دموعه لمفارقة احبته وودعته جموعه

اودعكم واودعكم جناني   وانثر ادمعا مثل الجمان
ولو نعطى الخيار لما افترقنا   ولكن لا اختيار مع الزمان

وقد تكلفت القريحة الجامدة فما وصلت وان صالت وقالت تتكلف الاعتذار لاحبتها حتى قالت

نودّعكم ونودع اللب والقلبا   لديكم ايا من لم يزالوا لنا قلبا
ونسالكم ان تعذرونا وتسمحوا   ولا تعذروا كلا ولا تكثروا عتبا
وما كان هذا البين والله عن رضى   ولكنه وصل نطيع به الربا
وفي ضمنه زيارة المصطفى الذي • له خلق الله المشارق والغربا
عليه صلاة الله ما ذر شارق   وما طلعت شمس فاذهبت الشهبا

ولما لم يبق الا التوديع ودعناهم واودعناهم من عظيم الشوق ما اودعناهم فرجعوا ودموعهم تعثر في اذيال الفرقة وسرنا آمنين في اعظم رفقة واكرم فرقة ولما ادبر الناس اقبل على الاخ الذي لست لعهده ومحبته بالناس والصحيب الذي لم تزل مودته

في القلوب راسخة والمودة الذي لم تبرح آي محبته لكل محكم من
الوداد ناسخة الفقيه الاستاذ النبيه والاديب الذي مازالت
آدابه اللطيفة تنبي عن نباهة ابن النبيه من لا انسى محبته وعشرة
عشيتي وبكوري صاحبنا ومحبنا الاعز ابو العباس احمد بن محمد
التكوري اعز الله جنابه وكفاه ما نابه فناولني رقعة لا اقوم
بحقوقها ولا استوفيها ففتحتها فاذا هي مكتوب فيها

قد سرت يا ابن الطيب الطيب   لزورة البيت من المغرب
في رفعة موصولة ابدا   ورتبة تعلو على الرتب
لا زلت ترقى في سماء العلا   حتى ترى في الركب كالكوكب
وربنا يردك في نعمة   كي لا يرى الغرب بلا طيب

والسلام عائد عليك وبعد منصرفه عني بعث لي قصيدة اخرى
مازلت اعدها غنيمة وذخرا اجاد في صنيع مبانيها ما شاء وابدع
في بديع معانيها الانشاء واطال فيها القول واطاب وملأ
العيبة والوطاب بمرسل حديثها المسلسل المستطاب ونصها بعد
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

تاهب فركب الحج قد كاد يرحل   ايا من له شوق على الشرق يحمل
اذا ما حدا الحادي لطيبة معلنا   بدت جمرة بين الجوانح تشعل
ومذ ودعوني ودعت مقلتي الكرى   وقلبي على جمر الغضا يتململ
هنيئا لذاك الركب كم حاز من علا   فصحبته ذخر لمن هو يعقل
ولم لا وفيه العالم العلم الذي   افاض عليه الله ما كان يسأل
محمد بن الطيب الطيب الذي   له همة عنها العوالم تنزل
له الفقه والتوحيد طوع يمينه   ونحو وتفسير به يتفضل
وقد صار في المعقول في الدهر عمدة   يقسم اجزاء القضايا فيعدل
وان جئته تشكوا اليه عويصة   بدت لك من عرفانه تتذلل
تصرف في علم البديع حقيقة   فانسى صفي الدين ما كان يفعل
وانسانا الفتح بن خاقان نثره   بطرس ومن نثر الحريري اجمل
وفي الشعر والترسيل مازال قدوة   اذا قال خلت السحر في القول يجعل

آنانا بآي من نتائج فكره   لقد ذهلت من لا اخاله يذهل
بخط به انسى ابن مقلة خطه   اذا ما رآه قال خطي مشكل
اراننا زهيرا وامرأ القيس والفتى   لبيدا ومن حبك ابن زيدون افضل
شربت بها كاس البلاغة مترعا   فملت بها وجدا كما مال منثمل
فقلت اذا قالت خذام فصدقوا   مقالتها فالصدق للمرء اعدل
فكم من قصيد عنده وحديقة   تسليك عن حور الخيام وتغزل
فلا زلت ابغيه واهتف باسمه   وامدحه لو ان نظمي يسهل
اخي وصفيي بل وشيخي وسيدي   اسائل عنه الريح ان هبت شمال
واندب اطلالا بها كان جمعنا   على نظم آداب بها السعد يكمل
فيا اهل سلع والنقا وديار من   بيارقة الخيف اسمعوا النصح واقبلوا
اذا ما اتى ابن الطيب الدهر عندكم   فقوموا على ساق اليه وعجلوا
يمينا فما في الشرق من هو مثله   ولا احد فيكم عليه المعول
فهذا الذي ان قال قولا اتاكم   بسحر وان ما رام شرحا يطول
سلوه على نظم الفصيح لثعلب   يريكم له شرحا به الشرق يحجل
وان لاح اسفار اللثام اراكم   شواهد ترضى في الخطاب وتقبل
ومهما بدا اسمط الفرائد فاغنموا   فوائده فالعلم فيه مكمل
وان يبد تحرير الرواية فارنوا   معين معانيه التي تتسلسل
وكم له في التلخيص تخليص شاهد   غدا كل عقل عن معانيه يعقل
الى كتب لا استطيع حسابها   غدت في فنون العلم طرا تفصل
وان رمتم سرد الحديث فعنده   احاديث ما فيها حديث معطل
فمن كان ظمآنا الى العلم منكم   فها هو ذا ابن الطيب اليوم منهل
عليكم به لا تقربوا عوض غيره   ففيه لكم كل المنى والمؤمل
عليه سلام الله ما فاح عرفه   بشرق وما سار الحجيج المفضل
وما انشد المشتاق من كلف به   خليلي ركب الحج قد كاد يرحل

قلت في قوله سلوه الابيات الخمسة تلميح الى ذكر بعض مؤلفاتي
وتمليح بشيء من مصنفاتي فاشار بالبيت الاول الى شرحي لنظم مالك بن
المرحل الذي لبس من حلل البلاغة كل وشي مرحل وهو شرح حافل

بمينه موطئة الفصيح لمواطاة الفصيح وقد بالغ اصحابنا في الثناء
عليه وقرظوا عليه من الاداب ماهو جائز بنسبته اليه وسياتي بعض
اقوالهم البديعة الرائقة في مدح ذلك الكتاب والثناء على معانيه
الفائقة ولمح بقوله وان لاح اسفار اللثام البيت الى كتابي المسمى
باسفار اللثام عن محيا شواهد ابن هشام وبقوله ومهما بدا
سمط الفرائد البيت الى كتابي المسمى بسمط الفرايد فيما يتعلق
بالبسملة والصلاة من الفوائد وبقوله وان يبد تحرير الرواية
البيت الى كتابي المسمى بتحرير الروايه في تقريرا لكفايه وبقوله
وكم لى في التلخيص البيت الى كتابي الموسوم بتخليص التلخيص من
شواهد التلخيص وقد اشتملت هذه القصيدة الفائقة على انواع
من البديع بديعه وحازت من اجناس الجناس مستحسنه وبديعه
مع انطلاق تلك القريحة القويه وانسجامها وورود معانيها
من معين المودة اذ لا ترتاح الارتياح لغير انين جامها وصدور
هاتيك الامداح عن صدر صادق المحبة وقلب قلب بين شغاف
الشغف شغافه وحبته وجمع اوصاف تمام العهد واصناف
دوام الود فلم يترك منها مثقال حبه ومحبة خالصه ليست كدر
على خالصه قضت على هذا المحب ان تتولد عن فكرته هذه الخريده
الحائزة من جواهر الثنا كل فريده وان كنت لست باهل لذلك
ولا مغتر بما هنالك بل اعتقد والله رقيب وشاهد انى على
النقيض من جميع ما تضمنته من الاوصاف المديحية هاتيك الشواهد
فان اجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس فنسال
مولانا سبحانه ان يجعلنا فوق ما يظنون ولا يواخذنا بما يقولون
كما نسال الله تعالى ان يكافئ هذا المحب على نيته ويكون له في سره
وعلانيته ويجعل محبته لاشياخه غنيمة له وذخرا وينفعه
بطويته دنيا واخرى بقوته وحوله وكرمه وطوله ولما توجهنا
الى طريق عنق الجمل الفيناها لا تسلك بحافر ولا جمل جمعت
الطين والاوحال ومنعت الرجال والرحال فاخذنا في ذات

اليسار

اليسار رغبة في اليسار وعدلنا عن الطريق المالوفة عن اليمين رجاء
السلامة بسلامها والمعونة بكلامها والبركة والقوة واليمين
ولم نزل سائرين ما بين تلال وهضاب وشماريخ لا تسال عن تيل
الشماريخ ولا عن هضب الهضاب وكلما وافينا شعبة او شعبا
الفينا بنواحيها من الاعراب قبيلة او شعبا فيبادرون الى
تلقينا باللبن والحليب ويقولون مرحبا بزوار الحبيب فازددنا
نشاطا بتلك الفالوت الحسنه ورايناه في الانفراد عن الطريق
الاولى حسنة واى حسنه وبعد الزوال انحدرنا الى ول الطريق
واد ركنا من سلكها في اوحاله عزيق فلما سلمنا عليهم اخذوا في
التعجب والارتياب حيث ايناهم انقياء الثياب ونزلنا بالنخيلة
لنتطهر بواديها لصلاة الظهرين ونجلوا عن القلوب بادا
تلك العبادة كل دين ثم جددنا تسياره لندرك من تقدمنا كل حين
من السياره ومازال الناس يجتمعون بعشائرهم ويجمعون
لملاقاتهم ما يستبشرون به من بشائرهم وكان اصحابنا تقدموا
في الرحيل الاول فلم ندركهم حتى اشفى الشفق على الغروب وعول
فالفيناهم نزلوا الغور ما بين نجد وغور فنزلنا منا هبين لصلاة
العشاء ووجدناهم جادين في مناولة صلاة العشاء فبتنا هنالك
حتى طلع الفجر واغتنمنا ما في صلوته من المثوبة والاجر وارتحلنا
صباح الخميس مستمدين العون من مولانا وما دين له ايدى الشكر
والحمد على ما اولانا فظللنا سائرين في طريقة ارتحلت عنها هيون
الاوطار وان غادرت من الغدران والعيون ما لا تستغنى عنه الاوطار

ووافيت ما بين الظهيرة والعصر … ضريح امام العارفين ابي بكر
وجددت في الوادي الطهارة سائلا … من الله تطهيرى من الذنب والوزر
وصليت فيه الظهر وارحت ساعة … وصليت ايضا فيه ركعتي العصر
واقبلت ادعو الله جل بجاهه … ييسر لى في كل ما ارتجي امرى
ويمنحني التيسير منه تفضلا … فربى تعالى يبدل العسر باليسر
الى ان ارى في مكة متمايلا … تمايل زهوا لا وصل لا ميلة الكبر



ومن بعدها اسمى بطيبة طيبا … اجار اذا جاورت طه من الجور
اعفر خدى حول تربة احمد … فترب رسول الله ازهى من التبر
وطيبة كل الطيبات بطيبها … تفوح فلا تسال عن العنبر الشحى
فنسئل مولانا بجاه محمد … وطيبة والبيت الحرام وبالحجر
يمن علينا بالوصول اليهما … جميعا بلا قطع يكون ولا هجر
ويرفد هذا الوفد من فيض رفده … بما املوا فى ذا المقام من الخير
الى ان يفوزوا فى منى بمناهم … ويمنح كل منهم رابح التجر
ويسعدهم فى طيبة طيب سعدهم … بزورة خير العالم النائل البر
محمد المحمود فى الكتب كلها … بالسن اهل الافق والبحر والبر
واذ مدح المولى الكريم بنفسه … سنا خلقه الممدوح فى محكم الذكر
فماذا يقول المادحون باسرهم … ولو ملاوا الافاق بالحمد والشكر
عليه صلاة الله ماحن شائق … اليه وما اعيت مدائحه فكرى

فلما قضينا الارب من الراحة واقتضينا من الاجابة ما ملاء الراحه
اخذنا فى الصعود لعقبة بنى مجاره الكبيرة المسافة الكثيرة الحجاره
فادركنا الليل قبل الانحدار عنها وبتنا فى راسها مع من لم يمكنه
الانفصال عنها وارتحلنا منها صباح الجمعه لندرك شيخ الركب
ومن تقدم معه ودخلنا مع اشراق الشمس فى حوز الشيخ محرز وتوجهنا
لزيارته والدخول فى حصنه الاحرز

وجئت بكل ما اعيى واعوز … اؤم به مقام الشيخ محرز
وانزل عنده آمال ركب الحجيج … فلا يخاف وليس يشاز
فان مقامه فى قطر تازا … لاودوا الرجا مازال مركز
فيا مولى الموالى هذا وفد … نوى البيت الحرام وما تنجز
وانت امرت بالدعوات ربى … وانت اجل من انجى وانجز
فنسئل من نداك الرحب وصلا … الى الحرمين توصيلا معزز
بحق محمد خير البرايا … وافضل من تسامى او تعزز
ومن فاق الانام بلا اشتراك … وحاز المجد اجمعه واحرز
عليه الله صلى كل حين … وسلم ما انثنى غصن وما اهتز

ووالى

ووالى بالرضى الاصحاب طرا … وال المصطفى والشيخ محرز

ونزلنا تازا ضحى ذلك اليوم واقمنا بها لاجتماع جميع القوم ولما
قرب الزوال توجهنا للمدينة لنغنم بها صلاة الجمعه وننال من
فضل الله الخير اجمعه فقصدت مسجدها الجامع الذى هو لاشتات
المحاسن جامع مسجد ربى على جل مساجد المغرب وحاز كل صنع بديع
ووشى مغرب وانفرد بالثريا التى فاقت فى سناها الثريا والقبة
المحرابية التى لم تزل على سائر القباب رابيه والمنبر الذى لم تزل
درر اعواده المقلدة على غرر اجياده ازهى من العود والعنبر
فاى مسجد احرز هذه الثلاث الخصال وقال المورخون انه فاق بها
على الافاق وصال الى فساحة الساحة وسعة الافنيه ورحابة
الرحاب واتقان الابنيه وغرابة صحنيه الصغير والكبير وغير
ذلك مما يقصر دونه التعبير وبقيت فى زيتون الصحن الكبير
انتظر الصلاة والخطبه واستدفع بحضورهما ريب الزمان
وخطبه حتى خرج من بيت الخطابة رجل تدل ذاته على اميته
وخطبته على عاميته فقضينا تلك الفريضه والقلوب من اندثار
العلم وانقراض العلماء مريضه ثم خرجنا لنجول فى تلك الارض ونقضى
من الحوايج السفرية ما يتاكد تاكد الفرض فالفيناها بلدة حصينه
متمنعة رصينه نصبت على يفاع وارتفعت بين الجبال اى ارتفاع
فكانت قلعة لا تنتشر عواصف هبوب الارواح وانقباض النفوس
من الغرباء والادواح غلبت عليها احوال البادية دون الحاضره
وتيسرت لاهلها اسباب الفلاحة فهى لديهم بادية حاضره وقد
راينا فى اطرافها واواسطها من اثار الاندثار والخراب وعاينا
خلال ديارها من دمن السرجين والتراب ما دل على ان املاكها
فارقت ملاكها وبان بين بانات ديارها للفساد غراب واى غراب
فلا بدع ان اعرضنا عن اوصاف القاطن بها والساكن لان
اللبيب يستدل على ذلك بما اومانا اليه فى اوصاف المساكن وفيها
من المساجد ما فيه غنية للراكع والساجد ومن المزارات والمشاهد

ماينتفع بقصده والوقوف عليه للغايب والشاهد وقد زرنا من
امكننا زيارته من مشاهدها كمشهد سيدى محمد بن الجيش وسيدى عزوز
وسيدى واضح وسيدى على الجيار وسيدى ابى الفتوح وسيدى
موسى الجيلانى وسيدى على الدرار وسيدى عبد الله متعددا فى اماكن
منها وفى خارجها مشهد الامام ابى الحسن سيدى على بن حرى وسيدى
الخفاف وغيرهم ممن لم نعرف اسمه نفعنا الله تعالى بهم واعاد
علينا وعلى جميع المسلمين من بركاتهم امين ولقينا بها جماعة من
اصحابنا الذين اتخذوها وطنا وصيروها بعد مفارقتنا عطنا
وسرنا فوصلنا مع الاصفرار الحلويه فبتنا على ربوتها المشرفة العلوية
وارتحلنا يوم الاثنين فظللنا بالشريعة وقد ابدى لنا فيها زمان
الربيع من افنان الربيع ذيقه وريقه وسرنا منها فبتنا فى ارض
عارية من النبات خالية من البنين والبنات وارتحلنا يوم
الثلاثا فسرنا حتى وصلنا وادى ذبذوا وهو جبل عظيم لم تزل
العربان عليه تندوا يتحدر من اعلاه ماء كثار لا يبالى ورده جماعة
او كثار فاخذنا الناس فى الاستقاء والطهر واداء صلاة العصر
بعد الظهر ثم تجاوزنا ذلك الوادى وبتنا بقرب فم بلزوز امنين
من عدو العوادى وارتحلنا يوم الاربعا حادى عشر رجب ودخلنا
فم بلزوز الوادى العظيم الذى يقضى من شق تمنعه العجب استدار
كالافعوان بين الجبال يمينا وشمالا وتعمق بين الاكام فلا تكاد
تلقى به جنوبا ولا شمالا وفى اثنائه ظهرت لنا هضاب عاليه
قيل لنا ان بها ضريح للامام المشهور بالكرامات العزيزة الغاليه
ابى الحسن الرضى على بن المسامح • جليل العطيات الحليم المسامح •
ثمال الوفود القاصدين جنابه • ومكرمهم طرا باسنى المنايح •
فتوجهنا بالنية اليه اذ لم يتيسر لنا الوقوف عليه لانحرافه عن
صوب الطريق وعدم الاقتدار على ارتقاء جبله الشاهق لضعف
الطريق وقلة الرفيق فى ذلك الفريق وسالنا الله تعالى بجاهه
ان يبلغ المقاصد من كل قاصد ويعم بسيبه الحاضر كل باد

وحاضر

وحاضر وهو سبحانه يجازى ببلوغ الامنيات على النيات لانها
ركن الزيارات فلا تتوقف على مباشرة المزارات ثم توجهنا لدخول
الظهره فالفيناها تفصم عرا سالكها وتقصم ظهره ارض تكل
دون وصفها الاقلام وتعيى دون نصفها الاقدام وتضل
فيها القطا وتقصر عن ادناها الخطا عرضت وطالت وصالت
على كل تيهاء وطالت وخلت حتى لا تكاد تلقى بها الانيس ولو
التمسته من اليعافير والعيس وبتنا بقرب جبل يسمى اقارة الشا دفة
فى اوايلها سائلين من الله ان يومننا من غوائلها وارتحلنا يوم
الخميس واغصان رياض الزهور السرور علينا تميس فظللنا بوادى
بنى مطهر الذى هو مجلى جلاء الخصب والكلا ومظهر وصلينا به
صلاة الظهرين فظفرنا بغاية الصلاة والقرب واستقينا من
مائه النمير الذى لا تكدره الدلاء ولا تنقصه القرب وتجاوزناه
بقريب وبتنا فى نعمة تسلى الحزين وتطرب الغريب وارتحلنا منه
وسرنا حتى وصلنا المنقوب بالقاف المعقوده وهو واد عظيم
استقلت عقده لما انبت الله عقوده غيران ماءه كاد ان يعجز عن
تكميل الاوطار لولا غدران غادرها فيه الامطار وتفرق الناس
فى كل ناحية يحفرون فيها فيجم لكل طائفة من الماء ما يكفيها حتى
اكتفى الناس كلهم وذهب عنهم تعبهم وكللهم ثم ادينا الصلاة
وقتنا وتجاوزنا ذلك الوادى وبتنا وارتحلنا نجد الجادة
بامتطاء الاكام وانتعال الغيطان حتى اتينا على بيار السلطان
وهى ابار عديده ذات مياه اجرها وافرة مديده فاستقى الناس
ما يكفيهم منها لعدم استغنائهم عنها ثم سارت الابل امام والخيل
تتقدمها كالامام وبقينا نحن خلفها لا نضع شدى الراحة ونشترى
خلفها حتى صلينا الظهر والعصر وعصرنا النهار من الهاجرة اى
عصر وسرنا نقص اثر الركب السابق ونعمل فى الوصول اليه نص
السوابق فلحقناه بعد المغرب وقد ضرب الخيام اى مضرب فبتنا
فى عيش هنى ونعيم مطرب وارتحلنا قاصدين ابا الضروس المخوف

برقيق الرمال ودقيق الضروس فنزلناه الضحى ناوين اقامة ذلك
اليوم لاستراحة المراحل والقوم والاستعداد من مائه للمفازة
التي استقبلناها امام اذ لم يكن لنا بالماء فيها المام وارتحلنا
خائفين من العطش اشد الخوف اذ لم يكن لنا بحصول الماء تيقن ولا
خوف فكان الامر بخلاف ماظن الناس وامتن علينا مولانا تعالى لعله
بيوم لسنا لكثرة برده وبروده بالناس من فضل الله سبحانه وبركة
رسوله عليه السلام التي لم تزل على الافاق فائضة سبحانه فظللنا
سائرين غير خماص ولا ظماء وبتنا على غير ماء وارتحلنا نؤم عين
الحسني فوصلناها وقد وجدت سيوف مائها اللجيني ونزلناها
ناوين الاقامة لنستريح في نعيم تلك الخصابة ونستقي من معين
تلك المقامة وارتحلنا منها فبتنا بالقصاع وهو موضع سمي بذلك
لاشتمال حجارته على نقر عظام تشبه القصاع ومنه اصبحنا على
القصيعات بالتصغير وهي نقر صغيرة حول حجارتها غدير صغير
فالفينا المطر قد غادر بغديرها مياها قليلة فتسارعت لشربه
الابل الكليلة وسرنا حتى قربنا من عين الحجر وبتنا ما بين اذخر
وذخيره وجليل وجليله وارتحلنا فاصبحنا ضحى على عين الحجر فالفينا
من اثرها قد منع الخراب عمرانها وحجر وحثثنا السير فوصلنا ظهر
القرية المشرية فتعرض اهلها للحجاج واخذوا معهم في البيوع
والاشرية والفينا فيها من السمن والاغنام ما فيه غنيمة الانام
وزرنا فيها روضة الشيخ محمد العمري الملقب بمولى الخلوه وروضة
الشيخ عبد الرزاق المجلد في تلك الخلوه نفعنا الله وجميع المسلمين
تلك المزاره وغفر لهذا العبد المذنب مآثمه واوزاره وخرجنا
بعد قضاء المآرب لبابها فادينا من دين الفرايض ما نسال الله
ان يجعله من خالص العبادة ولبابها وسرنا حتى مالت الشمس
للاصفرار ونزلنا بحكم الاضطرار وارتحلنا فظللنا سائرين حتى
اذنت الشمس بالمغرب فنزلنا مسرعين لاداء صلاة المغرب فبتنا
بواد قبيل النخيلي بعدما اشرفت على الاشفاء في الوصول الشرفه

رجلي

رجلي وخيلي وارتحلنا فاتينا النخيلي وقد اشرق الصباح ولا
اشراق الوجوه الصباح وهو النخيلي تصغير نخل التمر اعزه ياء نسب
ورايت في بعض الرحل انه مخيليف بابدال النون ميما وبزيادة
الفاء بعد المثناة التحتية وكانه تصغير مخلاف وهو الكورة ومنه
مخاليف اليمن كما في القاموس وغيره وبعضهم يسميه نخيل تصغير نخل
من غير ياء ولا تعريف وهذا الموضع فيه يجتمع طريقة الركب
الفاسي مع السجلماسي وسرنا منه حتى تجاوزنا واديا عظيما يسمى
وادي الطرفا وبتنا نسامر من المواكب طرفا ومن الكواكب طرفا
وارتحلنا فاصبحنا ضحى على وادي الاشبور وهو واد عظيم لاماء به
فضلا عن السمك والاشبور كثرت في جوانبه اجناس النبات والشجر
وكثرت في نواحيه آساس الجبال والحجر اكتنفته شواهق الجبال
وحف باصوله من معادن الملح ما لم يخطر ببال فاخذ الناس ياخذون
من هاتيك الملح ولم يعرجوا على مائه الاجاج الملح غيران به عينا
اقرت بمعينها من الركب عينا اكتفى بمائها الحجاج عن غيرها من
الماء الاجاج وسرنا نحوا من ثلاثة اميال بين تلك الاطواد ثم اشرفنا
على مدشر خرب لم يبق الا اثاره بعد ذلك الواد وبعد مجاوزة
ذلك المدشر الفينا معشرا من الاعراب ينتظرون الحجاج واي معشر
فطلبوا من الشيخ النزول لاقامة السوق فما اجابهم الا والناس
قائمون على سوق فتجاوزناهم حتى توسطنا شماريخ البور وبتنا
على غير ماء سوى ما سقينا من عين وادي الاشبور وارتحلنا
فاصبحنا بعين ماضي بعد اعمال السير الحثيث الماضي فاتخذناها
الرحال وحللنا السجال واخذنا نتنعم في مائها العذب الفرات
الذي هو ازهى من النيل واشهى من الفرات عم ماؤها جميع تلك
الارجاء بالانتفاع وشمل القاع واليفاع وقامت بين الحجاج
واعرابها سوق عظيمة لا يعبر عن اعرابها وقد حاز اهلها من
كرم الاخلاق اوفى حظ واوفر خلاق اكثرهم للقران حافظ
وبالعرفان لافظ واما نساؤها فانهن من ازهر النساء سناء وازهاها

نوع من السمك

[illegible]

وابهرها سنًا وابهاها عيون فواتر امضى في القلوب من السيوف
البواتر وقدود زواهر ازهى في العيون من الغصن الزاهر وقد
بالغ ارباب الرحل في مدح ذلك الجمال ومدوا اطناب الاطناب في
وصف ذلك الكمال فلذلك صبا القلب لذكر ذلك فقال لما مال

عين ماض بها عيون مواض فاعلوت فعل السيوف المواضي
والتفات الغزال لما غزالي صائلا صولة الاسود المواضي
وقدود تزهو اذا قدت القلب ازدهاء الاغصان بين الرياض

غيرانا اخبرنا انهن لا يستعملن الماء في الاغتسال لانه يضر بابدانهن
مهما قطر عليها وسال وقد ورد علينا سائل بين موجب ذلك
واوضح عذره قائلا ان ذلك الماء يسقط حمل الحوامل ويذهب
من الابكار بالعذره وكنا اجبناه بان عدم الاغتسال ربما يخف
في حق العذارى والحوامل فقط لهذه الضرورة الكبرى واما غيرهن
من الفارغات البطون والايامى فلا يعذرن بترك الاغتسال
اذ لا ضرورة تلجئهم لذلك والله سبحانه اعلم وارتحلنا من عين ماضي
باتين على التخفيف كل مستقبل وماضي وسرنا حتى قابلنا بمحوت
وهي قرية حافله ما زالت في جلابيب السعة والرفاهية رافله
اشتملت على بساتين وجنان وحدايق احدقت السرور بكل جنان
ولم ندخلها لانحرافها يسارا عن الطريق لكن خرج من اهلها
لتلقينا كم من فريق فبقي الركب مع هوء الاعارب ريثما قضوا
المآرب وسرنا نطوي نشر تلك الفيافي بها بعد بها حتى مالت
الشمس للغروب وبتنا على غير ماء وارتحلنا فاصبحنا عند ارتفاع
النهار على الاغواط البلدة المحمودة الانجاد الممدوحة الاغواط
قال فيها ارباب الرحل انها بلدة واسعه ذات ارضين واسعه
ومحارث كثيره وفواكه متنوعة غير انها كثيرة الرياح والرمال
حتى قيل ان الرياح ذهبت بقرية من قراها باهلها وطمست عليها
الرمال ولم يبق لها اثر نسال الله السلامة والعافية ولما وصلناها
خرج اهلها لملاقاتنا وطلبوا من الشيخ النزول عندهم للتسويق

واشترا

واشتراء السلع المغربية وبيع السويق فساعفهم بذلك بعد تمنع
شديد لما راى في اقامة السوق هنالك لنا ولهم من الراي السديد
ونزلنا قبالة نخيلهم الباسقه وقصورهم المتناسقه وبتنا
الجماج اخذين الحذر هنالك لما يعتادون فيها من النهب والسرقه
وغير ذلك وقامت بينهم سوق حافله كفيلة بمقضيات الركاب
العظيمة فضلا عن القافله وورد علينا هنالك جماعة من الطلبة
فيهم اخونا في الله ومحبه شيخنا ووسيلتنا الى ربنا والواسطة
بيننا وبين نبينا الامام ابو العباس احمد بن ناصر اعاد الله علينا
وعلى المسلمين من بركاته ونفعنا بسكناته وحركاته والفقيه المسن
الخير الناسك ابو زيد السيد الحاج عبد الرحمن الفجيجي وولده الفقيه
الانجب صاحبنا السيد اسمعيل واكرمونا بانواع التمر والخضر والفواكه
جزاهم الله خيرا وتناولنا معهم مسايل متنوعة في الفنون العلمية
وورد علينا سوال يتضمن البحث عن رواية الاستتار في البول
واستشكال عده من الكبائر في البخاري حيث قال باب من الكبائر
ان لا يستتر من بوله وكنت اجبت عنه بان معنى الاستتار التحرز
والتوقي والتحفظ من البول كما تدل له الاحاديث وان الاستتار
افتعال من السترة وقول ابن مرزوق انه استفعال لا افتعال
سبق قلم كما لا يخفى وصوابه افتعال وفي رواية يستتر بمثناتين
فوقيتين هو الذي في اكثر الروايات وفي رواية ابن عساكر
يستبرئ بموحدة ساكنة من الاستبراء ولمسلم وابي داود من حديث
الاعمش لا يستنزه بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء هذا حاصل
ما ذكره القسطلاني من الروايات وقد وقع عند ابي نعيم في المستخرج
من طريق وكيع عن الاعمش لا يتوقى ونقلها ابن حجر ايضا مع ما سبق
من الروايات وقال ابن مرزوق في شرحه انه روي لا يتاذى قال
وفي كلام بعضهم ما يقتضي انه روي لا يستنثر يعني بالمثلثة وهو
استفعل من النثر اي لا ينفض ذكره من البول فان صح رجع الى
لا يستبرئ وهذه الرواية التي فهمها ابن مرزوق من كلام هذا البعض

في غاية الغرابة والله اعلم فمعنى لا يستتر يجعل بين جسده وثوبه وبين
البول سترة اى وقاية منه اى من لا يستتر فقد فعل كبيرة وهو
ترك الاستتار ومعنى لا يستبرئ اى لا يطلب البراة من البول
ولا يفعلها ومعنى لا يستنزه لا يطلب النزاهة وهي التخلص والبعد
من البول وهي كلها متقاربة قال ورواية لا يستتر وان امكن
حملها على كشف العورة لكن ببعده من البول بمن التعليلية وكشف
العورة محرم سواء كان من اجل البول او من اجل غيره الا ان يقال
اذا كان كشفها من اجل البول محرما مع الحاجة اليه فمع غيره احرى
فهو من التنبيه بالادنى لكن تبويب الصحيحين وغيرهما يدل على ان
الايمة انما فهموا الاستتار بمعنى التوقي وهو وان كان مجازا من
التشبيه والاستعارة لكن قرينة اتصاله بمن وتحريم الكشف مطلقا
يرجحانه على حمله على الحقيقة وكذلك ما جاء من التصريح بهذا المعنى
فيما روى تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه قاله ابن مرزوق
في شرح البخاري وقال ابن حجر بعد تحرير الروايات فعلى رواية الاكثر
معنى الاستتار انه لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه
فتوافق رواية لا يستنزه لانها من التنزه وهو الابعاد وقد وقع عند
ابي نعيم في المستخرج من طريق وكيع عن الاعمش كان لا يتوقى وهي مفسرة
للمراد واما رواية الاستبرا فهي ابلغ في التوقي وتعقب الاسمعيلي
رواية الاستتار بما يحصل جوابه فيما ذكرنا قال ابن دقيق العيد لو
حمل الاستتار على حقيقته للزم ان مجرد كشف العورة كان سبب
العذاب المذكور وسياق الحديث يدل على ان للبول بالنسبة الى
عذاب القبر خصوصية يشير الى ما صححه ابن خزيمة من حديث ابي هريرة
مرفوعا اكثر عذاب القبر من البول اى بسبب ترك التحرز منه
ويؤيده ان لفظ من في هذا الحديث لما اضيف الى البول اقتضى نسبة
الاستتار الذي عدمه سبب العذاب الى البول بمعنى ان ابتداء
البول سبب العذاب من البول فلو حمل على مجرد كشف العورة زال
هذا المعنى فتعين الحمل على المجاز لتجتمع الفاظ الحديث على معنى واحد

ويؤيده

ويؤيده ان في حديث ابي بكرة عند احمد وابن ماجه ان احدهما يعذب
في البول ومثله للطبراني عن انس وقال القسطلاني بعد تفسير
الاستتار بالتحفظ والتوقي والابعاد ولا يقال ان معنى لا يستتر
يكشف عورته لانه يلزم منه ان مجرد كشف العورة سبب للعذاب
المذكور لا باعتبار البول فيترتب العذاب على مجرد الكشف وليس
كذلك بل الاقرب حمله على المجاز ويكون المراد بالاستتار التنزه عن البول
والتوقي عنه اما بعدم ملابسته واما بالاحتراز عن مفسدة تتعلق به
كانتقاض الطهارة وعبر عن التوقي بالاستتار مجازا ووجه العلاقة
منهما ان المستتر عن الشيء فيه بعد عنه واحتجاب وذلك شبيه بالبعد
عن ملابسة البول وانما رجح المجاز وان كان الاصل الحقيقة لان
الحديث يدل على ان للبول بالنسبة الى عذاب القبر خصوصية فالحمل
على ما يقتضيه الحديث المصرح بهذه الخصوصية اولى وايضا فان لفظة
من لما اضيفت الى البول وهي لابتداء الغاية حقيقة او ما يرجع الى
معنى ابتداء الغاية مجازا يقتضي نسبة الاستتار الذي عدمه سبب
العذاب الى البول بمعنى ان ابتداء سبب عذابه من البول واذا حمل
على كشف العورة زال هذا المعنى والحديث تتعلق به وجوه كثيرة
ومباحث اعرضنا عنها اذ ليس هذا محل بسط الكلام فيها مع كونها
لم تتعلق بها غرض الباحث وفيما اشرنا اليه كفاية لمن له بمباحث الكلام
دراية والله اعلم سبحانه وارتحلنا من الاغواط نحث المسير فوصلنا
وادي الحوت عصرا واستقينا منه وبتنا بعد مجاوزته بيسير
وارتحلنا فوصلنا بعد ارتفاع النهار دمث وبعضهم يسميه دمد
بالدال بدل المثناة الفوقية وهي قرية على سفح جبال عن يمين الذاهب
مشرقا وفي اصل جبالها واد عظيم كثير الاشجار والفواكه والمياه
كبير النفع لما شملته مسارحها من الانعام والشياه غير ان اهلها
مشهورون بالتلصص والانتهاب معروفون بسرقة الحجاج بين تلك
الشعاب فيا سعادة من غزا واديهم وفرق عن جموع وفود الحرمين
الشريفين ناديهم ولما توسطنا بين هاتيك الاطواد جلسنا هنيئة

للاستراحة والوضوء من ذلك الواد ثم سرنا حتى وصلنا البرج ويقال
عين البرج فبتنا به وطرف كل واحد من الحجاج نابه ومنه بتنا
في اول عبد المجيد وهو مبدا المفازة الجحارية التي طوقت بسحاب
المشاق والتعب من المسافرين كل جيد وارتحلنا منه فظللنا سائرين
فعند ان غادرتها الامطار واضاءة اضاءت منها وجوه الاوطار
وسرى بها الروع عن الناس واستبدل الروع من وحشة العطش
كل ايناس وذهب ما كان الناس يتخوفونه من قلة المياه ووجد
كل واحد من الاوجذ ما طاب ريه ورياه وهذه المسافة من اول
عبد المجيد الى انتهاء وادي سيدي خالد من المفاوز التي ما زال
يتحدث بعظم مشقتها وبعد شقتها الولد عن الوالد كلها وعرة
مخوفة معطشة مجهلة لن يسلك حاج فيما حوت من المخافات
وابرزت من الافات ولن يجهله قال جماعة من ارباب الرحل
قد اجمع الحجيج وصح عندهم انه لا يسلكها ركب الا ويضيع فيها
ادمي او غيره وجرى على السنتهم لا بد ان تاخذ هذه المفازة شاتها
وقد تقرر ان الله سبحانه هو الفاعل المختار الجاري فعله جلت قدرته
على حسب المشيئة والاختيار فالحذر الحذر من اعتقاد مثل هذه الاعتقادات
الفاسدة القاعدة في بنائها على غير قاعدة وقد مات لنا فيها راجل
من الركب نادته منيته قبل ان تبلغ امنيته رحمة الله تعالى عليه
وسرنا نحث المطيات حتى اصفرت الشمس وبتنا بعد مجاوزة التوميات
وهما ربوتان عظيمتان كانهما شبهتا بالتوام الذي يولد مع اخيه
في بطن واحدة لشدة تقاربهما وتماثلهما وارتحلنا فاصبحنا
ضحى بوادي نبي الله تعالى سيدي خالد بن سنان عليه السلام وتلقانا
من الاعراب الذين بنواحيه اقوام يعجز دون حدهم الحساب ويكل
دون عددهم كل الحساب وملاوا تلك الارض ما بين الطول والعرض
كان الارض تفور بهم فورا وربما تخيلتها مالت فمارت مورا
وطلبوا من الشيخ نزول الركب ليتسوقوه فابى لما علم انهم لا يعتبرون
في النهب اما ولا ابا فاسرع السير لما ثبت لديه من سرقة القوم

و

وخيانتهم وكثرة تلصصهم وقلة امانتهم وبعد مفارقتهم اصابنا
عاصف من الارواح كاد ان يذهب بالاجسام ويزهق بالارواح
وملا الوجوه والعيون غبارا واذهل الناس فتراهم سكارى وما هم
بسكارى فشغلنا بهذا الامر الشاق الشديد عن زيارة سيدي خالد
والوقوف على ضريحه المشهور بالفضل الوافر المديد ولما قابلناه
كنت قلت قصيدة من غرر القصايد مشتملة من البديع على درر الفرائد
واولها حططنا بمغنى خالد بن سنان   لنحظى به عن اسهم وسنان
اخالد منك الود اصبح خالدا   لدى خلدي بل في صميم جناني
اخالد هل لي للحرامين وصلة   انعم منها في فسيح جنان
اخالد من لي ان افوز بحجة   لها حجة في البرذات بدان
اخالد هل لي زورة لمحمد   نبي سما عن مشبه ومداني
عليه صلاة الله ما حن شائق   الجوانح من قاص اليه ودان
وباقيها ضاع مع ما اشرنا اليه من الشي المضاع وقد ذكر شيخ شيوخنا
الامام العلامة الرحلة الاديب البارع ابو سالم عبد الله العياشي رحمه الله
في رحلته خالد بن سنان وقال ان قبره من المزارات الشهيرة ببلاد
الزاب تقصده الاركاب للزيارة من قواصي افريقية كلها اشتهر امره
لدى الخاص والعام والبدو والحضر وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة
والناس ينقلون عن ذلك المشهد كرامات قال وقد اشكل علي امره
وسالت عنه من يظن به علم فلم اجد عند احد ما يشفي ولا رايت خبره
في تاريخ ولا تقييد وغاية ما سمعت من بعضهم ان سيدي عبد الرحمن
الاخضر اخبرهم انه شاهد النور صاعدا من تلك البقعة الى السما ثلاث
ليال واخبر انه قبر نبي الله خالد فان كان اطلع على ذلك من كشفه فيسلم
له فانه اهل لذلك وقد راينا وسمعنا في بلاد المشرق بمشاهد متعددة
من قبور الانبيا والاولياء اظهرها اهل الكشف الصادق فتلقاها بحسن
النية وجميل الاعتقاد وحسن الظن بقايل ذلك حتى ان المشهد المنسوب
لكليم الله موسى عليه السلام بالارض المقدسة انما اظهره بعض اهل
الكشف بعد الستمائة او قريب من ذلك وهو الان من المزارات العظيمة

الشهيرة وقد اطال في ذلك ونقل اقوالا وجملة منها انه نبي من العرب بعث بين عيسى ونبينا محمد عليهم السلام وانه بارض الحجاز ويا ما ابعد الحجاز من الزاب واطال في استبعاد ذلك كله واستغرابه وحاصل ما انفصل عنه ما اجابه به عن هذا المشهد شيخه ابو بكر بن يوسف السجستاني لما ساله عنه ان الاقرب الذي تركن اليه النفس بعض الركون انه احد رسل عيسى الثلاثة المذكورين في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية الاية فقد ذكر بعض المفسرين ان احدهم اسمه خالد وانه نبي اصحاب الرس وقد ذكر بعضهم ان بلاد الزاب هي بلاد اصحاب الرس فان صح ان هذا قبر نبي اسمه خالد فهو هذا والله اعلم ويؤيد ما نقله ابو سالم عن شيخه السجستاني ان صاحب الاستبصار ذكر عن اسحق بن عبد الملك بن الماجشون انه لم يدخل افريقية نبي قط والا من دخلها بالايمان حواري عيسى عليه السلام فليتامل قال ابو سالم وقد مدحت خالد بن سنان بابيات لما مررت بهذا المشهد سنة اربع وستين وهي

يا نبي الاله يا ابن سنان   خالد احد الخائف بالامان
مذنب يطلب السماح ويرجو   نفحة تطلق الاسير العاني
قد اناخ ببابكم مستجيرا   بجنابك من صروف الزمان
فاحمه انت خير من يمنع الجار ويطعن دونه بسنان
وحشاك يسام جارك يا خير الورى بمهانة وهوان
فاحم من ام بابك الرحب يرجو   غارة تكشف الهموم الدواني
ايخاف اذا اتى حماكم   مستجير من المهالك جاني
كن كفيلا لمحوذنبي فمالي   بالذي قد جنيت منه يدان
ما اضاعك اذا اضاعتك عبس   من احلك في اجل مكان
بل حباك نبوة وارتفاعا   قد غدا دون قدرها الفرقدان
لو اطاعوك في وصيتك الغرا   راوا ما تقول راي عيان
قد اتيتك طالبا وصلة الله   فان نلت هذه فكفاني
فبجاهك اسال الله فيها   لا فوزبها بغير توان
وقصدتك مادحا بنظام   مثل زهر الربا ونظم جمان

فتقبل

فتقبل بفضل جودك مني   حلة رمت نسجها بلساني
يا نبي الاله فاجعل جزائي   بالذي ابتغي وسكني الجنان
يا نبي الاله فاقبل علي ما   سطرته من المديح بناني
فعليك من الاله سلام   وصلاة تترى بكل اوان

وتجاوزنا ذلك الوادي في حالة عدت علينا من العاصفات ايدي العوادي ونحن نتضرع الى الله تعالى ونبالغ ونبتهل اليه سبحانه بكل قول بالغ ونطلب منه ان يكشف عنا ما نزل بنا من شدة الاهوال التي غيرت الاحوال وان يسكن تلك العواصف التي شوهت الوجوه وبالغت في اذاها وطمست العيون فاسالت دموعها ولم تقتصر على قذاها واذكرتنا ما قاله الصلاح الصفدي في مثل هذه الحالة من الاداب التي فاح عرفها وعبق شذاها.

ايا شعثنا قام في وجهنا   وزاد وعن ضربنا ما انتهى
سففت الرمال على وجنتي   ومن ماء عيني خولتها
تخيلت ان جفوني على   عيوني سطورا فرملتها

وسرنا حتى تجاوزنا واديا وبتنا في عدوته آمنين لجفافه من عدوته فما غاب الشفق حتى كثر البرق والرعد وارسلت السماء من الامطار ما لم نره قبل ولا بعد واشتدت العواصف وهب من كل ناحية ريح قاصف فابتهل الناس الى الله تعالى بالدعاء المتوال واخذوا يسئلونه اللطف في جميع الاحوال حتى استجاب سبحانه السؤال وتداركنا بما املناه من اللطف في الحال والمآل وهدأت العاصفات وفترت السحائب الواكفات فسبحان من يستجيب دعاء العبيد ويكون معهم في ظلمات البحر وظلمات البيد ويعاملهم بخفي الالطاف ابد الابيد وارتحلنا فاصبحنا على ذلك الوادي الذي تجاوزناه عشية وهو يتبش لا ماء به البتة فالفيناه قد تلاطم موجه وتعاظم لجه ولم نستطع قطعه ولا ثبته فبقينا على شاطئه ننتظر انكسار سورته رجاء السلامة من سطوته وسورته ولما آنت الظهيرة ظاهر كل واحد ظهيره واقتحمنا عبور ذلك النهر ونهرنا الرواحل على اقتحام

الحدة والارتفاع وشدة البرد

اي اعتدائه

شدايده اي نهر ونجى الله سبحانه وفدع من افاته وامنهم ولله الحمد
من مخافاته وكانت الامواج عدت على بعض الثياب الفيناها
موضعة عند اعراب ذلك الموضع في الاياب وبعدما خلفنا من
ذلك الوادي شدايد وامواجا نتعرض لملاقاتنا الاقوام افواجا
افواجا يبالغون في التهنية والسلام ويلاطفون وفد الله تعالى
بالكلام واقام الحجاج معهم سوقا على ساق ريثما ادينا الظهرين
وحدا بهم الحادي وساق وثنينا بعد مجاوزة عين اوملش والمدشر
الذي له بها التصاق واتساق وارتحلنا فوصلنا بسكرة ضحى
يوم الخميس الرابع من شعبان وقد لاح لنا وجه السرور وبان
فاقمنا بها الخميس والجمعه وقضينا منها ارب السفر اجمعه وتوجهنا
يوم الجمعة الى مسجدها الجامع المزهو على ما عداه من الجوامع المتقن
البناء المتسع الفنا وصعدت لمادنته العظيمة البنيان الشهيرة
الاتقان بين الاعيان الواسعة المدارج حتى ان الجمل ليصعد بحمله
من غير انحناء ولا اعوجاج في تلك المدارج وبقينا بالمسجد حتى آن
وقت الصلاة فخرج من بيت الخطابة امام المسجد وخطيبه وفقيه
البلد الذي فاح عرف علمه بنواحيه وطيبه ابو محمد عبد الواحد بن محمد
الرماني فخطب خطبة وعظ فيها الناس واستطرد تبشير الحجاج
فاذهب وحشتهم بالايناس وبعدما صلينا اجتمعنا في ذلك المسجد
بجماعة من اصحاب شيخنا الامام الكبير العارف بالله تعالى ابي العباس
احمد بن محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه وعنا به فيهم الاخ الصالح
الماذون له من الشيخ في تلقين الناس بتلك النواحي كلها البركة
الخير المسن المرضي الاحوال ابو محمد عبد الحفيظ بن الطيب من اولاد
سيدي ناجي نفعنا الله به واخوه الفقيه المشارك ابو عبد الله محمد بن
الطيب واولادهما وغيرهم من الاخوان وخرجنا من المسجد
وتوجهنا لزيارة من امكنت زيارته من صالحيها ومشاهدها نفعنا
الله تعالى بهم ورضي عنهم وعنا بسببهم وجلنا فيها فاذا هي مدينة
عظيمة واسعة الجوانب حوت من الاشجار والانهار والنخيل ما لم يوجد

في غيرها وقد اطال شيخ شيوخنا الامام العياشي في رحلته الكلام عليها
وبالغ في وصف مسجدها واسف على ما كان من العلوم ينسب اليها
وذكر ان ادراج مادنتها مائة واربع وعشرون درجة ووصفها
بالطول والسعة والاتقان كما اشرنا اليه انفا قال والمسجد في غاية
السعة واتقان البناء الا انه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى
فيه مدرسا ولا قاريا مع ان هذه المدينة من انجب المدن واجمعها
لمنافع كثيرة مع توفر اسباب العمران فيها جمعت بين التل والصحرا
ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار
في نواحيها وارحاء متعددة تطحن بالماء ومزارع حناء وفيها انواع
من الفاكهة والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في اسواقها وبالجملة
فما رايت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا احسن منها ولا احصن
ولا اجمع لاسباب المعاش الا انها ابتليت بتخالف الترك عليها
وعساكر الاعراب فتستولي عليها هولاء تارة وهولاء تارة الى ان بنى
عليها الترك حصنا حصينا على راس الماء الذي ياتي اليها فتملكوا
البلاد واضروا باهلها واجحفوا بهم في الخراج ولم يقدر على الخروج
عليهم لتمكنهم من الماء الذي به حياة البلد واهله فاجتمعت عليها
غارة العرب من خارج وظلم الاتراك من داخل قال وقد
اشرفت على الخراب وقاربت اليباب لولا ما تاثل من اسباب عمرانها
الموجبة لرغبة الناس في سكناها ولله الامر من قبل ومن بعد
وارتحلنا من بسكرة التي هي قاعدة بلاد الزاب يوم السبت
السادس من الشهر وسرنا حتى قابلنا قبر الامام الكبير الشهير الذي
اثبت له غير واحد من الايمة صحبة سيد الامة فاشتهر في تلك
الافاق بالصحبة وشهد له فيها بالكرامات وعلو الرتبة وصارت
الركبان تسير لمقامه في اقتناء المنافع سيدنا ومولانا عقبة بن
نافع زاده الله رفعة واعم سائر العباد نفعه ولما لم يمكنا
الوقوف على ضريحه توجهنا لاستنشاق ريحه واخذنا نسال بجاهه
خيرات الدنيا والاخرة ونبتهل الى الله تعالى ان يفيض علينا

بحار كرمه الزاخره وقد كنت خاطبته بابيات بديعه تنيف على خمسة عشر بيتا ضاعت في الرحلة الضائعه وقد علق بالفكر منها
الفاظا اعراف نشرها ضايعه واولها

اعقبة جبنا اجبالا وعقابا   اضلت مواميها قطا وعقابا
اعقبة سل مولاك جل جلاله   يومننا كي لا نخاف عقابا
فها نحن وفد اه حجاج بيته   وطيبة اذ من طيبها الكون طابا
قصدناك في نيل المقاصد كلها   ومثلك من بالمكرمات اجابا

ولما تجاوزنا الوادي الذي قبالة سيدي عقبه طلب عربان تلك الارض من الشيخ النزول ليتسوقوا الركب فساعفهم بذلك ونزلنا بعد الزوال لاقامة السوق والمبيت هنالك وارتحلنا يوم الاحد فظللنا سائرين في ارض اخصاب معشبة الاخصاب مياه غدرانها سائحه وطيور اغصانها صائحه ونسمات ازهارها فائحه وجداول انهارها غادية ورائحه وجميع نباتاتها واشجارها حازت اذكى رائحه فياما ازهى تلك العيون في الابصار والعيون ويا ما اجمل تلك الانهار المحفوفة ببدايع الازهار اذكرها حسن حليتها الزهرية ما كنا نتناشده زمن الصبا من الاشعار الزهرية كالقصيدة الحلية المحلية في حلبة هاتيك الحلية الجلية.

ورد الربيع فمرحبا بوروده   وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه   وانيق مبسمه ووشي برودة
فصل اذا افتخر الزمان فانه   انسان مقلته وبيت قصيده
يغني المزاج عن العلاج نسيمه   باللطف عند هبوبه وركوده
ياحبذا ازهاره وثماره   ونبات ناجمه وحب حصيده
وتجاوب الاطيار في اشجاره   كبنات معبد في مواجب عوده
والغصن قد كسى الغلائل بعدما   اخذت يدا كانون في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى   ماء الشبيبة في منابت عوده
والورد في اعلا الغصون كانه   ملك تحف به سراة جنوده
وكانما القداح سمط لآلئ   هو للقضيب قلادة في جيده

و

والياسمين كعاشق قد شفه   جور الحبيب بهجره وصدوده
وانظر لنرجسه الجني كانه   طرف تنبه بعد طول هجوده
واعجب لناد ريونه وبهاره   كالتبر يزهو باختلاف نقوده
وانظر الى المنثور في منظومه   متنوعا بفصوله وعقوده
اوما ترى الغيم الرقيق وقد بدا   للعين من اشكاله وطروده
والسحب تعقد في السماء ماتما   والارض في عرس الزمان وعيده
ندبت فشق لها الشقيق جيوبه   وازرق سوسنها للطم خدوده

واني لي باستيفاء المعاني التي قيلت في مثل هذه المغاني وقد عجزت كل قائل واغنت كل معاني ولاجل ما اشتملت عليه هذه الارض من الخصب والنعماء لم يحتج احد فيها الى حمل ماء وذلك كله من فضل الله تعالى وبركة الرسول صلى الله عليه وسلم والامن يسلم في تلك الموامي لولا ان الله سلم ولما نثرت الشمس زعفرانها على الربا وفتت مسكها على الغيطان وقربنا من وادي كبير ينحدر من ناحية جبل المصامدة يسمى وادي كشطان فبتنا بين تلك الاكام نتجاذب اطراف الكلام ونزل من المصامدة وهم اعراب تلك الارض ناس متدينون لا باس باخلاقهم مع ابن الارض فمن تولوا فيه الا نتما للعلم انضافوا اليه وجالوا معه في المسايل العلمية بقصد الرواية عنه والقراءة عليه وارتحلنا يوم الاثنين الثامن يسوقنا ما في حشوا الاحشاء من التشوق الكامن فمررنا ضحى بوادي الحميدات ومنه ظللنا في وادي الاعراب المقابل لزاوية سيدي ناجي المشهورة في تلك الارض بين هولاء الاعراب ومن حفدة هذا السيد العظيم سيدي عبد الحفيظ وسيدي محمد ابنا الطيب المتقدم ذكرهما فيمن لقيناه ببسكره وقد ذكرهما الشيخ ابن ناصر رضي الله عنه في رحلته واثنى على زاويتهما وجدهما وبالغ في مدحه وشكره وقد لقينا هنا ايضا جماعة من اولاده وجملة وافرة من اهل جواره وبلاده وسرنا حتى اصفرت الشمس وبتنا في سبخة عارية من النبات والاشجار خالية حتى من الاحجار سماها لنا بعض الناس وزرا وما حوت ملجا ولا وزرا وهي في الناحية اليسرى بعد زريبة حامد الكثيرة المحامد

وكنا تركنا الزرايب يمينا وسرنا قريبا من سفح ما حواليها من الوهاد
خشية اشتداد الوحل في تلك السبخات لقرب عهودها بسواكب
العهاد وارتحلنا يوم الثلاثا فظللنا في المفازة العظيمة
المعروفة بالنفيضه وبتنا بعد ان افاضت علينا من معينها
فيضة واي فيضه وارتحلنا يوم الاربعا فاصبحنا على غران
بكسر الغين المعجمة وزن عمران وهو جبل يخرج من ناحيته الى اسفله
واد سايل لا رتواء كل وارد وسايل فاستترحنا به ريثما تسوق
اعرابه مع الحاج واستقى من مائه الحجاج من له فيه حاج
وسرنا حتى وصلنا ارضا سماها اعرابها سندس فبتنا باسطين
من بسيط ربيعها بساطا من سندس وارتحلنا يوم الخميس
الحادي عشر فظللنا قبالة قرية الشبيكة التي ما عدا الرحمن
عنها الظلم والعشر بل انبت في سفحها نخيلا باسقه وظللنا من
خيرها تلك السباخ بسحابة باسقه وجميع هذه الارض رمال اي بيضاء
ليس فيها من الماء وشل ولا سمال وعن يمين الذاهب شرقا السبخة
الملحة العظمى التي ما زالت تبيد في تلك البيد من المسافرين جسما
وتبيد منهم عظما وقد وصفها الامام ابو سالم وشيخنا ابن ناصر
وغيرهما ومررنا عصرا باودية العظام المسماة بام الاحوى
فالفيناها فائضة بالمياه المطرية التي روت مرعاها فلم يكن
غثاء ولا احوى فاخذنا في سقي البهايم وامتلاء القرب عند ذلك
وبتنا بعد مجاوزة طرف من السبخة التي هنالك وارتحلنا
فاصبحنا يوم الجمعة في الحامه التي منفعة مائها السخن في تلك
الارض عامه وهي قرية كثيرة النخيل والماء والخصب والنعماء
سميت حامة لكون مائها حميما وهو مع ذلك يصلح تلك
الارض فتنبت به نبتا جميما وسرنا منها في مطر خفيف فوصلنا
قبل صلاة الجمعة لتوزر المدينة التي ما زالت تستدر فاهيتها
كل ثلمة من الركاب وتوزر فبادرت لدخولها والحلول فيها
فاذا هي من قواعد مدن الجريد واعظم امصاره التي يعيي لسان

واصفيها

واصفيها اطال ارباب الرحل في وصفها وقالوا انها حسنة
البناء جدا كثيرة الجنات والاشجار غزيرة المياه ينساب فيها واد
كبير من غربيها واعرابها اهل بادية مخصبة فيرخص فيها غالب
سعر السمن واللحم واما التمر فانه يرخص جدا وليس في الجريد ما يماثلها
في كثرة النخيل والمياه بعد بسكرة ومساجدها حسنة متقنة
محكمة الابنية واسعة الافنية ولكن مادنة بسكرة اتقن واعلا
واوسع والله اعلم وبعد ان نصبت الخيم ورفعت عنا الديم
ورد علينا الفقيه العالم المقدم للفتوى في تلك العوالم المشهور
بين هاتيك الديار والقصور ابو عبد الله محمد بن منصور وصاحبه
الفقيه النبيه الالمعي الذي ليس له في نجابته شبيه الشيخ
رمضان فاجتمع عندنا من العلوم روضان وورد علينا قاضي
توزر وخطيبها الفقيه الحسيب الحيي الناسك الدين النسيب
ابو الحسن علي بن عبد الملك والفقيه المتودع الجليل السيد المبرور
وورد علينا من نفطة وهي بلدة غربي توزر الرجل الصالح الفقيه
الشريف البركة السيد ضيف الله ومعهم جماعة من الفقهاء
والطلبة ضلت عني اسماؤهم وتناولنا معهم مسايل متنوعة
في الفنون العلمية واكثرها في الفقه وعلم الكلام وزرنا من امكنت
زيارته من صالحيها نفعنا الله بهم وبها خلوة الامام الاكبر ابي
الفضل ابن النحوي صاحب المنفرجة وقبر الامام ابي محمد عبد الله
ابن الشيخ ابي زكريا يحيى بن علي الشقراطسي التوزري المتوفى
لثمان خلون من ربيع الاول سنة ست وستين واربعمائة وشقراطس
قصر قديم من قصور نفطه ولجانبه قبر ولده وللشيخ ابي محمد
الشقراطسي شهرة عظيمة في تلك النواحي ولهم اعتنا كبير
بقصيدته اللامية المشهورة التي اولها

الحمد لله منا باعث الرسل ... هدى باحمد منا احمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر ... واكرم الخلق من حاف ومنتعل
توراة موسى اتت عنه فصدقها ... انجيل عيسى بحق غير مفتعل

ه اخبار احبار اهل الكتب قد وردت … عما رأوا ورووا في الاعصر الاول
ضاءت لمولده الافاق واتصلت … بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده … وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت … مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت … ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل
ومنطق الذئب بالتصديق معجزة … مع الذراع ونطق العير والجمل
وفي دعائك بالاشجار حين اتت … تمشي باثرك في اغصانها الذلل
وقلت عودي فعادت في منابتها … تلك العروق باذن الله لم تمل
والسرح بالشام لما جئتها سجدت … شم الذوائب من افنانها الخضل
والجذع حن لدن فارقته اسفا … حنين ثكلى شجتها لوعة الثكل
ما صبر من صار من عين على اثر … وحال من حال من حال الى عطل
حتى فات سكونا ثم مات لدن … حتى حنينا فاضحى غاية المثل
والشاة لما مسحت الكف منك على … عهد الهزال باوصال لها نحل
سحت بدر شكر الضرع حافلة … فروت الركب بعد النهل بالعلل
وآية الغار اذ وقيت في حجب … عن كل رجس لرجس الكفر منتحل
وقال صاحبك الصديق كيف بنا … ونحن منهم بمرأى لناظر العجل
فقلت لا تحزن ان الله ثالثنا … وكنت في حجب ستر منه منسدل
حمت لديك حمام الوحش جاثمة … كيدا لكل غوي القلب مختبل
والعنكبوت اجادت نسج حلتها … فما تخال خلال النسج من خلل
قالوا وجاءت اليه سرحة سترت … وجه النبي باغصان لها هدل
وفي سراقة آيات مبينة … اذ ساخت الجرد في وحل بلا وحل
عرجت تخترق السبع الطباق الى … مقام زلفى كريم قمت فيه على
عن قاب قوسين او ادنى هبطت ولم … تستكمل الليل بين المر والقفل
دعوت للخلق عام المحل مبتهلا … افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفك اذ كف الغمام فما … صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراض بالروض تجتاح صوب ريقه … فحل بالروض نسجا رائق الحلل
زهر من النور حلت روض ارضهم … زهر من النور ضافي النبت مكتمل

في كل غصن نضير مورق خضر … وكل نور نضيد مونق خضل
تحية احييت الاحياء من مضر … بعد المضرة تروى الشبل بالشبل
دامت على الارض سبعا غير مقلعة … لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل
ويوم زورك بالزوراء اذ صدروا … من يمن كفك عن اعجوبة مثل
والماء ينبع جودا من اناملها … وسط الاناء بلا نهر ولا وشل
حتى توضأ منه القوم واغترفوا … وهم ثلاث مئين جمع محتفل
اشبعت بالصاع الفا من ملين كما … رويت الفا ونصف الالف من سمل
وعاد ما شبع الالف الجياع به … كما بدوا فيه لم ينقص ولم يحل
اعجزت بالوحي ارباب البلاغة في … عصر البيان فضلت اوجه الحيل
سالتهم سورة في مثل حكمته … فتلهم عنه حتى العجز حين تلي
فرام رجس كذوب ان يعارضه … بسخف افك فلم يحسن ولم يطل
مثيم بركيك الافك ملتبس … ملجلج بردي الزور والخطل
يمج او يحرف سمع سامعه … ويعتريه كلال العجز والملل
كانه منطق الورهاء شد به … لبس من الخبل او مس من الخبل
امرت البير مل غارته محتبة … فيها واعمي بصير العين بالسجل
وايبس الضرع منه شوم راحته … من بعد ارسال رسل منه منهمل
بريت من دين قوم لا قوام له … عقولهم من وثاق الغي في عقل
يستخبرون خفي الغيب من حجر … صلد ويرجون غوث النصر من هبل
قالوا اذى منك لولا حلم خالقهم … وحجة الله بالاعذار لم تنل
واستصعبوا اهل دين الله فاصطبروا … منه على كل خطب فادح جلل
لاقى بلال بلاء من امية قد … احله الصبر فيه اكرم النزل
اذ اجهدوه بضنك الاسر وهو على … شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
الغوه بطحا برمضاء البطاح وقد … عالوا عليه صخورا جمة الثقل
يوحد الله اخلاصا ومذ ظهرت … بظهره كندوب الطل في الطلل
ان قد ظهر ولي الله من دبر … قد قد قلب عدو الله من قبل
نفرت في نفر لم ترض انفسهم … اذ نفروا الرجس الا القدس من نفل
بانفس بذلت في الخلد اذ بذلت … عن صدق بذل بسر اكرم البدل

من كل منتصر لله منتصر ... بالبيض مختصر بالسمر معتقل
يمشي الى الموت عالي الكعب معتقلا ... اظمى الكعوب كمشي الكاعب الفضل
قد قاتلوا ودنك الاقيال عن جلد ... وجادلوا بجلود البيض والجدل
وصلتهم وقطعت الاقربين معا ... في الله لولاه لم تقطع ولم تصل
وجاء جبريل في جند له عدد ... لم تنتدبها اكف الخلق بالعمل
بيض من العون لم تستل من غمد ... خيل من الكون لم تستن في طيل
احيت بجل من التكوين قد جنت ... لجانبٍ عن جناب الحق معتزل
اعميت جيشا بكف من حصا فمشوا ... وعلقوا عن حراك النقل بالنقل
ودعوة بفناء البيت صادقة ... عدا امية منها شر منخزل
غادرت جهل ابي جهل بجهلة ... وشاب شيبة قبل الموت من وجل
وعتبة الشر لم يعتب فتعطفه ... منك العواطف قبل الحين في مهل
وعقبة الغم عقباه لشقوته ... ان ظل من غمرات الخزي في ظلل
وكل اشوس عاني القلب منقلب ... جعلته بقليب البئر كالجعل
وجاثم بمثار النقع مشتغل ... بجاحم من اوار الثكل مشتعل
عقدت بالخزي في عطفي مقلده ... طوق الحمامة باق غير منتقل
امسى خليل صغار بعد نخوته ... بالامس في خيلاء الخيل والخول
دام يدي بم زفيرا في جوانحه ... جنح من الشك لم يجنح ولم يمل
يقاد في القد خنقا مشربا حنقا ... يمشي به الذعر مشي الشارب الثمل
اوصى له من صليل الغل في غلل ... وقلبه من غليل الغل في غلل
يظل يجل ساجي الطرف خافضه ... لمسكة الخجل او من مسكة الخجل
ارحت بالسيف ظهر الارض من نفر ... ارحت بالصدق عنه كاذب الغلل
تركت بالكفر صدعا غير ملتئم ... وان منك بجرح غير مندمل
وافلت السيف منهم كل ذي اسف ... على الحمام حماه آجل الاجل
قد اعتقته عتاق الخيل وهو يرى ... به الى برق موت رقة الغزل
فكم بكة من باك وباكية ... بفيض سجل من الاماق منسجل
وكاسف البال بالي الصبر جدت له ... بوابل من وبال الخزي متصل
فواده من سعير الغيظ في غلل ... وعينه من غزير الدمع في غلل

قد اسرعت منه صدرا غير مصطبر ... وحملت منه صبرا غير محتمل
ويوم مكة اذ شرفت في امم ... تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها ... في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب ... عرمرم كزهاء الليل منسجل
وانت صرت بحكم الله تقدمهم ... في فهو اشراف نوط منك مكتمل
تنير فوق اغر الوجه منتجب ... متوج بعزيز النصر مقتبل
تسموا امام جنود الله مرتديا ... ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت ... بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك بما ملكت ... اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق ... والحق يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في اعنتها ... والعين تنثال زهوا في ثنا الجذل
لولا الذي خطب الاقدام من قدر ... وسابق من قضاء غير ذي حول
اهل تهلان بالتهليل من طرب ... وذاب يذبل تهليلا من الذبل
امدك الله هذا عز من عقدت ... له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صاع قريش بعد ما شعبت ... بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه ... كالاسد تزار في انيابها العصل
فويل مكة من اثار وطأته ... وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا منك بفضل العفو منك ولم ... تلمم ولا بالتيم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن طوائفهم ... طولا اطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها ... تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف ... مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها ... واكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقار منه في خفر ... ارق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به ... من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الخزي مرتكس ... ثاو بمنزلة البهموت من زحل
حجزت بالامن اقطار الحجاز معا ... وحلت بالخوف عن حيفة عن ملل
وحل امن ويمن منك في يمن ... لما اجابت الى الايمان عن عجل

اللطف بفتح اللام والطاء
لغة ضد اللطف بضم اللام وسكون الطاء بمعنى الرفق والبر والتحف
قاله ابن سيده في القصيده
١٢

واصبح الدين قد حفت جوانبه ... بعزة النصر واستولى على الملل
قد عاد منحرف منهم لمعترف ... وانقاد منعدل منهم لمعتدل
احبب بجلة اهل الحق في الخلل ... وعز دولته العزاء في الدول
ام القيمة يوم منه مصطلم ... وحل بالشام شوم غير مرتحل
تعرفت منه اعراف العراق ولم ... يترك من الترك عظما غير منتثل
لم يبق للفرس ليث غير مفترس ... ولا من الحبش جيش غير منخفل
ولا من الصين صون غير مبتذل ... ولا من الروم مرمى غير منتضل
ولا من النوب جذم غير منجذم ... ولا من الزنج جذل غير منجذل
وسل بالغرب غرب السيف اذ شرقت ... بالشرق قبل صدور السمر والاسل
ونيل بالسيف سيل النيل واتصلت ... دعوى الجنود فكل بالجلاد دخل
وعاد كل عدو عز جانبه ... منعاد منك ببذل منه مبتذل
بنعمة الله وللايمان متصل ... او من شبا النصل بالاهوال منتصل
يا صفوة الله قد اصفيت فيك صفا ... صفو الوداد بلا شوب ولا دخل
الست اكرم من يمشي على قدم ... من البرية فوق السهل والجبل
وازلف الخلق عند الله منزلة ... اذ قيل في مشهد الاشهاد والرسل
قم يا محمد واشفع في العباد وقل ... تسمع وسل تعط واشفع عايذا وسل
والكوثر الحوض يروي الناس من ظما ... يرح وينفع منه لاعج الغلل
اصفى من الثلج اشراقا مذاقته ... احلى من اللبن المضروب بالعسل
تخلتك الود علي اذ تخلتكه ... اخبا بحبك منه افضل النحل
يا خالق الخلق لا تخلق بما اجترمت ... يداي جهدي من حوب ومن زلل
فما بجلدي لنضج النار من جلد ... ولا لقلبي بهول الحشر من قبل
واضحى وصلى وواصل كل صالحة ... على صفيك في الاصباح والاصل

وقد ابدع فيها ناظمها غاية الابداع وانصدع فجرها عن صبح البلاغة اي انصداع وبالغ في الثناء على بلاغتها العبدري في الرحلة وملأ بمدحها وطابه ورحله واولع الناس بها في تلك الارض شرحا وتخميسا وتصديرا وتعجيزا واحضروا لنا لها شرحا حافلا في اربعة اجزاء وهي جديرة بجميع ما ذكر لجمعها من

انواع

انواع البلاغة والفصاحة ما لا يكاد ينكره منكر واقمنا بتوزر الجمعة والسبت وقد قال الرحالون ان توزر اكثر بلاد الله سرقة وخطفا واهلها اعظم الناس اجتنا الاوزار في النهب والاختلاس فانهم يسرقون ليلا ويخطفون بالنهار قل ان يسلم من اذاهم احد من الحجاج او الزوار جراة على عباد الله وعدم مبالاة بعذاب الواحد القهار
(اي فضلاء) وقد ارتحلنا منها صباح الاحد بعد ما قضى الاوطار منها كل احد وسرنا فظللنا في نخل كريز وهي قرية حازت بكثرة النخيل والماء مزا واي تمييز ومنه سرنا بقبة اشرقت بين تلك النخل لا اشراق الهلال معزوة لمولانا الشيخ ابي هلال فاخذنا في زيارته والتوجه اليه وسالنا الله تعالى من خيراته الدنيوية والاخروية عند الوقوف عليه وتجاوزناه وتبنا حواليه وارتحلنا متجنبين السبخة العظيمة الهائلة المتغولة الموصوفة في الرحل المصرح بانها ساخت بركب عظيم فغرق فيما بوسطها من الوحل حتى صار بعد العين اضعف من الاثر وشاع باستيلاء السبخة على الركاب الاثر وتركناها يمينا لقرب عهدها بالامطار مخافة ان تحول او حالها بيننا وبين الاوطار وبقينا نتجنبها مسيرة يومين لما صح من تغولها على داخليها زمن الشتاء بلا مين وكان الناس على غير وثوق في وجود الماء في تلك المفازة اليهماء فامتن الله سبحانه علينا بكثرة المياه والانوار بين تلك الانجاد والاغوار انهار متدفقة وازهار متفتقة ومرعى خصيب ومسرح ما زمن الشكوا في نصيب فياما اوسع هذا الفضل العظيم ويا ما احق المنعم منه بالاجلال والتعظيم وارتحلنا يوم الاربعاء فظللنا قبالة حامة قابس وهي قرى متصلة عند انتهاء تلك البسابس حازت من النخل اعلاها واطولها ومن المياه احلاها واطولها وماؤها اشد حرارة وسخنة من الحامة التوزرية ومنافعها اعم من تلك فلذلك كانت عليها مزية وسرنا بعدما زرنا من امكنت زيارته من المشاهد وسالنا الله لنا ولكل غائب وشاهد ونزلنا بعد

اصفرار الشمس قرب ضريح الشيخ سيدى هريش فبتنا من معين عينه
الزلال فى ارغد عيش وارتحلنا يوم الخميس فاصبحنا على قابس
ودخل بقبس انوار مضيا ته منها كل قابس وخرج لملاقاتنا منها
ناس كثيرون وفيهم جماعة من التونسيين جاوا الى ركبوا معنا ظهر
السبابس وظللنا تحت ظلال نخيل وارفات بين عيون جارية
ونباتات ورفات ثم مررنا بمارت وكانت لم تزل تقدمتنا وسارت
فزرنا من امكننا زيارته من صالحيها كسيدى سالم قبيله وسيدى
عبد الله المغربى ووقت العصر وصلنا عرام وهى قرية صدرت
رمية عمارتها عن رام فزرنا مقبرتها الحفيله المشتملة على قباب
لم تزل بكل خير لقاصدها كفيله وقد سمى لنا اربابها جماعة ممن شملته
قبابها فمنهم سيدى عبد الرحمن بن جابر وابنه سيدى على وحفيده
سيدى يحيى وسيدى عبد اللطيف وسيدى محمد بن يحيى وسيدى
الزيتونى وسيدى زين العابدين وسيدى بوعزة وسيدى
ابرهيم بن عمر وسيدى سالم الصيد وسيدى يحيى بومسلين وسيدى
يحيى بن بوعزة وسيدى بلقاسم بن الطاهر وسيدى على بومسلين
وسيدى بلقاسم بن عبد العزيز وهولاء السادات كلهم حماونه
كما حدثنا بذلك جماعة من اهل البلد وسيدى سيدون المراكشى
افاض الله من بركاتهم علينا وعلى جميع المسلمين ونفعنا بالوقوف
على مقبرتهم الحفيلة امين وسرنا فبتنا بوادى السماره على غير
عماره وارتحلنا يوم الجمعة فتجاوزنا الشيخ ابا غراره وما قبله
من الغدران الملحة الغراره فنزلنا للاستراحة قبالة جربه
لننظر من اهلها من له فى السفر اربة بلا اربه وبقينا نتامل
على البعد فى بحرها المواج وسفنها تتراءى لنا بين تلك الامواج
حتى صلينا الظهر والعصر وورد علينا منها جماعة بقصد السفر
للحرمين ومصر وسرنا حتى ارخى الليل سدول الظلماء وبتنا على
غير ماء وارتحلنا فوصلنا ضحى ماء نبش الذيب فى ارض قفرا
لا ثعلب فيها ولا ذيب استولى على الابنية التى حواليها الخراب

وصاح

وصاح فى جوانب حافاتها البوم والغراب ومررنا بعد ذلك
بعقلة آبار تسمى البحيره فالفينا ماءها الرداءة وملوحته بترك
شاربه فى حيره وحول هاتيك العقلة حلة من اعراب بنى مريم
ما فيهم الا من تلقانا بالترحيب وقال مخيم ووصلنا الى بئر يقال
لها المويلحه فوجدنا بها ماء يا ما ابرده ويا ما اغزره ويا ما اعذبه
ويا ما امليحه فجددنا من ذلك الماء النمير الطهر وادينا صلاة
الظهر وتجاوزنا وادى فستى فارغا من الماء وبتنا بعده بكثير فى كلا
ونعماء وارتحلنا يوم الاحد فبادر للاستقاء من ابن مردان كل
احد على ما به من الملوحة والرداءه التى تهيج فى الاعضاء داءه
وقد راينا فى نواحيها من الاثار التى استولى عليها الاندثار وعظيم
الابنية والمقابر والقباب الذى جاوز بباب وغالى الجوامع وعالى
الصوامع ما ينبئ عن تقدم عمران عظيم كان بتلك الساحه الفسيحه
المساحه وسرنا حتى قربنا من برج الملح وبتنا على غير ماء عذب
ولا ملح وارتحلنا فى السحر مبادرين الى الماء لكثرة ما كان
فى الركب من الظماء فوصلنا البرج مع طلوع الفجر ونزلنا على
شفير البحر فتوضانا واغتنمنا ما فى اول الوقت من الاجر وسرنا
فوصلنا الزوارات الغربية عند ارتفاع النهار ونزلنا ريثما
سقينا من ابارها العذبة الباردة الصافية الفائضة ولا فيضان
الانهار واشترينا من اهلها الزبيب والتين وقضينا منهم بعض
المصالح وزرنا من امكننا زيارته من صالحيها مثل سيدى سعيد
ابن صالح وسرنا حتى اتينا الزوارات الشرقية ظهرا فصليناه بها
وركبنا من الجادة ظهرا وبتنا قرب مليته وارتحلنا وكل واحد
يحدو آماليته فاتينا مليته مع الشروق وتعجلنا لسيدى ابى عجيلة
لننال من بركته ما يروق ومنه وصلنا قرية زواغه فصلينا فيها
الظهر بعدما توضانا من مياهها الصواغه وعاينا فيها من آثار
العمران والبنيان الظاهرة للعيان ما يبهر العيون ويقف الاعيان
وفيها مسجد مشتمل على اساطين فائقه وهيئة فى العيون رائقه

عيوان فى قبلته اخرافا للمغرب على ما كان فيه من الوصف المغرب ومنها
بتنا فى الزاويه فتلقانا اهلها بالترحيب وكانوا البيوتنا زاويه
وظعنا منها يوم الاربعا فظللنا نسير فى ظلال الزياتين والكروم
والتين حتى وصلنا قرقارش قبل الزوال واخذنا فى النزول
فيه وتركنا الذهاب منه والزوال لنأخذ الراحة بالراحه ويكون
دخولنا لطرابلس صباحا بعد الاستراحه وورد لملاقاتنا جماعة
من الحجاج المغربين وغيرهم من اهل طرابلس المقربين **ذكر**
دخولنا لطرابلس المستظرفة الشاملة لانواع الفواكه والتحف المستطرفة
دخلنا طرابلس الظريفه ذات الفواكه المنوعة والظلال الوريفه
صبيحة يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان فالفيناها ازهى
من دمشق وشعبان وحسنا خلال ديارها واشرفنا من شرفاتها
على نيارها فاذا هى مدينة صغيرة المساحه خصبة الساحه كثيرة
الفواكه ليس لها فى نزهتها ولطافتها مشابه ولا مشاكه ولها بابان
باب الى البر وباب الى البحر لان البحر محيط بكثير من جهاتها
والحصار الذى فيه الامير متصل بالمدينة من ناحية باب البر بينه
وبين البحر وقد شاهد اهلها بركة عظيمة فى امر معاشهم وقت الحجاج
فقد يجتمع فيها الركبان والثلاثة والاربعة ويكون عسكر البحر
خارجا فى البر بعض الاحيان ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على
ما كان فى كل مطعوم بل ربما نقص مع انه معروف بالغلاء بالنسبة
لارياف النيل والمغرب عيوان فى الطحن بها غاية المشقة اذا جاوهم
انما تدور دبا لا بل فسطح الدوران وفيها من المساجد الانيقة
الجسيمه المشتملة على الابنية الفائقة الوسيمه ما فى مرآة البديع نزهة
للناظر بين المناظر ولا سيما المسجد المعروف بجامع الترك فانه
ما ترك شيا من المحاسن البديعه الا حاز عجيبه وبديعه وزرنا فيها
من المشاهد المزاره ما نسال مولانا ان يمن بالقبول على من قصدها
او زاره ويحط بركتها ما آثمه واوزاره واصبحت الجمعة فتوجهنا
لصلاتها واغتنام صلاتها ودرجنا مع من درج لارتقاء عالى

الدرج فرقى المنبر امامه المسن الخير الاكبر الشيخ ابو محمد عبد القادر
الحنفى وابدى خطبة رائقة رقيقة جمعت لطيف الوعظ ورقيقه
وقد راينا فيها من الاعلام من ترق بجلادهم الاقلام فمنهم
صدر الافاضل المتحلى باسنى الفضايل واسنى الفواضل المتجلى
بالكرامات لكل فاضل الفقيه البارع النبيه العالم المشارك الذى
ليس له فى مشاركته شبيه الاديب الماهر الذى ازرت لطافة ادابه
برقة ابن النبيه الحافظ الراوية الذى ما برح يدون ما يسنه
من العلوم ويروى اخونا ومحبنا الاعز علينا ابو عبد الله محمد بن على
المعروف بابن الاصرم القروى ادام الله بهجته وابقى مهجته
الفيته ورد على طرابلس لعرض لا يمكنه الاعراض عنه بعد ما عرض
ومع مساواته لنا فى الاغتراب وحلوله غير التراب مع غير الاتراب
كان يبالغ فى اكرامنا بانواع الطعام والشراب واخذ فى الرغبة
فى تانيس غربتنا وما تانى ولا استراب واظهر لنا من المحبة
الصافية والخلة الوافيه ما نسال الله تعالى ان يكافئه عليه ويمتعنا
واياه يوم القيمة بالنظر اليه وكانت تقع بيننا فى انواع العلوم
مباحث يستحسن الخوض فى بحرها بفلك فكره كل باحث وقد حمله صادق
المحبة وحسن السيره وصفاء المودة والسريرة على ان خاطبنى بقوله

قسما بمن اولاك ارفع منصب ... وبما حويت من البيان المعرب
ما شنف الاذان مثل فصاحة ... اذنت بفضل محمد بن الطيب
شرفت به فاس وحق لها العلا ... فلذاك اضحت بيته فضل المغرب

وكنت خاطبته بابيات اظن صورتها والله اعلم

قسما بمكة والحطيم وزمزم ... والركن والبيت الشريف الاعظم
ما ان سمعت بمشرق او مغرب ... كلا ولا فى الروم او فى الديلم
مثل الفقيه البارع اللسن الاديب اللوذعى محمد بن الاصرم

وكان ينشدنى من المقطعات البديعه الجائزة مستحسن الادب
وبديعه ما يدل على نورانية بدره واشراقية ذكائه وعلو همته وحسن
ذكائه وكنت اثبت منها ما عثرت عليه يد الاضاعه وحسن ريب

الزمان فاتلفه واضاعه غير انى تذكرت من ذلك السماع بيتان
علقا بالاسماع وهما

افٍ لذى ادب يرضى بمنقصة ... ولم يكن مثل باز فوق قفاز
يوما بمصر ويوما بالشام وبا ... لعراق يوما واياما بشيراز

فنسئل مولانا سبحانه ان يجمعنا به مرة اخرى لنظفر بتلك الاداب
التى لم تزل لاولى الالباب غنيمة وذخرا وقد سالنى عن لفظ طرابلس
وكيف يضبط وعن لغاته الثلاث فاجبته بانه يقال اطرابلس
بالالف فى اوله وبحذفها مع ضم الموحدة واللام معا وقد تسكن اللام
وبعضهم يفصل فيقول طرابلس هذه الغربية انما تقال بغير الف
فقط وذات الالف هى الشامية والله اعلم فاستحسن ذلك ومنهم
الفقيه الخير المسن الاتقى الانقى المستمسك من الديانة والمروة
بالعروة الاوثق الشيخ ابو عبد الله محمد المكنسى المشهور بالفتوى
فى تلك الاقطار منذ اعوام بين الخواص والعوام ومنهم
الفقيه النبيه النبيل الذى سلكت فتاويه العلمية فى كم من سبيل
واتخذت المروة والصيانة ربعه مربعا للمبيت والمقيل الشيخ
ابو عبد الله محمد بن مقيل ومنهم الفقيه المشارك فى انواع
المعقولات الذى عجزت عن تحصيل مباحثه الاصلية والفرعية
المنقولات نادرة الاوان الشيخ ابو محمد عبد العزيز مروان
ومنهم الفقيه النبيه الفاضل الذى حاز افاضل الاخلاق
واخلاق الافاضل الشيخ ابو العباس احمد بن الصغير وقد اكرمنا
فى داره مرارا وامر علينا كرامانه امرارا ومنهم الفقيه الخطيب
وغصن الفصاحة الرطيب الشيخ ابو العباس احمد كست الخطيب
بجامع الترك الاعظم وقد صلينا معه الجمعة الثانية فابدى خطبة
بالغ فيها فى امر الحاج وعظم مع فصاحة المنطق وانطلاق اللسان
والاتقان فى تحكيم الالفاظ والاحسان ورايناغير هولاء من مطلق
الطلبة زيادة على الاعيان لكن حال بيننا وبين اثبات ذكر اسمائهم
النسيان واقمنا نحو التسعة ايام وتاهبنا للتقوية على السفر والصيام

ذكر

ذكر خروجنا من طرابلس وتوجهنا لجبال برقة المزرية برضوى وثهلان

كان رحيلنا منها بعد صلاة الظهر من يوم السبت الرابع من شهر
رمضان الذى هو اكرم شهر فنزلنا بآبار قبل تاجورا وبات معنا
جماعة ممن خرج لتوديعنا من الاصحاب وغيرهم مبرورا ما جورا
وارتحلنا يوم الاحد فرجع من اهل التوديع كل احد ومررنا
بتاجورا عند الصباح ووقفنا للزيارة من امكنت زيارته من مشاهد
الصباح ثم مررنا بوادى الرمل ثم بوادى المسير بعد اعمال انواع
الذميل والمسير وكلا الواديين وصفه ابو سالم بكثرة الخصب
والنعماء وجزالة الحطب وغزارة الماء وبتنا بقرب موضع يسمى
تونزغت وهو المعروف الان بوادى التونة او التوت وسماه ابو سالم
وادى بنوت وارتحلنا فاصبحنا بذلك الواد ومررنا بماجوالى
النقازة من الاطواد وظللنا بروضة الشيخ سالم القلعى نستظل بظل
سرحه الظليل ونسال الله كمال السلامة بحق ذلك السيد الجليل
والفينا بازاء الروضة جبا مملوا من الماء النمير فاخذ الناس فى
الاستقاء منه حتى اكتفى المامور والامير ووقفنا هنالك ننتظر
مرور الابل لتعذر تتابع السير بين تلك الجبال وصلينا الظهرين
وقربنا من وادى لبدة وبتنا فى انعم عيش وانعام عين وارتحلنا
يوم الثلاثاء فمررنا بقصر البنات المزرية شرفاته برؤوس البنات
قصر قصر عليه الحسن والاحسان وقصر عن وصفه اللسان
برعت حجارته فى الضخامة والعظم وتناسبها وتناسقها اعجب منها
واعظم وظللنا سائرين حتى غربت الشمس وبتنا بالبئر المعروفة
بمسيلين لمبيتنا بالامس وفى اثناء هذه المراحل السابقة قطعنا
الجبل الذى هو منتهى الجبال فى تلك البلاد وهو اخر الجبل الذى
لا نظير له فى الدنيا طولا وعرضا وحطبا وماء وقرى متصلة
وعمران متراكب وقبائل وافرة غالبها بربر واوله من البحر المحيط
اطراف السوس الاقصى ثم يمتد كذلك الى ان يمر قبل مراكش وهو المسمى
جبل درنا ثم يمتد كذلك الى ان يقارب البحر قرب تلمسان ثم لم يزل يساير

البحر وان كان يبعد عنه في بعض المواضع ويسمى في كل بلد باسم وربما
تعددت اطرافه فيسمى كل طرف باسم الى ان انتهى هنا باطراف برقة
وقال صاحب تقويم البلدان انه يمتد من اطراف السوس الاقصى
من البحر المحيط الى ان يبقى بينه وبين الاسكندرية خمس مراحل قال
الشيخ ابو سالم وكانه جعل بلاد برقة كلها والجبل الاخضر منه
لان بلاد برقة مرتفعة على ما يجاورها من بلاد فزان ونواحيها
والبحر من الناحية الاخرى الى العقبة الصغيرة وبينها وبين
الاسكندرية خمس مراحل ثم استظهر ما ذكرناه اولا وقال انه الذي
اقتصر عليه غير صاحب التقويم واقول ان عبارته قريبة من
عبارة غيره اذ لا كبير فرق بينهما عند التامل قال ابو سالم وغرب
هذا الجبل في كل البلاد بلاد مخصبة ذات انهار وعيون واشجار
وقبلته صحرا ذات نخيل ورمال من البحر المحيط من اطراف السوس الاقصى
الى اخر برقة وفي هذا المحل الذي قطعناه آثار ابنية كثيرة وفي سفحه
الذي يلي ساحل حامد مدينة عظيمة يقال لها مدينة لبدة قد خلت
في العصور الاوايل وبقيت اثارها ورسومها قد اكل الشجر كثيرا
منها وفيها مبان عظيمة وهياكل جسيمة وابراج خارجها مبنية
بالحجر المنحوت في غاية الاتقان قد هرم الدهر وما هرمت وتعاقبت عليها
الازمنة وما ثلمت فترى الابنية ماثلة متقابلة على رؤوس الجبال مد
البصر بحيث يقضي الحدس ان كل ما كان داخلها كانه مدينة واحدة
الى البحر وترى اعمدة الرخام وغيره واقفة في وسط البحر قد احاط
بها الماء بحيث لا يرتاب ان البحر قد اكل الكثير منها ومن هذه المدينة
ينقل كثير من اعمدة الرخام الى طرابلس والى مصر وغيرهما من البلدان
ويقال ان بانيها الملك دقيوس وبعد وفاته تملكتها امراة اسمها
رومية وذكر بعضهم ان النمرود لما بنى دمشق بقي ثلاث سنين وبعث
ولده وامره ان يبني مدينة بالمغرب فبنى هذه المدينة وجلب اليها الماء
من وادي كعام في بناء متقن يحار الناظر فيه واثر البناء وممر الماء
باق الى اليوم متصل من جرف الوادي الى اطراف المدينة الا ان ماء

هذا

45

هذا الوادي الآن قليل آجن ويزعم اهل البلد ان ماء هذا الوادي
كان حلوا غزيرا ايام عمارة المدينة وكان مما يوثر عند اهلها انه اذا
بدت الملوحة في ماء الوادي فذلك علامة خرابها فلما بدت الملوحة
فيه اخذ اهلها في الانتقال منها والله اعلم اي ذلك كان وقد ذكر
العبدري هذه المدينة في رحلته وذكر انه وجدها خالية والذي يظهر
انها خلت قبل الاسلام اذ لم يذكرها احد ممن ذكر فتوح افريقية والله
تعالى اعلم بغيبه وبعد ان ذكر الامام ابو سالم خبر هذه المعالم قال غريبة
اخبرني بعض اهل تلك البلاد ان الملك الذي بنى هذه المدينة وقع موتان
في عسكره حتى تفانوا ولم يدر ما سببه فامر بشق بطن واحد منهم فشق
عن قلبه فوجد فيه دودة فعلم ان ذلك سبب موتهم وامر بصب
جميع الادوية عليها واحدا فواحدا فلم تمت حتى اخرج زيتا كان عنده
في قارورة جاء به من ارض الشام فصب عليها قطرة من زيت فماتت فعلم
ان دواء ذلك المرض اكل الزيت فبعث الى الشام وجاء بغرس الزيتون
فامر بغرسه في تلك الاركان كلها من مسراتة الى سوسة وتونس واعمالها
ومن تلك الساعة بقي الزيتون في هذه البلاد والله اعلم وبعد هذه وسوافي صح
الاوعار بلد ساحل حامد وهي بلدة كبيرة ذات نخل كثير ومزارع وزيتون
الا ان نخل هذا الساحل رديء لا يدخر تمره ولا ييبس الا بعد ازالة
النوى منه فيبقى كقطع الجلد لا قوة فيه ولا حلاوة ولا طعم لا يفرق
بينه وبين لحاء الشجر وفي هذا الساحل قبر الشيخ الشهير المآثر والكرامات
الكبير المفاخر والمقامات سيدي مفتاح وهو على تل مرتفع بساحل
البحر بينه وبين البلد الدعاء عند قبره مستجاب وبقرب الساحل وادي
تاغلات وفيه اثار سانية فيها قنوات تحمل الماء الى المدينة المذكورة
من عين يقال لها عين كعان وفيها صنعة عجيبة وابنية غريبة
بحجارة منحوتة عظيمة تحار فيها العقول كل حجر فيه اربع اذرع فاكثر
منقورة في وسطها نقرا متقنا ومن راى ذلك استغرب ان تكون
قدرة البشر واصلة الى ذلك المقدار وعلم ان دهرا افنى اولئك الاقوام
جدير بان يستاصل بقية الانام وينقلهم من حالة الى حالة ومن دار الى دار

وبعد ذلك بلد زليتن وهي مثل الساحل في النخيل والسوانى وبه قبر
الشيخ المشهور بالقوة والتصريف الغنى بكمالاته عن التعريف ابى محمد
عبد السلام الاسمر قال فيه ابو سالم رجل من اهل المائة العاشرة كثير
الكرامات عالى المقامات من اجل تلامذة سيدى احمد بن عروس نزيل
تونس والغالب عليه الجذب فى اول امره واخره وله تصرف قوى واخباره
فى قهر الجبابرة وفك الاسارى من ايدى الفرنج فى حياته وبعد مماته
شهيره وهو من بلدة يقال لها الفواتر وامه مغربية دراوية ولم تزل
هذه البلدة التى هو منها ماوى الصالحين والعابدين من قديم الزمان
تواتر عند اهل البلد انها لا تخلو من سبعة من اكابر الصالحين قالوا
وهم ظاهرون بها حتى الان وليس عليهم سمت متفقرة الوقت بل هم على
هيئة العوام فى ملابسهم ومساكنهم وحرفهم الا انهم قايمون على
منهج الشريعة وكل من رام اهل هذه البلدة بسوء يقصمه الله ولا يدخلها
احد فيتجبر ويتكبر الا اذله الله وبلدة الفواتر هذه بازاء زاوية سيدى
عبد السلام قريبا منها بنحو من فرسخ وفيها مزارات كثيرة للاحياء
والاموات وقد اظهر الشيخ سيدى عبد السلام من المزارات والقبور
شيا كثيرا منها قبر الشيخ مفتاح المتقدم الذكر وكانت له فرس اظهرت
قبورا كثيرة ايضا وذلك انه كان اذا ركب على فرسه ربما تمر بمكان
فتبحث برجلها فى الارض فيقول لهم الشيخ احفروا فان هنا قبر ولى
فيجدونه فظهرت بذلك مزارات كثيرة وفقراء الساحل الى الان
يعرفونها فيقولون هذا من الذين اظهرهم فرس الشيخ ولا بدع فى ذلك
فان السر فى الراكب لا فى الفرس والكرامة للشيخ لا لمركوبه وسر الولاية
موروث عن النبوة وقد بركت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم فى مكان مسجده
وعندما دخلت الحرم يوم الحديبية فاسال الله ان لا يحرمنى من خدمة الصالحين
ومحبتهم والحرص على ملاقاتهم وزياراتهم والا نحياش الى ظلالهم وحمى
مزاراتهم فان لذلك اثرا عجيبا فى تليين القلوب وتسخير النفوس وازالة
المطلوب واذا كان لها تاثير فى الحيوانات والجمادات فما بالها لا توثر
فيكم معشر الادميين وانتم السادات جعلنا الله من المحبين لاهل الولاية

و

46

وحشرنا مع حزبهم وفريقهم تحت ظلال علم الرسول ورايته وارتحلت
يوم الاربعاء فدخلنا مسراتة وتوجهنا لزيارة الامام العلامة المحقق
فى علوم الباطن والظاهر وسر الله المتجلى فى جميع المظاهر العارف بالله
والدال عليه ابى العباس احمد بن احمد زروق البرنسي الفاسى حقق الله تعالى
نسبتنا اليه فوصلنا اليه قبل الظهر وتوضانا فى السانية التى بجنبه واستفتحنا
بصلاة ركعتين فى المسجد المتصل بروضته المباركة ودخلناها بما
اقتضاه الوقت من الاداب والوقار واخذنا فى قراءة ما تيسر من السور
القرانية كالكهف وطه ويس وسورة الملك وغير ذلك من قصايد
المديح كالبردة وغيرها وختمنا بوظيفته رضى الله عنه فى جماعة حافلة
من الركب وغيرهم وحضرت فى ذلك الوقت نفحة ربانية من الله تعالى
وابتهل الناس للدعاء والتوجه الى الله سبحانه واخذ كل يسال ما يشاء
ويودع الناس عند قبره انفسهم واموالهم واديانهم وقد فعلنا ذلك
فراينا بركته وشاع عند الحجاج ان من اودع الله عنده نفسه وما له
لا يصيبه مكروه حتى يرجع ويفعلون ذلك اذا امروا به وحاذوه
فى البحر فيجدون بركته ولا بدع فى ذلك ولا غرابة فان الله حفيظ
لا تضيع ودائعه والاولياء ابواب الله فمن اودع الله شيا عند باب
من ابوابه فكيف لا يحفظ فيه والله خير حفظا وهو ارحم الراحمين
فنساله تعالى ان يمن علينا بالقبول وبلوغ المامول بمنه وكرمه امين
وكنت خاطبت الشيخ بقصيدة فائقة مشتملة على انواع من البديع رائقة
اولها

الحمد فى مغناك قد ظلت احمد … ومثلك من يسدى الندا حين يحمد
ولا سيما والقول منك مصرح … بذلك فى بيت من الشعر ينشد
اذا كنت فى ضيق وغم وكربة … فناد ايا زروق ياتيك احمد
فها نحن وفد الله زوار بيته … وطيبة اذ ندعو اليها محمد
عليه صلاة الله ثم سلامه … ورضوانه ما لاح فى الافق فرقد
فعجل قرانا بالسؤال لربنا … ليبلغ من كل لدى الرب مقصد
ونظفر فى ذاك المقام بحجة … لها حجة فى البر ليست تفند
وفى روضة المختار نصبح كلما … فرجنا عشقنا العود والعود احمد

هذا ما علق منها بالبال وما زال في القلب لفقد الضايع منها
وجيب وبلبال ثم صلينا الظهر بالمسجد المذكور وزرنا خلوة الشيخ
التي توفي بها رضي الله عنه وهي امام المسجد قريبا منه ونزلنا حواليه
وقامت هنالك الاسواق العظيمة امتلأت بالشعير والدقيق والسمن
والتمر والاغنام وغير ذلك من كل ما فيه مآرب الانام وورد علينا
جماعة من طلبة البلد وبالغوا في الاكرام جزاهم الله تعالى جزاء الكرام
وسالوا عن مسايل علمية تدل على ضعف العلم في تلك الارض وانقراضه
وفشو الجهل في ذلك العرض واعتراضه واستعد الناس لمفازة نحو اربعة
ايام وبالغوا في استقاء القرب مخافة الاوام وارتحلنا يوم الخميس
مستقبلين مفازة برقة لان مبداها عند الحجاج من زروق الى مصر واما
اعراب تلك البلاد العارفون بها فانما يطلقون اسم برقة على التعيين
في هذه الازمان على نحو مسيرة ستة ايام من المنعم الى سلوك وفيها
اثار ابنية كثيرة قال ابو سالم واطلاق برقة على ما سواها مجاز علاقته
المجاورة ورايت لا تقسيما اخر نصه ارض برقة منقسمة في عرف
اهلها الى اقسام اولها من حسان الى ما وراء الاحمر بيومين يسمى سرت
ومن هناك الى قرب المنعم يسمى برقة البيضا ومن هناك الى سلوك
يسمى برقة الحمراء ومنه الى التميمي يسمى الجبل الاخضر ومنه الى العقبة
الكبيرة يسمى البطنان ومن العقبة الكبرى الى الصغرى يسمى بين العقاب
ومن العقبة الصغرى الى الاسكندرية يسمى العقبة الصغرى انتهى
وتقسيم العبدري جار على اصطلاح وقته قلت وهذا التقسيم
هو الجاري على اصطلاح زماننا هذا في الغالب واما العبدري فقال
برقة مدينة قديمة من بناء الروم وكان اسمها عندهم انطابلس قال
البكري ومعناها بلغتهم خمس مدن ومعنى طرابلس ثلاث مدن وليس
الان هنا مدينة تسمى برقة ولا مدينة مذكورة الا طلميثة وهي قديمة
ولست ادري اهي برقة فغير اسمها الى طلميثة ام غيرها وبرقة الان
عند الناس اسم ارض لا اسم مدينة والمغاربة يسمون بها ما دون عين
فيان من غرب جدابية الى الاسكندرية وذلك نحو من اربعين مرحلة

واما

واما عرب تلك الارض فاني رايتهم لا يسمون بها الا مارد الحصون شرقا
الى ارض برنيق غربا وهو حد الغابة وما والاها من الساحل ومن القبلة
ويسمون مارد الحصون الى العقبة الكبيرة البطنان ومنها الى الاسكندرية
لا يذكرون الا العقبتين قلت واوله في غاية البعد عن اصطلاح
وقتنا واما اخره فقريب منه والله اعلم اعاننا الله على قطع فيافيها ورزقنا
القوة التامة فيها وسرنا من زاوية سيدي احمد زروق الى اخر تلك القرى
المتصلة به لانها اخر العمران هنالك ولا عمارة بعدها في طريقة الحاج الى
الاسكندرية ومررنا في اخر العمران بقبة الشيخ سيدي ابي شعيفة على تل
مرتفع بساحل البحر وزرناه ووقفنا حول المغارة التي هنالك بساحل
البحر يتعبد فيها الصالحون ولا يكاد يطلع عليها احد الا من عرفها
لانها صغيرة مستقبلة البحر وتركنا معطن الربعين بين السبخة والبحر
للاستغناء عنه بماء القرب وان وصفه ابو سالم بكونه طيبا حلوا
ووصلنا ظهر الموضع يسمى السميده بالتصغير وكانه سمي بذلك لشبه
رمله بالسميد مشابهة تامة كما يشهد بذلك كل من راى خروشة رمله
ودقته من الخاصة والعامة فتفرق الناس فيه واخذ كل واحد يحفر
مقدار ذراع ويطلع له من الماء ما يكفيه فسقينا من مائها الملح الدواب
وتوضانا واغتنمنا ما في اداء الفريضة من الثواب وسرنا حتى وصلنا
الموضع المعروف بالملف في سباخ مديدة على شاطئ اليم وبتنا في رغد
عيش واتم وارتحلنا يوم الجمعة فوصلنا عند الزوال للهايشه التي
هي كاسمها هايشه اسقطت في غدرانها كم من راكب وعثر في حجارتها
الضخمة كثير من المراكب قال الامام ابو سالم والهايشة سبخة
مستطيلة وعلى جوانبها بناء قصور خالية وفيها نخيل متفرق كانه رؤوس
الشياطين لا ترى اوحش منه ولا اثقل طلعة على الحاج في ذهابه سيما
المعاود لما يستشعر بعده من المفاوز والمهامه والمعاطش التي يحار فيها
الدليل كما لا آنس منه ولا ابهى منه في منظر الايب لدلالته على انقضاء
المفازة وقرب العمارة ونخيله آخر نخل يراه الذاهب واول نخل يراه الايب
وماء الهايشة ملح اجاج لا يكاد يساغ يضرب به المثل في القبح وليس في مياه

برقة اقبح منه الا مواضع قليلة لا يعتمدها الحاج مع ان هذا ايضا
لا يستقى منه الا من اضطره العطش او كانت ايام الحر وهو ملح راكد فى مواضع
كثيرة يحيط به القصب وبعضه اشد قبحا من بعض وباخر الهايشة واد
من الملح يجرى الماء على ارض من الملح فلا الماء يجد ملحا ولا الملح يذوب
ماء واظن ذلك لقوة ملوحة الماء ونداوة المحل وحيث وصلنا الهايشة
تفرق الحجاج يسقون دوابهم من مائها الاجاج وتوضانا فيها
وصلينا وسرنا لوادى الملح المتصل باخرها المعروف اليوم على السنة
الحجاج بالمخاضة فعبرناه بعد الوادى وخضناه فمن خاضه وسرنا
حتى غربت الشمس واخذ اول الركب فى النزول ولم ينزل اخره حتى
زال الشفق وكاد يزول وارتحلنا يوم السبت فحثثنا السير ومررنا
بين الظهر والعصر بقبر الشيخ المشهور بالصلاح فى كل عصر سيدى
بومديونه منا ولادا لوافى عن يسار الذاهب مشرفا فزرناه وسرنا حتى
وصلنا مطرو وبتنا حواليه لاحتياج الناس اليه ومطرو بئر كثير
المياه خصبة الساحة للانعام والشياه فقضى المحتاج من مائها
اربه وحلت بغزارتها للظمان اربه ورويت البهايم ولم يبق
فى الناس هايم والفينا بقربه محلة عظيمة من الاتراك يقول رائها
لصاحبه تراك تراك قيل لنا انها جائت لنهب بعض قبايل الاعراب
دون اعراب فعلمنا ان الجور عام فى العالمين وسالنا الله تعالى
ان يقطع دابر الظالمين بجاه الرسول صلى الله وسلم عليه امين واعراب
تلك البلاد يعرفون بالفرجان وهم اصحاب سمت حسن واخلاق
ازهى من اللولو والمرجان وورد علينا منهم طلبة يقرؤن مطلق القراه
فاخذوا يتبركون بكل احد ويسالون دعاه وارتحلنا يوم
الاحد فدخلنا بلاد سرت وسار الناس جادين فى السير وسرت وتركنا
الزعفرانى يسار الجيد ودونه عن الطريق واستغناء الناس عنه بما فى
القرب من الماء الرحيق قال ابو سالم ومعطن الزعفرانى احساء فى ساحل
البحر ماوها طيب وعليه كثبان من رمل احمر تظهر من بعيد ومن وراء
الكثبان من ناحية البر قصور سرت وهى ثلاث قصور تخزن فيها العرب

ميرتها

ميرتها وكانت فيما قبل هذه السنة خالية وفى هذه السنين ربما يوجد
فيها بعض العمارة ممن تركته العرب على خزاينها حافظا لها وبلاد سرت
هذه من اخصب البلاد ذات مزارع كثيرة واعرابها اهل رفاهية الا
ان الجور اجلاهم عن بلادهم وشتت شملهم وقال فى موضع اخر لما ذكر
مزارع اولاد سيدى ناصر وهى بعد العويجة ما نصه واولاد سيدى
ناصر فقراء مرابطون من اهل سرت يطعمون من ورد عليهم ومعهم طرف
من الديانة الا انهم اضر بهم جور الاعراب لانهم بين عرب سرت وعرب
برقة فقلما يسلم لهم وقت من غارة اما من هولاء او من هولاء غير انهم
الان مستظلون بظلال اسمال من العافية لما ولى عبد الرحمن الجبالى الملقب
سيدروحه على البلاد وقهر الاعراب وقويت شكيمته على اهل البادية
فامنت السبل بعض الامان فرجع فقراء الاعراب الى بلادهم وعمرت
البلاد بعض العمران وتلك سنة الله فى البلاد والعباد ان الولاة
وان جاروا اخير من مرج الرعية بعده بعضهم على بعض فيعم الخراب
الحواضر والبواد وبهذا السبب خلت ارض برقة كلها وهى مسافة
شهرين وكانت متصلة العمارة من الاسكندرية الى افريقيه لا تكاد
تسير فيها بريدا ليس فيه اثر بناء ورسوم عمارة داثرة وقد جاء
الاسلام وغالبها عامر ثم لم تزل عمارتها تضعف الى ان خرج عرب
هلال من مصر واخر الرابعة واوايل الخامسة فخربوا البلاد واستولوا
على القرى فافسدوها وخلت البلاد من يومئذ وما صرح به من كون
سرت ارضا لا مدينة هو المعروف المتداول واغرب البكرى فنقل انها
مدينة ونقل ذلك العبدرى فقال وسرت يطلق على عدة قصور
بينها مسافة اولها الشبكة وهو اعمرها فى الوقت واخرها يسمى المرية
واكثر ما يطلق اسم سرت عليها وحكمها كلها حكم القفار وقال البكرى
فى المسالك ان سرت مدينة كبيرة على ساحل البحر لها نخل وبساتين
وذكر نحو ذلك فى اجدابية وانشد البكرى فى سرت

يا سرت لا سرت بك الانفس … لسان مدحى فيكم اخرس
البستم القبح فلا منظر … يروق منكم لا ولا ملبس

بخستم فی کل اکرومة وفی فعال القبح لم تبخسوا
ومررنا فی وقت الظهر ببئر قرب القصر المعروف بقصر الذباب
وهو قصر استولی علیه یباب وناداه الخراب من کل باب فتفرق
الناس یبالغون فی الحیلة والتدبیر فی کیفیة الاستقاء من تلك
البیر فمنهم من تیسر له من مائها الملح سقی الدواب ومنهم من رای
ان ترك ذلك هو الصواب لما فیها ولته من المشقة وبعد الشقة
وعدم الوفاء بالاغراض وعمق البیر وملوحة الماء الداعی الی الصدود
عنه والاعراض فقضینا منه ارب الطهر وادینا دین صلاة الظهر
وحثثنا السیر وقد اشتد الحر ونزلنا بعد ان اسود جنح اللیل واحمر
وارتحلنا یوم الاثنین قاصدین معطن النعیم الدال باسمه علی غایة
التنعیم فوصلناه فی العصر بعد اعمال السیر النعیم والنعیم معطن
علی ساحل البحر دل اسمه علی مسماه وفاق بمائه العذب غیره من
المعاطن واسماه ولما وصلناه بات الناس فی سعة من الماء والمرعی
والحطب واخذوا فی استقاء الدواب وامتلاء القرب واستعدوا
للمفازة التی امامهم وهی خمسة ایام الی المنعم اذ لا ماء بینهما یعتد به
ویقضی منه الارب الا ما یعرض من الابار الملحة القلیلة الجدوی
المحدثة فی الاجسام ادواء لا تتداوی منها ولکن تتدوی وقد وصف
ارباب الرحلة هذه المفازة بکثرة السموم والریاح التی هی احر من
السموم اجارنا الله من جور سمومها وعصمنا من فوات سمومها
بمنه وفضله وارتحلنا یوم الثلاثا فمررنا ضحی بمعطن الاحمر ونزلنا
بئر العویجة بقصد المبیت وقد نشفت الشمس علی الربا ذهب اصیلها
الاحمر وارتحلنا یوم الاربعا فمررنا ضحی بالرهبه وقلنا فی فلوة
رصبه وحولنا رجلة من البحر داخلة فی البر تسمی ابا ثواد عادة
الحجاج فیها اصطیاد السمك بالقصب والاعواد ووصلنا الی
بئر الکحیلة فبتنا حوالیها تلك اللیلة ولم ینتفع احد من الحجاج
بمائها القلیل الاجاج وارتحلنا یوم الخمیس فظللنا بالحدادیة
وهی بئر کالکحیلة فی قلة الماء والجدوی وان تکلف البعض
وسقی

وسقی منها الدواب ومااروی وبقی الناس یستریحون فی وادیها
وسارت الابل تهدی امامها هوادیها وصلینا الظهر فیها واخذنا
فی طی ما حولها من فیافیها وکانت تتراءی لنا عن یسار الذاهب مشرقا
اثار قصور ضخام وابنیة عظیمة مرصوفة بالحجارة المنحوتة
والرخام بالغ فی اتقانها بانیها ودل علی عظیم مبانیها
وذلك کله خرب واندثر ولم یبق منه سوی الاثر ولله الامر من قبل
ومن بعد وسبح سبحانه تصاریف الامور وامور الحر والعبد
واتینا سبخة مقطع الکبریت بعد ذلك فبتنا هنالك وسمی هذا
الموضع مقطع الکبریت لان فی اعلا السبخة معدن الکبریت فی آبار
وعیون کالمروج یحمل منها کالطین ومن هناك یحمل الی طرابلس
وکذلك الی مصر والاسکندریه ویذهب منها مع الرکب الی مصر
فی کل سنة احمال کثیرة لان العرب الذین یحملون بالکرا من مصر الی
طرابلس للحجاج اذا رجعوا حملوا علی ما فضل من ابلهم عن الکراء
کبریتا ویتقدمون امام الرکب بیوم اذا اشارف هذا المحل ثم یلحقون
الرکب فی المنعم بالقرب والجلود مملوءة بذلك ویترکونها الی ان تجمد
لتتداوی بها الابل الجربة فقد ذکروا انه لا انفع منها لجرب الابل
قیل وکذلك جرب الادمی ایضا فانه ینفعه جدا واذا ارادوا المداواة
به حلوه فی شی من الماء وطلوا به الجرب فیذهب باذن الله تعالی البار
الحکیم الواسع الرحیم وارتحلنا من مقطع الکبریت فنزلنا المنعم
کیما نتفکه بمائه العذب ونتنعم والمنعم معطن عظیم مشتمل
علی احساء کثیرة لا تکاد تعد فی وسط کثبان من الرمل علی ساحل
البحر وماؤها عذب طیب فرات ولا سیما الابار التی فی حیز المشرق
فانها فاقت فی العذوبة وکلما انحازت الی الغرب ضعفت حلاوتها
قدرة الملك القدیر المنفرد بالتدبیر ومن المنعم تبتنا بالمصانع
وهی غدران مصنوعة بین کثبان الرمل من غیر صانع وارتحلنا
نعمل السیر الحثیث المدید فوردنا فی العصر آبار الحدید وهو معطن
آباره منقورة فی صفاح الحجارة ومیاهه جاوزت الحد فی الحلاوة

والغزاره مع سهولة المأخذ وقرب التناول من تلك الموجد
فطفق الناس يسقون و يستقون من مياهها الفايضة الرابيه
خشية الازدحام في الاجدابيه و توضانا منها وصلينا العصر
حواليها وقصدنا الاجدابية فوصلنا مع الاصفرار اليها قال
الامام ابو سالم وفي هذه الجابية اثار عمارة كثيرة واباد عظيمة
منقورة في الحجر وبنيان هايل بالحجر المنحوت وهناك رسم مسجد قديم
تهدم ووجدنا في بعض حجارته تاريخ بنيانه منقوش سنة
ثلاثمائة قال واخبرني شيخنا سيدي محمد بن مساهل عن بعض
المشايخ ان الامام سحنونا كان مدرسا بهذا المسجد ثلاث سنين
وهذه المدينة هي مدينة برقة المذكوره في كتب الفقه وقيل انها
مدينة بالجبل الاخضر في الجانب البحري واستغرب هذا القول
من جهات منها ما يذكران بها قبراحد الصحابيين الذين ذكر المورخون
انهما بها وهما رويفع بن ثابت بن السكن الانصاري النجاري
لانه دفن بها لما كان اميرا عليها من قبل مسلمة بن مخلد وزهير بن
قيس البلوي بعثه عبد العزيز بن مروان الى برقة فلقي الروم
فقاتل حتى قتل في برقة ومنها ما يذكر على السنة الفقها ان بين برقة
وبين كل من مصر وافريقيه نحو الشهر وهذا تشاركها فيه الاجدابيه
ايضا لان بينها وبين المدينة التي بالجبل الاخضر نحو من خمسة ايام
ومنها ان التي في الجبل اقرب الى مسمى المدينة لما بازائها من المياه
والاماكن المخصبة والمزارع الكثيرة والغياض الملتفة من انواع
الاشجار بخلاف الاجدابية فانها في صحراء من الارض والله تعالى اعلم
بغيبه وقد سبق لنا ان مسمى برقة على التعيين عند عرب البلد اليوم
هي مسيرة ستة ايام من المنعم الى سلوك وفيها رسوم ابنية كثيرة
وان اطلاق برقة على ما سواها مجاز علاقته المجاورة وهذا يقوي
ان مدينة برقة هي الاجدابية وذلك المسجد الذي ذكره ابو سالم
هو باق الى الان من اشهر المعالم وبازائه قبر محوط عليه بالحجر يزار
يقال لصاحبه سيدي يونس وهو من عرب الفواخر وقد ذكره ابو سالم
ايضا

ايضا ومرت عبارته في تسمية هذا المكان بالجابية وهو سهو لانه لا يعرف
في برقة ارض ولا مدينة بهذا الاسم وانما اسمها الاجدابية كما في القاموس
وغيره والله اعلم وفيما بين الجديدة والاجدابية اثار ابنية عظيمة
وقواعد مدن هايلة جسيمة مبنية بالحجارة المنحوتة المحكمة الصنعة
والاتقان وذلك كله صار خرابا بعد عظيم العمران فسبحان المنفرد
بالبقاء بعد فناء الخلق سبحانه وارتحلنا من الاجدابية وظللنا
سايرين في ارض هشة كثيرة الغيران مملوة بحجرة اليرابيع والفيران
لا يكاد يستقيم فيها سير البغال ولا البعران ووصلنا في العصر
الى ارض سماها لنا اهلها الشبان فتلقانا اهلها الكهول والشبان
وطلبوا منا المبيت لديهم بقصد التسويق واقاموا سوقا حافلة مملوة
بالغنم والابل وغير ذلك من الالبان والسويق واعراب تلك الارض
يعرفون باهل الزاويه وهم ناس وجوههم طلقة غير زاويه واثار
الرفاهيه بادية عليهم غير واهيه غير انهم يشكون جور الغارات
من الاعراب والعمال ويزعمون انهم لا يحصل لهم لاجل ذلك تمام
الاعمال اخمد الله نيران الظالمين واذهب الجور من العالمين امين
وارتحلنا وقد نظمتنا الفيافي في سلوكها واوصلتنا فيما بين
الظهرين معطن سلوكها وسلوك معطن كالاجدابية في الماء وتفرد
الابار في الحجارة غير ان ماء سلوك اشد عذوبة وغزارة فما راينا اعذب
منها ولا اغزر ولا اشد حلاوة واكثر بحيث تكفي الركاب العديدة
ولا تتاثر مياهها الوافرة المديدة واخذ الناس يستقون من كل بير
حتى مضى من الليل جزء كبير وكان الناس ينتظرون اعراب تلك
الارض ليقضوا من اقامة السوق معهم نافلة السفر والفرض فلم
يظهر لهم اثر وكنا وجهنا اليهم من يخبرهم فما وقف لهم على عين ولا
ولا عثر واخبرنا بانه مرض في الطريق فبقي لا الى هولاء الفريق ولا
الى هولاء الفريق وهذا المورد هو اخر برقة الحقيقية كما مر وتسمى
برقة الحمراء وهو بمراى من الجبل الاخضر وبازائه اثار ابنية عظيمة
وان كانت ابنية الاجدابية اكثر والعادة ان اهل ابن غازي يتلقون

الركب بانواع الفواكه والخضر وكانهم لم يصلهم ان الركب هناك قد
حضر مع كون الرسول المبعوث اليهم والى الاعراب عاقه المرض عن
استيفاء المقصود منهم والغرض وابن غازي مرسى حسنة بسفح الجبل الاخضر
بينها وبين سلوك مسافة يوم وفيها عامل وعسكر لصاحب طرابلس
وفي تلك المرسى تصب اودية السمن والعسل والشحم والودك من
الجبل الاخضر الذي لا اخصب منه ولا اكثر اداما بحيث يكتفي منها
اهل تلك النواحي وتحمل السفن منه اضعافا مضاعفة الى طرابلس
وجربة وما بازائهما من البلدان ومن هذا الجبل غالب ادامهم ولحمانهم
مع رخص الاسعار الرخص الخارج الحد بحيث تشترى القناطير
من ذلك بالثمن التافه من بز او عروض او غير ذلك وعجائب هذا
الجبل وغفلة اهله وجهلهم ورخص الادام فيه مما هو مشهور معلوم ومع
ذلك لا يكاد احد يستوفيه وقد ذكر بعض هاتيك الغرايب ابو سالم
رحمه الله وارتحلنا متوجهين لدخول مغازة السروال الموصوفة
بشدة الاهوال فكان لطف الله حاضرا في جميع الاحوال وكنت قلت
ابياتا ضلت عني مبانيها وان كان لطف الله وتعويده الخير لعباده
في جميع المواطن وسؤاله تعالى ان يكمل علينا في هذا المحل هو المقصود
من معانيها فظللنا في فم السروال ثم دخلناه في قرب الزوال
والناس في وجل عظيم مما يعنا دون من شدة الحر وكثرة الدوام
اذ لاماء في مغازة الطويلة مسيرة سبعة ايام فلم نر باسا والحمد لله
مررنا في برودة تامة ونسيم طيب من فضل الله تعالى وبركة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والنجي ببركته هذا الوفد من جميع الافات وسلم
وبتنا بابن قردان والليل قد الم وارتحلنا مجدين السير للمزرب
لعلنا نجد به من الماء ما فيه بعض الارب وهو واد توجد في جوانبه
غدران اذا قرب العهد بالمطر فوصلناه في العصر وما فرغ عهده
بالعهاد فضلا عن كونه قطر وبتنا في فلاة يهماء وارتحلنا
قاصدين وادي سمالوس لعلنا نجد به شيئا من الماء فوصلناه بعد
ارتفاع النهار فالفيناه جافا وجوانبه تنهال رمالها اليه ونهار

وقلنا

وقلنا بموضع يسمى الشبيكة حتى طبنا بصلاة الظهر فيها نفسا وبتنا
بموضع تسمى لغفسا وارتحلنا فسرنا بالمخيلي او مخيل او مخيليف كما
سمعنا كلا منها ولم نجد من يقلده في تلك المعارف وسرنا فبتنا يسار
العلب الشارف وهو اسم رابية على تلك الطرقات رابية وارتحلنا
يوم الاحد فسرنا في معطن غزير يروى من غدرانه كل احد فبلغنا معطن
التميمي قبل الزوال وهو معطن عظيم تزان بسوقه الحافلة الاحوال
فاجتمع اهل تلك النواحي من كل فج وجاء اهل درنة وغيرهم
لتسويق الحج وقامت هنالك الاسواق لا يرى الحجاج مثلها في جميع
الفواكه والخضر وانواع الادم وضروب النعم ولا يجتمع في غيرها
ما يجتمع فيها من السمن والادام والتمر والشعير والدقيق والغنم
والنعم ودرنة مدينة على ساحل البحر بها مرسى بينها وبين التميمي
مسافة يوم ونصف من غربيه وكانت خالية منذ ازمان الى ان عمرها
الاندلس قرب الاربعين والالف ولم يزالوا بها الى ان بطروا
فانشبوا الحرب بينهم وبين امير طرابلس فاخرجهم منها صاغرين بعد
وقعة قتل فيها مئون من اشرافهم وهي الان في طاعته وفيها عامله
ومرسى هذه المدينة عجيبة تنزل بها السفن الواردة من الاسكندرية
ومن طرابلس ومن بر الروم ولا سيما جزيرة كندية فان بينها وبين
درنة مسافة يوم في البحر لانها في مقابلتها والمعاش في هذه المدينة
متيسر كثير الجمع بها بين البادية والحاضرة واقمنا في معطن التميمي
يومين لينال الناس من مطالبهم ويقضوا من مآربهم ما فيه قرة العين
ويتوسعون في استقاء اسقيتهم من كل عين وارتحلنا منه يوم الثلاثا
في الضحى فظللنا سائرين على ساحل البحر حتى زالت الغزالة ووصلنا
الى عين الغزالة وهي عيون من الماء العذب على ملوحة فيه تصب في بحيرة
منقطعة عن البحر يدور بها القصب اكثر جهاتها وليس في برقة
كلها ماء يجري الا هذا فاستقى الناس دوابهم من تلك العين وظلوا تحت
ظلال الاشجار في جوانبها حتى ادوا بصلاة الظهر بالعين وسرنا في
سبخة مستطيلة بين جبلين ثم خرجنا لارض طيبة ذات محارث مخصبة

ومزارع متصلة بسواقي صبيبة ومررنا في العشية عن يسار الطريق
ببيت منحوت في الحجر الصلد طولها عشرون ذراعا في مثلها وبداخله
بيت اخر بنحو نصفه وفيه غرف صغار كانها مخازن وكل ذلك منقور
في الحجر الصلد نقرا عجيبا مربعا كهيئة احسن ما انت راء من البيوت
وله باب مربع كاحسن الابواب وعند الباب حجرة واسعة منقورة
في الحجر ايضا فتعجبنا من بديع صنعتها واتقانها ورايع حسنها
واحسانها وتدبرنا قوله سبحانه وتنحتون الجبال بيوتا وجرى على
السنة الحجاج تسميته بقصر فرعون ولم ندر ما اصل ذلك ولا موجب
احداثه هنالك وقد اطال في وصفه العبدري واجاد واوما اليه
الشيخ ابو سالم ومررنا قبله ببيت اخر متصل بالارض قريب من الجبل
يسميه الحجاج بالحمام ولم يذكره احد من ارباب الرحل غير ان العبدري
ذكر انه مر في ايابه ببيت آخر يماثل الاول وابدع في وصفه ايضا
وذكر ان له مساطيب ومراحيض ومطابخ وغير ذلك فلعله هذا
الذي مررنا به اولا والله سبحانه اعلم ولله الامر من قبل ومن بعد وظعننا
يوم الاربعا التاسع والعشرين من رمضان فظللنا بالمدورة وهو
ماجل معد للماء يتالف فيها ماء المطر ولا يتغور وسرنا فوصلنا
في العصر للشجرات السبع وهي انواع مختلطة من الشجر كالرمان
والخروب وغير ذلك في وسط حفير منقور في الحجر وتجاوزناها
حتى اقبلت الظلماء وبتنا على غير ماء وارتحلنا يوم الخميس منعطفين
لناحية البحر لنرد منهل الدفنة ونقلل من جواهر مائه كل نحر فوصلناه
قبل الغروب وانزاحت عنا بتحصيله الكروب وهو منهل قرب البحر
مشتمل على احساء كثيرة سهلة التناول قريبة الماخذ نحو القامة وكل
من اراد احداث بئر حفرها فينبع معه الماء لسريانه في ذلك الساحل
كله وماؤه من اطيب المياه واحلاها واعذبها واحسنها واعلاها
وقد ملأ الحجاج منه اسقيتهم ومتعوا فيه دوابهم واوعيتهم وورد
علينا لهذا المورد طوائف من الاعراب بالسمن والغنم والابل وجاؤونا
بتمر سوي واخذ الناس منه كفايتهم بارخص سعر وذلك فضل من الله

ونعمة

ونعمة والله ذو الفضل العظيم وتمر سوي من احسن الثمار لم نر تمرا
يشبهه تمر سجلماسة قريعة من يوم خروجنا الا هذا لونا وطعما وهذا الطف
منه وانقى لان عادتهم انهم لا يحملونه الا في قفف من العزف كل واحدة
قريبا من نصف قنطار ويجعلون لها معاليق تعلق بها على اقتاب
الابل فيحمل الجمل منها عشرا او اكثر او اقل على حسب صغرها وكبرها وقوة
الابل وضعفها وتلك صنعة عجيبة يبقى التمر لاجلها على حالة نظيفا ولا
يحتاج مشتريه لغرارة وليت اهل مغربنا يفعلون مثل ذلك وقد ورد
علينا لهذا المنهل قوافل من الابل بهذا التمر حتى تنعم بشرابه المامول
وذو الامر واصبحنا في الدار يوم الجمعة مهل شوال ريثما اصلحنا
الهيآت والاحوال وارتحلنا متاهبين لاقامة سنة العيد فمررنا غير
بعيد وكان شيخ الركب طلب مني ان انوي الصلاة والخطابة
فرايت ان املاها بالموعظة لاحتياجه اليها وطابه بل راينا غالب هؤلاء
القوم محتاجين للموعظة واللوم والايقاظ من الغفلة التي
استولت على قلوبهم والنوم ولا يمكن التوصل لذلك في غير هذا اليوم
مع ان الظاهر من فحوى كلام الفقهاء انه لا محذور في ايقاعها للمسافر
بل ربما يستشعر من افعال السلف واقوالهم استحبابها والقول بكراهتها
عندي وان اختاره جماعة من الفقهاء ومال اليه شيخنا ابن ناصر في
رحلته من الامور البعيدة والله اعلم وبسط القول في هذا مراجع بضميمة
الفروع الى الاصول في الابواب والفصول وبعدما فرغنا من
الصلاة خطبت لهم خطبة حافلة جامعة لما يتعلق بالقواعد محذرة
مما الفه الناس من الغيبة والنميمة وغير ذلك من العوائد مشتملة على
الانتداب للحج وذكر فضائله والاحاديث التي وردت عن النبي عليه
السلام في فرضه ونوافله مع قلة الالفاظ وجزالة المعاني السهلة
للحفاظ وكنت اثبتها في الرحلة الضائعة لما حوت من المعاني
الرائعة والفصول الجامعة تقبلها الله على الاضاعة وجعلها لنا في
الاخرة انفع بضاعة امين ولما انصرفنا من الصلاة انحاز كل فريق
لفريقه واظهر في طريقه حسن طريقه واحضروا من انواع الاطعمة

اي حالة

المختلفة الالوان ما لا يجمعه ايوان في مثل ذلك الالوان مما لا يتفق
في الامصار والحواضر واوسعوا من ذلك كل حاضر تقبل الله الاعمال
وبلغ الامال بمنه وكرمه وبعدما استرحنا في ذلك المكان اعملنا
السير فبتنا في فضاء من ارض بطنان وكان بقربنا قبر مزار يقال
لصاحبه سيدي عزيز وهو من عرب سمالوس تاتيه الاعراب بابلهم
وغنمهم فيمرون بها بين كومين هناك ويزعمون ان من مشوا بها
هناك لا تصيبها افة في تلك السنة وربما اقتدى بهم بعض الحجاج
فيفعلون مثل فعلهم وظعنا يوم السبت فاتينا العقبة الكبيره
في وقت الظهيره وهي عقبة مشرفة على البحر وعرة ذات حجارة
عظيمه ترجل فيها الناس كلهم ولحقهم فيها تعبهم وكلهم وبقينا
تحت العقبة على ساحل البحر ريثما استرحنا وصلينا الظهر والعصر
وسرنا فوصلنا في المغرب منهل المقرب ولم يصل اخر الركب حتى غاب
الشفق وغرب فتفرق الناس بين هاتيك التلال يستقون من مائه
العذب الطيب الزلال ومنه بتنا عن يمين الحشومي في موضع يقال
له حوز البقر وربما سماه بالعش بعض من بحث عن اسمه ونقر وارتحلنا
يوم الاثنين فظللنا سائرين في بلاد مشتملة على ماجل كثيره واثار
عمران عظيم وابنية داثرة اثيره وبتنا في فلاة يهماء على غير ماء
وارتحلنا فاصبحنا في وقت الضحى بمورد جرجوف وهو معطن على
شاطئ البحر معروف مياهه كثيره واباره كبيره وغالبها عذب طيب
المذاق والقليل ردي لا يكاد يذاق مع شدة مقاربتها ومحاذاتها
واتحاد تربتها في ذاتها صنع الفاعل المختار الذي يخلق ما يشا ويختار
فتفرق الناس على الابار يسقون البهايم والابال واقبلوا على امتلاء
القرب كل الاقبال وجددنا في احسائها الطهر وصلينا به الظهر
وسرنا حتى وصلنا في المغرب لحلازين وهو واد لا ماء برمله اليابس وبتنا
فيما حواليه من البسابس وارتحلنا يوم الاربعا فمررنا بابي خلادق
وهو اسم ولي خديم الوفاة مشهور من اولياء الملك الخالق والفينا
بقربه ماجلا عظيما مملوا بماء المطر فبادر اليه من احتاجه وقضى منه الوطر

ثم

ثم مررنا بوادي الرمل بعد ذلك وهو واد عظيم تكتنفه حافات مرتفعة
هنالك وهو وان كان جافا من الماء ففيما يتصل منه بالبحر عن يسار
الذاهب مشرقا ابار تسمى المطروح فيها من المياه العذبة ما فيه غنية النفس
وشفاء الروح ولكنا استغنينا عنه بماء جرجوف الذي في القرب وما
انحرف له احد من الركب الا شرذمة قليلة من العرب ثم مررنا بواد اخر
اعظم من وادي الرمل مساحه يسمى وادي نصر الله بين اعراب تلك الساحه
وهو وان كان جافا من الماء ايضا فعند اتصاله بالبحر بئر تسمى
العبدية تفيض مياهها لكثرتها فيضا وهي مطوية بحجر في سفح
جبل مفرطة الكبر بحيث تقوم للاركاب مقام السبل وقابلنا
عروضها بالاعراض استغناء عنها بما في القرب اذ لم تتعلق بها
لاحد اغراض ثم مررنا بوادي ابي كدية الكبير المغني بعيونه الملحة
بهائم الركب وان كان جافا من الماء عن كلفة البير فشربت منه جملة
من البهايم وتجاوز اول الركب مع العلام والخبير وجعلوا يرتادون
المنزل واخذ كل يحوز موضعه وينزل فاذا بصاحب شيخ الركب
ينادي بين اهل ذلك النادي لا تنزلوا بل جدوا في المسير فقام
الناس واخذ كل من الرجالة يوقد في جريد نارا كالمشعل ليهتدي
اليه من خلفه ويسير فما نزل الشيخ المذكور حتى مضى من الليل جزء
معتبر وعبرنا الدار قرب معطن المدار وظعنا يوم الخميس مع
الفجر فمررنا ضحى بقصبات المدار وهي اثار ابنية قديمة منحوتة في الحجارة
متفرقة تتراءى في الطريق وعن يمينها احاطت بها البناء وواد ثم
وصلنا منهل المدار وهو احد المناهل التي عليها في ارض برقة المدار
كثرت احساؤه وطاب صباحه ومساؤه وقرب تعاطيه وسهل
تناوله وكثر ماؤه العذب الطيب واشتهر فضله وتطاوله فتفرق
الناس فيه وسقوا دوابهم وابلهم ثم استقى كل في قربة ما يكفيه وبعد
ما صلينا الظهر وفات الزوال اعملنا السير المتوال وبتنا بعد
غروب الشمس في ليلة غرا بعد الانحدار من العقبة الصغرى وظعنا
يوم الجمعة آخذين الحذر من الاعراب وهم السلالمة وحويلد الذين اغروا

في التلصص والغدر غاية الاغراب وعند ارتفاع النهار ظهرت خيول
كثيرة يعلو غبارها امام الركب كالدخان وما فيهم الا من غدر وخان
فتشوش الناس واستعدوا العدد والاهب وما منهم الا من اسلم
نفسه لمقاتلة السلالمة وخويلد ووهب فلما راوا تاهب الحجاج اليهم
اظهروا انهم سلم جاوا لتسويق الركب واقبلوا بعلم السلامة عليهم
ثم ظهرت خيول اخرى في اخريات الركب فانتظرهم الحجاج فلم يظهر
لهم خبر بل رجعوا وقد علاهم الهم والكرب وسلم الله وفد بيته
وزوار رسوله من الظالمين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين وحثثنا السير وتركنا راس الحصان يمينا ونزلنا
من يسار زهرزورة وهي ربوة صغيرة تقابل حميمة من ناحية الغرب
وحميمة مورد مشتمل على احساء كثيرة في رملة بيضا ذات ماء طيب
عذب ولم نمر به استغناء عنه وان بتنا قريبا منه وارتحلنا يوم
السبت اخذين الحذر ايضا من هولاء العربان الذين ظهر شرهم وبان
وبعدما رتضنا في غوط منخفض بين الكثبان قام على ربوة من
الحجاج حاج لقضاء بعض الحاج فاشرف على خيول كثيرة في اخريات
الركب يلتمسون الغرة للانتهاب فركب الناس واستعدوا الملاقاتهم
والتفتوا اليهم واقبلوا بكثرة العدد والعدد عليهم ورموهم
بالبنادق ليرتهبوا اي ارتهاب فلما علموا تاهب الناس لقتالهم
وتحققوا ان الحجاج لا ينالون بقوة الله وفضله بالاضعاف
المضاعفة من امثالهم رفعوا امامهم راية وجعلوها علامة على
انهم سلم لا ارب لهم في الشر والاذية وان كانت المخايل تكذب حالهم
وتظهر مكرهم ومحالهم وغادرناهم في غدران غدرهم هائمين
وسرنا في يم الامن والامان عائمين ومازال الناس يبصرون
اثارهم الى ان ولى النهار وانقطع خبرهم الذي لم يزل على شفا جرف
هار وحال الله بيننا وبين القوم الظالمين وخلص وفد من
خويلد والسلالمة سالمين وبتنا في قصبات الثمامه وهي ابنية كثيرة
تتراءى في جوانب الطريق وامامه وارتحلنا يوم الاحد قاصدين

منهل

منهل الثمامه لنزود من مائه العذب ولا عذوبة مياه الغمامه فعرضت
لنا خيول كثيرة في هيئة عظيمة واهبة كبيرة ورئيسهم محمد بابك عامل
البحيرة خرجوا بقصد التعرض للاركاب والبحث فيما بين الرجالة
والركاب عن رجل يعرف بسركس وهو احد سناجقهم وكبرائهم
وقوادهم العظام ووزرائهم كان عتا عتوا كبيرا في تلك الارض وعمت
شوكته الطول منها والعرض فعزموا على تغيير احواله وسفك دمه
وانتهاب امواله فخرج من مصر خائفا يترقب ونشط للفرار بنفسه
نشاط عير على مرقب فكان استقراره بالجزاير ليس بموزونها الخفية
ولا زاير فتحير اكابر العسكر المصري من سكونه وخفيته وكونه
وبقوا يتجسسون عن اخباره ويبحثون عن اثاره وينقرون عن
استخباره مخافة ان يعود الى مصر على ما فارقها عليه من العتو الذي
لا حد له ولا حصر فكان من راي باشا مصر وشدة عزمه وقوة همه
واحتراسه وحزمه ان وجه هذا العامل بجيشه العرمرم لفحص الركاب
وتفتيشها عن ذلك النكس اللئيم فتعرضوا اولا لركب الجزاير وفتشوا
حتى الدرابك والمحاير فلم يقفوا له على خبر في حافر ولا وبر ثم تعرضوا
لنا في خيل مسومه وعدد كثير وعدد مقومه واظهروا من الاطبال
ما حير الالباب ومن العوايط ما عم صوته كل اكمة وغايط ومن
المعازف ما تنكرت منه المعارف واستعد الحجاج لملاقاتهم كل الاستعداد
واستمدوا من معونة الله فوق ذلك الاستمداد فسرنا نخب ونضع
ونرفع ما نضع حتى دنونا منهم اذ لم يسعنا الاعراض عنهم فاقبل
كبيرهم على الشيخ وسلم عليه واكثر من الفرح بلقائه وشدة الاشتياق
اليه واخذوا في مسابقة الخيول واكثروا من اللعب بالمعازف والابواق
والطبول والركب سايرو هم يلعبون امامه حتى وصلنا منهل
الثمامه وهو احساء كثيرة على ساحل البحر الاجاج كالمعاطن المتقدمة
في طريقة الحجاج فاخذ الناس في السقي والاستقاء بنية الانصراف
من ذلك المورد وعدم البقاء فبعث رئيس العسكر للشيخ ان اقيموا
اليوم فساعفه بالاقامة خشية المعتبة واللوم وقام اكابر العسكر

بالتفتيش والتنقير كل القيام وعموا بالبحث ما امكنهم جميع الخيام
فما وجدوا لسركسهم من خبر بعدما اختبر كل منهم جميع الاركاب
وخبر وارتحلنا يوم الاثنين من الثمامه فركب جيش الاتراك وتقدم
الركب وسار امامه فخلنا انهم ركبوا الخيول بقصد التوديع ليخرجوا
من تشنيع عدم التشييع فاذا هم ارادوا انهب من كان معنا من
عمالتهم من الاعراب فتعرضوا لاول الركب واخذوا من عرفوه من
قبيلهم دون استحياء ولا استغراب وحازوا ابلهم دون تبيين
ولا اعراب ولله الامر من قبل ومن بعد وفيه الكفاية اذا انقطع
الرجاء من العبد وانفصلنا عنهم والقلوب متقلبة بين جمار
غضى الجور في ذلك الفضاء سائلة من الله تعالى اللطف في القضاء
فهو سبحانه ينتصر على من انتهك حرمة وفده ويجازي الصابرين
على ضير الضائرين من واسع احسانه ورفده وبتنا عزبي القرعه
في ربوة تسمى العرجف في فلاة قرعه وارتحلنا يوم الثلاثا فبتنا
بمنهل عقونه وهي ربوة ذات آبار عذبة ليست بمتروكة ولا معفونة
وماؤها من اعذب المياه واطيبها واجلاها واسهلها واصفاها
واجلاها وارتحلنا يوم الاربعا فتياسرنا عن وادي الرهبان
وهو واد ممتد بين عظام الكثبان سمي بذلك لان فيه رهبان
النصارى يتعبدون في ديور اربعة كل طائفة في دير ولا يدخل
اليهم احد من غير جنسهم وليس لهم زرع ولا ضرع واهل الذمة
من نصارى مصر يعاملونهم ويوجهون اليهم بالصدقات والنذور
في طعام وكسوة وغير ذلك وقد مال اليهم بعض الحجاج وشاهدهم
هنالك وبتنا في اثناء هاتيك الرمال في ارض لا نبات فيها ولا
مرعى للبهايم والجمال وارتحلنا يوم الخميس فظلنا قبالة الاهرام
التي رمت الدهر بالمشيب واشرفنا على الاهرام وقد جمع السيوطي
في وصفها ما قصد ورام كقول ابن الساعاتي في ذلك المرام

ومن العجايب والعجايب جمة دقت عن الاكثار والاسهاب
هرمان قد هرم الزمان وادبرت ايامه وتزيد حسن شباب

لله اي بقية ازلية تبغي الزمان باطول الاسباب
وكقول سيف الدين بن جباره
لله اي غريبة وعجيبة في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها ونضت عن الابداع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامة من غير ما عمد ولا اطناب
واطال في انشاد الاشعار فيها ونبه على اصل وضعها وبانيها
وغير ذلك من الامور التي لا يقوم بها التاليف ولا يستوفيها
وسرنا متياسرين عن الاهرام حتى آن العصر وبتنا بعد مجاورة
كرداسة بين ارياف مصر وورد علينا ناس كثيرون من مصر بانواع
القثاء والبطيخ وغير ذلك من الخضر وجاؤنا بجميع انواع الاطعمة
للحضر واستقينا من ماء النيل العذب الزلال وبتنا متنعمين
في انواع الخيرات التي لا جزاء لها الا ادامة شكر ذي الاكرام والجلال
ولم يزل الناس ليلتهم في ارغد عيش شبعا وريا وكيف لا ونحن على
ساحل النيل الذي اشرف الانهار الاربعة الخارجة من الجنة الى الدنيا
واثر بركته ظاهرة للعيان في مائه وترابه وقراه ومداينه بحيث لا يوجد
بلد اوسع مزارع واكثر خصبا مع اتصال العمارة نحو الشهر من هذه
البلاد لها لا اختصاص بمضاعفة الوظايف الجورية على الرعية
بحيث تملك رقابهم فضلا عن اموالهم ولا يجدون عن ذلك محيصا
بمنعة او فرار حتى ان احدهم لو اراد ان يتخلى ويترك الزراعة والفلاحة
لم يتركوه ولو فر لا تبعوه حتى استقاض عند العمال الفسقة ان
ثلاثة لا تقبل فيهم شفاعة ويعدون منهم من يريد ان يتخلى عن الفلاحة
والزراعة قاتلهم الله اني يوفكون لا هم ينصفونهم ويخففون عنهم من
المظالم ولا هم يتركونهم يذهبون حيث شاؤا من هذه العوالم اتخذوا
مال الله دولا وعباد الله خولا وقد ذكر المورخون ان مصر لا بد ان
تشتمل على طائفتين احدهما في غاية العتو والاستكبار والاخرى في
غاية الذل والاحتقار وقد صدقوا فقد كان فيها فرعون وملاؤه فلم
ينته دون ان قال انا ربكم الاعلى وبنوا اسرائيل اذ ذاك مستضعفون

فى الارض يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم ثم لم تزل كذلك وانها
فى زماننا بل قبله بازمان لعلى مثل ذلك الوصف فبشواتها وصناجقها
وولاتها وحكامها بل وساير جندها وعسكرها فيما ظهر لنا ليس
فيهم الا من اعماه الباطل وحب الدنيا واسكره شراب الرياسة والظلم
وختم على سمعه وقلبه فهم لا يرحمون ضعيفا ولا يوقرون كبيرا ولا
يعظمون مشروفا ولا شريفا فلا يامن الناس معهم على نفس ولا مال
لانهم عدل بهم هواهم عن طريقة العدل والحق ومال وامار عينها
وفلاحتها فلا تسل عما يلاقون من الظلم والجور من الجند وماهم فيه
من الاهانة والاحتقار تضرب ظهورهم وتوخذ اموالهم ولا مشتكى
لهم الا الله ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الاليم واخبار
مصر وظلم الولاة بها وغش الباعة وحيل المتسببين ومكر العاملين
اعظم من ان تحصى ولا غرض فى تتبع ذلك ومن وردها يعلم غالب
ماهنالك واصبحنا على انبابه وتوجهنا لزيارة سيدى اسمعيل الانبابى
وفرغنا بابه وانبابة مدينة على ساحل النيل لها اسواق حسنة ووكايل
ومساجد على هيئة القاهرة وهى بالجانب الغربى فى مقابلة مدينة بولاق
ولما انتهت مدينة انبابه اشرفنا على النيل يرفع على سواحله عُبابه
فتذكرت حين ابصرت تلك المحاسن التى لا استوفيها قول ابن ناهض فيها
شاطى مصر جنة ما مثله فى بلد لا سيما مذ زخرفت بنيلها المطرد
وللرياح فوقه سوابغ من زرد مسرودة ما مسها داوُدها بمبرد
سابلة وهولها يرعد عارى الجسد والفلك كالافلاك بين حادر ومصعد
وقول الاخر انظر الى النيل الذى ظهرت به آيات ربى
فكانه فى فيضه دمعى وفى الخفقان قلبى
واجتمع الناس على شاطى النيل مواكب مواكب واخذوا يعبرونه
فى المراكب وحيث عبرناه ونزلنا ببولاق القينا عم رفيقنا سيدى
محمد وهو السيد الحاج مسعود جاءنا بقصد البلاق والفينا هنالك
من الابل المعدة لحمل الحاج ما فيه غنية للحاج ويحمل على الواحد منها
اربابها من عظيم الاحمال ما يكل عن حمله فى موضع اخر الجلادن والاجمال

نقضينا

نقضينا من ذلك العجب وذكرنا حكاية تحتم ذكرها هنا ووجب
ذكر الشعرانى فى طبقاته عن بعض الصالحين ممن يسكن فى بعض قرى
مصر انه كثرت اذاية اهل القرية التى هو بها له فعزم على الخروج منها
فاكترى جمالا ليحمل امتعته فاتى بجمل فجعل يلقى عليه كل ما كان من
الامتعة فلما اكثر عليه قال له الشيخ انك قد ثقلت على هذا الجمل فقال
له صبى هناك يا عم ان الجمل يحمل اكثر من هذا فتفكر فى نفسه وقال هذا
خطاب من الحق لى فاذا كان الجمل وهو من الحيوانات البهم لا يعقل
ولا يرجو ثوابا يحمل اكثر من هذا فكيف لا تحمل انا اكثر من هذا من
اذاية الخلق فحط امتعته ورجع فسمع منشدا ينشد
ان الجمال التى بالحمل قد عرفت تابى العياء ولو مست من العتب
فاكد ذلك عنده فافهمه وقد رايناهم حملوا على جمل واحد ما كانت
تحمله الخمسة والستة من الابل فى الطريق وقد سخر الله لهم الابل ونزع
الرحمة من قلوبهم عليها يحملون عليها القناطير المقنطرة من الامتعة
واحمال التبن والحطب وغير ذلك حتى لا يظهر من الجمل الا راسه
ثم يدخلونها السفينة كذلك وينيخونها فيها باحمالها على ظهورها
ثم يخرجونها منها كذلك وقد الفت ابلهم ذلك واما ابلنا فلا يدخل
منها جمل الى المركب الا بعد عناء شديد ووثاق وثيق وضرب عنيف
وادارة الرجال بها بعضهم يحملها وبعضهم يضربها وبعدما حملنا
الحوايج وانفصلنا عن ذلك الموقف الرايج تقدم عم رفيقنا الحاج
مسعود يرتاد لنا منزلا قريبا من الازهر لانه لدينا سعدا لسعود
ذكر دخولنا لمصر القاهرة حفظها الله وامنها من كل صولة قاهرة
ثم دخلنا ضحوة الجمعة الى القاهرة ذات المحاسن الظاهرة والمزايا
الباهرة فالفينا الحاج مسعودا اكترى لنا محلا فى الغورية قريبا من
الناحية الازهرية فانزلنا امتعتنا فيه وانطلق بنا الى منزله الكريم
الاهل المحفوف بالفرحب وسهل واهل واحضر لنا من انواع
الاطعمة ما لا نكاد نقوم بحقه ولا نستوفيه وختم لنا بما فيه من
الاشربة غاية الشهوة وجرى على اصطلاح اهلها تيك الارض فى تاكيد

حضور شراب البن المعروف عندهم بالقهوة بعدما نوع لنا الاطعمة
المغربية والمصرية وجمع لنا منها بدوية وحضرية وان كان اهل مصر
بل وكذلك غيرهم من اهل الحرمين والحجاز والافاق المشرقية كلها انما
يتكارمون بالقهوة التي لا يعرفها المغاربة ولا يعدونها في الاطعمة
ولا في الاشربة ولا في الادوية ولا في المشتهيات والكلام فيها من
حيث الحكم بالاباحة وعدمها طويل عريض واسع معلوم مشهور نظما
ونثرا واكثر العلماء مائلون فيها الى الاباحة وترشح قولهم بفعل اكثر
الصوفية مع تورعهم في المطاعم والمشارب لما اشتملت عليه من الفوائد
التي منها اعانة على السهر في العبادة والمطالعات الليلية ومنها
انها تزيل ما يحصل في الراس من التدويخ بسبب السهر وخلو المعدة
صباحا فاذا شربها الانسان وجد في اعضائه نشاطا عظيما واحس
بخفة في راسه زائدة كما شاهدنا ذلك منها ولا سيما في السير ليلا
بالحجاز ومنها انها تهضم الطعام وتذهب بثقله على المعدة ومنها
انها تنفع في الحر وتبرد حرارة العطش فلا يحس شاربها بعطش ولا
حر ولا غير ذلك وكونها باردة هو المتداول بين الناس ولكن قال
الشيخ داود الانطاكي في التذكرة ان البن حار في الاولى يابس في الثانية
قال وقد شاع برده ويبسه وليس كذلك لانه مر وكل مر حار ويمكن
ان يكون القشر حارا ونفس البن اما معتدل او بارد في الاولى والذي
يعضد برده عفوصته وذكر له منافع منها انه مجرب لتجفيف الرطوبات
والسعال البلغمي والنزلات وفتح السدد وادرار البول قال وقد شاع
الان اسمه بالقهوة اذا حمص وطبخ بالغا بالماء وهو يسكن غليان
الدم وينفع من الجدري والحصبة وذكر غير ذلك مما محله غير هذا المختصر
وقد كان ورد علي ونحن في الحرم الشريف سؤال يتضمن ابحاث
نفيسة تتعلق بالقهوة واحكامها فجمعت في ذلك تأليفا مستقلا حافلا
سميته الاستمساك باوثق عروة في الاحكام المتعلقة بالقهوة ورتبته
على مقدمة واربعة فصول وخاتمة وابديت فيه من نفيس الابحاث
ودقيق الانظار ما يشهد بتحريره عند مشاهدته جميع النظار فعدا عليه

ذلك

ذلك السارق واخذ فيما اخذ من القراطيس والمهارق فقبله اسد على
التلف وعوضنا فيه وفي غيره خير خلف وقد صرح بعض العلماء انها تحرم
على من طبعه السوداء وتكره لمن طبعه الصفراء وهي نافعة لصاحب
البلغم قلت وكذلك غيرها من انواع المطعومات والمشروبات
يحرم تناول ما يضر منه على من علم انه يضره ولا يكون ذلك موجبا للتحريم
مطلقا كما لا يخفى والحاصل ان الشاربين لها كما قال الشيخ ابو سالم
فريقان فريق يشربونها في اماكن معدة لذلك من حرفة فقلما يخلون من
لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجواري ومن في معناهم من المرد
مع الات الطرب والغناء فهؤلاء الحامل لهم على شربها اتباع الاهواء
والتلذذ بما قارنها من الامور المذمومة فينبغي ان يقال انها محرمة
في حق هؤلاء لا لذاتها بل لما قارنها من الامور المحرمة وهذا لا خصوصية
له بالقهوة بل وكذلك الحليب المجمع على حليته اذا قارنته هذه الامور
المحرمة الممنوعة شرعا فانه ينبغي ان يمنع الاجتماع عليه بمثل هذه
الهيئة الفاسدة اذ ليس شربه هو المقصود منها بل ما حف به من
المناكر العظيمة المبنية على غير قاعدة والفريق الثاني يشربونها
في مساكنهم وحوانيتهم وفي مطلق السوق من غير تهيئة ولا احتفال
ولا جلوس مع الفريق الاول فهؤلاء الحامل لهم عليها الفهم لها حتى
انهم يتضررون بتركها ويحدث لهم تركها ضررا في ابدانهم وقد حملهم
على شربها تحصيل ما اشرنا اليه من المنافع وغالب ما يستعملونها مع
طعام خفيف من كعك او كسر خبز او نحو ذلك هذا مع خفة مؤنتها
اذ بفلس واحد يشرب من ذلك ما يكفيه مع تيسرها في جميع الاوقات
من غير احتياج لكبير مؤنة ولا مقارنة ادام او ملح او ابزار او خضر
او غير ذلك مما يحتاج اليه غالب الاطعمة وبنا على ما ذكر من منافعها
وهو اكبرها عندهم انها تقوم مقام القرى للضيف بحيث لا يستحيي
احد في تقديمها للباشا فمن دونه ويقوم ذلك عندهم مقام ما يتكلفه
المرء عندنا من الاطعمة الكثيرة الفاخرة المنوعة التي تبلغ قيمتها
الدنانير الكثيرة ودرهم واحد يقوم مقام الدنانير لا يكره احد

على انه لو قدم لاحد هناك اى طعام لم تكن معه فكانه لم يقدم له شئ
وان قدمت هى وحدها كفت قال الامام ابو سالم بعد ان ذكر مثل ما تقدم
لطيفة اخبرنى شيخنا الملا ابرهيم بن حسن الكورانى ان شيخنا
الامام صفى الدين القشاشى كان يقول مما انعم الله به على اهل الحجاز
هذا البن لانهم ضعفاء فقراء فى الغالب والناس يقدمون عليهم من
الافاق والانسان لابد له من طعام يقدمه ممن دخل عليه ولا قدرة
لهم على تكلف ذلك لكل احد يدخل عليهم وهذه القهوة خفيفة المؤنة
والناس راضون بها غنيهم وفقيرهم ورئيسهم ومرؤسهم فكانت
صيانة لوجوه الفقراء عند وروداحد عليهم فلا يبعد ان تكون مستحبة
عند اهل الحجاز لان اتخاذ الانسان ما يصون به عرضه مطلوب شرعا قال
ذلك فى معرض المزاح وقد سئل عن حكمها قال ابو سالم وكلام هذا الشيخ
مع جلالة قدره وجمعه بين العلم الظاهر والباطن وكلام غيره من ايمة
الطريق مما يتقوى به قول من قال باباحتها لان المسئلة اذا كانت ذات
قولين وكانت الصوفية مع احدى الطائفتين ترجح قولهم لامحالة
لما رزقوا من صدق الالهام ونفوذ البصيرة مع تاييد الله لهم عند اشتباه
الامور فيميلون مع الحق اينما مال لرفضهم دواعى الهوى نص على
ذلك غير واحد من الايمة وقد شاع وذاع عند كثير من الناس بل
ذكره غير واحد ممن تكلم عليها ان اول من احدثها واخرجها من ارض
اليمن الشيخ المتفق على ولايته سيدى على بن عمر الشاذلى اليمنى وامر
اصحابه بشربها ليستعينوا بذلك على السهر فى العبادة ثم لم يزل امرها
يفشو شيا فشيا ومن بلد الى بلد الى ان آل الى ما آل بحيث عمت البلاد
المشرقية وكثيرا من المغربية فيحمل منها فى كل سنة من بلاد اليمن الى كل
افق من الافاق شرقا وغربا آلاف من الاحمال فتدفع فيها اموال قلما
تدفع فى غيرها من التجارة فيبلغ الحمل منها فى مكة اذا رخص فوق
العشرين ريالة وبمصر الى الخمسين وفى البلاد الشاسعة كافريقية
وبلاد الروم من القسطنطينية وغيرها فوق المئين قال ابو سالم
ومن احسن ما رايته من الاسئلة والاجوبة فى شان القهوة نظماً

ما

ما اشتملت عليه هذه الوجادة فاقول وجدت بخط شيخنا الامام
ابى مهدى عيسى بن محمد الثعالبى بمكة المشرفة ما نصه كتب العلامة رضى
الدين محمد بن ابرهيم الحلبى الحنفى المعروف بابن الحنبلى للشيخ على بن محمد
ابن عراق يسال عن القهوة

ايها السامى لكلتا الذروتين … بجوار المصطفى والمروتين
العلى القدر علما وكذا … عملا فوق علو النيرين
من له فى الزهد باع ويد … وهو فى بذل الندا رحب اليدين
افتنا فى قهوة قد ظلمت … حيثما شيب تعاطيها بشين
من تلاه ها لنا مهيعه … وافتراق لاقا وتل ومين
ومراعاة امور شهدت … فعلها فى الحان كلتا المقلتين
وحكى شرابها اهل الطلا … فالتدانى بين تين الفرقتين
اوادعوا اذا الطرس ماتحوا الغنى … اوادعوا فالياس احدى الراحتين

فاجابه الامام ابن عراق بقوله

ايها السامى سمو الفرقدين … وامام العلم مفتى الفرقتين
يا رضى الدين يا بحر الندا … من رجاكم راح مملو اليدين
جانى منكم نظام قد حكى … فى نصوع اللفظ مسبوك اللجين
قلت فيها ان ذى القهوة قد … خلطوها بتلاه وبمين
وبمطعوم حرام وغنا … وبرقص وبصفق الراحتين
وطلبت الحكم فيها بعدما … قد رايت ما ذكرتم راى عين
وجوابى انها حل ولا … يقتضى ما قلتم تحريم عين
وعلى ذى الامر انكار الذى … شانها حتى تصفو من رين
والتدانى من حماها وهى فى … وصفها المذكور شين اى شين
والصفا فى شربها مع فئة … اخلصوا التقوى وشدوا المئزرين
ثم ناجوا ربهم جنح الدجا … بخشوع ودموع المقلتين
فابتداء الامر فيها هكذا … قد حكاه عن ولى دون مين
ذا جوابى واعتقادى انه … فى اعتدال كاعتدال الكفتين

قال ابو سالم والامام ابن عراق مشهور فضله وعلمه وورعه وهو

صدر في علماء الحرمين علما وعملا وجوابه في المسئلة هو الحق ان شاء الله
والى مثله تميل اجوبة كثير من الايمة من انها اذا اخلت مما يضاف اليها من
المحذورات فهي في نفسها مباحة وعلى ذلك عمل كثير من الايمة المتعمقين
في الورع تركا لما لا باس به حذرا مما به الباس كما هو شانهم في غيرها
من المباحات التي هي من الفضول **قلت** وهذا الذي اختاره
ابن عراف وجنح له ابو سالم هو المصرح به في فروع المالكية كما في الحطاب
وغيره وهو مختار الشافعية والحنفية ايضا كما وقفت عليه في كثير
من اجوبتهم وتآليفهم فيها وكنت لا اعلم الحنابلة ما يقولون فيها
ولا ما يحكمون به عليها وكان ذلك يخدش في الصدر وان كان يغلب
على الظن ان اقوالهم لا تخرج عن هذه القواعد حتى وقفت على
الكتاب الموسوم بالدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج ومكة المعظمة
تاليف الامام الكبير زين الدين ابي محمد عبد القادر بن الشيخ بدر الدين
محمد بن عبد القادر بن محمد بن ابرهيم الانصاري الجزيري الحنبلي وهو
كتاب حافل ابدى فيه واعاد وافاد واجاد واطال واطاب
وملأ الوطاب فرايته استطرد الكلام على القهوة فقال بعد كلام
واذا شربت مخالطة لوصف خبيث كما فشى الاجتماع عليها في البيوت
والخانات في هذا الزمن وعمت به البلوى وتواترت به المحن من الانهماك
في حانات لهوهم على ما يوثر من فسادهم وزهوهم متصفين بقبايح
افعالهم الشنيعة واحوالهم المخالفة لامور الشريعة كخلط القهوة
بالمحرمات وادارتها كالمسكرات والتوسع في الغيبة والنميمات
وقذف اعراض المحصنات المومنات وانهماكهم في اختلاق الاكاذيب
التي لا حقيقة لها وباطل الاشاعات وما لا خير فيه من الاعمال
والمقاصد القبيحات فلا خلاف في حرمة ذلك فاولئك الذين حبطت
اعمالهم ونمت منهم الاوزار والسيئات ويجب على ولاة الامور ردعهم
وزجرهم ومنعهم من خبائث هذه الاجتماعات واما المنفرد والمجتمع
على شربها السالم من شوائب افعال المخلطين في دابها فلا يمنع من
استعمالها سواء كانت مستعملة للاعانة على العبادة او على امر مباح

كسهر

كسهر في صناعة او نشاط في عمل مباح لانها حينئذ من احل الحلال بالنص
والاجماع ومن زعم ان شربها منفردة يسكر او يغير فقد افترى بهتانا
واثما عظيما قال وقد الفت في حلها مولفا بديعا في بابه وسميته بعمدة
الصفوة في حل القهوه وبينت فيه الحل بالنص الصريح وبطلان قول
المخالف لذلك ممن هو لشربها غير مبيح ولا يحتمل هذا المولف الاطالة
و**قلت** في حلها واطرابها

اضوء انس بدا يهدي لذي كرم … ام نار قهوة تسري في دجا الظلم
موضوع صفوة اقوام قد اجتهدوا … في حفظ اوقاتهم ليلا على قدم
فانهض الى حانها واشهد منصتها … والمم بكاساتها الماام منسجم
فيها منافع لا اثم بما انتجها … ولا تصد عن الطاعات او تصم
ولا تخدر كالافيون ان شربت … او كالحشيش وما فيه من النقم
ولا كبرش يودي مسح مدمنه … في الذات والعقل والاحوال والشيم
سمراء لا تنزل الاكدار ساحتها … تشفي من النوم او عرق بدا بفم
وللحصاة مع الادرار ثق بشفا … وللصداع ففيها اي معتصم
ينشف البلة الرطباء في معد … وللبلاغم قل ما شئت ان تدم
وفعلها في بواسير تداوله … اهل التجارب حتى صار كالعلم
وفي الجماع لمرطوب المزاج يزد … حتى يرى ذاك في فعل وفي عدم
تفيدك اللون اشراقا حرارتها … وتذهب الهم في بدء ومختتم
لا عيب فيها سوى تنشيط شاربها … وفي العبادة مفتاح لذي الهمم
ففعلها في نشاط لا يعادلها … فيه سواها ومشفاة من السقم
اكرم بها من شراب طاب مورده … الهام آل طريق الله ان قدم
حلو فكاهتها حتى مذاقتها … حل مساغتها في الحكم فاحتكم
بها من البسط ما يعنون مرتحة … وهو ارتياح لنفس الشارب النهم
وخفة عند اسباب يعالجها … مع اقتدار على الاعمال بالهمم
ان قلت فيها حرام وهو مجتنب … قلنا المضرة فيها يسر لقسم
فتور اعضاء مدمنها اذا فقدت … فان وفت آت ما قد كان من عدم
وان تصفها بيبس للمزاج فقل … كل الكثير عدو الطبع بالسقم

فدع مقالة من قد ظل يمنعها … بحرمة و لشرع عن هداه عمى
ولا تكن عن اصول الشرع فى دهش … فالحق يظهر من معنى ومن كلم
والاصل فى مطعم حل بلا شبه … فما عدا النص كالميتات او كدم
وزعمه انها كالخمر مسكرة … عناوه ظاهر فيها بلا و هم
اهل ترى شاربا منها يعربد او … يميل سكرا بقول غير منتظم
نعم اذا اقترنت بالوصف وجمعت … فواحشا فاجتناب غير منفصم
وحيث ثبت بمحظور تعاطيها … محرم لا لذات فاصغ واستفهم
وادخل لحانا تها واشرب وكن فهما … بالذكر فهى طريق الصادق الفهم
واستجل فنجانها واغنم مسرتها … فى مجلس صادق لله ذى النعم
مع البخور او الريحان فى ملاء … تدفع بدعوتهم ما خفته من نقم
ولا تكن بالحديث اللهو مشتغلا … ففى البطالة انواع من الوصم
وقل بها فى عبارات و فى سهر … و فى نشاط وفى علم و فى حكم
فانها الخل ما دامت منزهة … عن الخبائث فى حل و فى حرم
وكل من رام اعداما لمشربها … فقد تعرض للبلوى و للعدم
لونها تحفة السادات فى سهر … كشا ذلى المحاوى الدين والقدم
وكالمساوى وكالشيخين فى يمن … هما المرجى والريحانى فى امم
وقل من عابها الا و قد وصفت … لدائه فغدت تشفيه من الم
قد قيل ان بها سرا لولى فدع … ذكرا لنقيصة بالتسليم واستلم
وكن بها حذرا وانج بها عملا … ولا تكن كسلا فى ساحة الندم
فقد جلوت عروس الشرع وانقشعت … غياهب الشك عن نور من الرقم
ثم الصلاة على المختار من مضر … خير البرية من عرب ومن عجم
لابن الجزيرى يا مولاى حد برضى … واغفر له يا عظيم العفو والكرم

قلت اوردت هذه القصيدة وما قبلها ليعلم منها ما يقوله الحنابلة وانهم موافقون لغيرهم من المذاهب مع ما اشتملت عليه من الفوايد المتعلقة بالقهوة والمنافع الناشئة منها غير ان ما اوما اليه من انها تنفع من الصداع ومن البواسير مخالف لما قاله الشيخ داود الانطاكى فى التذكرة فقد صرح بان شراب القهوة على الكيفية

المذكوره

المذكورة يجلب الصداع و يهزل جدا و يولد البواسير و قطع الباءة وربما افضى الى الماليخونيا قال فمن اراد شربه للنشاط او غيره من المنافع فليكثر معه من اكل الحلو و دهن الفستق والسمن قال وقوم يشربونه باللبن وهو خطا يخشى منه البرص وكنت نبهت على جميع ما يتعلق بهذا وغيره فى كتابنا الاستمساك باوثق عروه الذى اشرنا اليه قبل وقد الف فيها جماعة من اهل مصر والقاهرة والحرمين والشام وغيرهم مولفات عديدة وقفت على جلها واثبت خلاصتها فى ذلك الكتاب وحليتها صريحة من عموم قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما لاية فقد قرر اهل الاصول انها دليل على ان اصل كل مطعوم من نبات وغيره الحلية الا ما استثناه الله تعالى او ادى الى عذر فى عقل او بدن والله اعلم والكلام فيها كما قلناه طويل عريض ما بين مثبت وقابض وهذه النقطة غاية ما يحمله هذا الجدول من ذلك السحاب العارض والبحر الاطول ولما قضينا الغرض من جميع ما عن من الاطعمة والاشربة وعرض توجهنا للجامع الازهر الانور الازهر فصلينا به صلاة الجمعة ونلنا بالحضور فى حضرته الفضل جمعه ثم شرعنا بجوب بعض مشارعها وبغتاديم جادتها وشارعها فاذا هى ام العجايب ومعجزة كل جايل وجائب حازت كل اعجوبة واتسعت حتى حازت من الارض ما لا يقدر احد ان يجوبه وجمعت اصناف الخلايق وتعدد فيها اللايق وغير اللايق فهى ام البلاد شرقا وغربا وقاعدة الامصار بعدا وقربا فلا يستغرب شى مما يحكى عنها ولا يستوفى احد الغرض منها ومصداق ذلك ما حدث به بعض التجار قال لما دخلت مصر فى حدود الخمسين سكنت فى بعض الوكايل وكان من قدر الله ان اجتمعنا فى محل واحد جماعة منا فلان تاجر وفلان طالب وفلان صوفى وسماهم قال فاذا اصبحنا تفرقنا كل واحد يغدو لحاجته فاذا جن الليل جمعنا المنزل فنتحدث بما راينا فيقول التاجر ما رايت مثل هذه البلدة فى التجارة فاهلها كلهم تجار و يقول كل مثل ذلك وما ذلك الا لكثرة اجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجده وبالجملة

فاهلها لهم عقول راجحة وذكاء زايد فمن استعملها في الخير فاق فيه غيره
ومن استعملها في الغير فكذلك وذكر ابن خلدون في كتابه مشهد
العبر ان بعض ملوك الغرب سال بعض العلماء ممن حج عن مصر فقال
لا اقول لك فيها قولا واختصر من المعلوم ان دائرة الخيال اوسع
من دائرة الحس فغالب ما يتخيله الانسان قبل رؤيته اذا راه وجده
دون ما تخيل ومصر بخلاف كل ما تخيلت فيها فاذا دخلتها وجدتها
اكثر من ذلك وسئل اخر عنها فقال كان الناس فيها قد حشروا الى
المحشر لا ترى احدا يسال عن احد كل واحد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه
وجميع ما يحتاج اليه من احوالها مستوفى في تواريخها واحسنها حسن
المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة تاليف الامام السيوطي رضي الله عنه فمن
اراد مطالعته لم يفته من اخبارها الا المعاينة واصبح السبت توجهنا
لزيارة الامام الذي لا ينبغي لاحد دخل مصر ان يهمل زيارته اذ هو صاحب
التصرف التام بمصر رئيس الايمة وشيخ مشايخ الامة ابي عبد الله محمد بن
ادريس الشافعي رضي الله عنه وعليه بناء عظيم ومسجد حافل وقيم
المشهد لا يفارقه ليلا ولا نهارا وهو من المشاهد الكريمة والماثر العظيمة
له اوقاف عظيمة ويتخذ عند قبره في كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه ناس
كثيرون ويضيق بهم المسجد وافنيته يبيتون طول الليل بين ذكر وقراءة
وصلاة مفترقين ومجتمعين في ذلك كله لا يفترون الى طلوع الفجر وذلك
دابهم ابدا في ليلة كل سبت وتستمر عمارة الروضة بعد ذلك يوم السبت الى
الزوال وقد لقيناها مملوءة باصناف الناس ما بين شريف ومشروف
ومامور وامير ونساء ورجال والناس كلهم ينادون في طريقه بالله
يا امام وذلك المجمع لا يخلو من جماعة من الصالحين فقد ذكر الامام الشعراوي
رضي الله عنه ان جماعة من الاولياء يحضرون كل يوم لزيارة الامام
الشافعي رضي الله عنه وهو حقيق بذلك وجدير بما هنالك فانه بالمحل
الذي لا يدرك علما وعملا وحالا وحلما وسعة اخلاق وحسن طبيعة
وزكاء اعراق ونصرة للدين وحماية له باذلا في ذلك نفسه وماله وجاهه
فقد اتفق العلماء على انه ليس في اصحاب الامام مالك رضي الله عنه اثبت

ولا

ولا اعلم ولا افقه ولا اعرف بالحديث من الامام الشافعي كما اتفقوا على ان
ليس في مشايخ الامام الشافعي اجمع للخصال المذكورة من امام الايمة مالك
ابن انس رضي الله عن جميعهم وزرنا المشهد العظيم المحتوي على جماعة من
اهل البيت رجالا ونساء اشرفهم السيدة نفيسة الطاهرة واليها ينسب
المشهد وبها يعرف وعليه بناء عظيم وبازائه مسجد وبيوت تسكن فقلما
يخلو من زائر وراغب الى الله في كشف كربه وقبرها معروف باجابة الدعا
فهو ترياق لنيل كل مراد كقبر ابن عمها موسى الكاظم رضي الله عن جميعهم
ببغداد وهي السيدة نفيسة بنت الامير حسن بن زيد بن علي بن الحسين
دخلت مصر مع زوجها اسحق بن جعفر الصادق وكان الامام الشافعي
يصلي بها التراويح في رمضان وزرنا مشهد السادات المالكية ابن القاسم
واشهب وغيرهما ومشهد السادات الوفائية وتوجهنا لزيارة جميع من
بالقرافة بلا تعيين لاشتهار فضلها وفضل ما اشتملت عليه من المزارات
وقد ورد في الاثار انها بقعة من الجنة ولذلك امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بجعلها مقبرة للمسلمين قائلا لا اعلم تربة الجنة الا مقابر المسلمين رضي الله عنه
ما اصدق فراسته ولم تزل مدة اقامتنا بمصر هذه الايام القليلة نتردد
لمشاهدها الجليلة ونزور من امكننا زيارته من مزاراتها الحفيلة مثل
المقام المشهور بالحسنين وروضة الامام الحلواجي وغير ذلك ودار المحمل
المرة الثانية يوم الاثنين الموفي عشرين من شوال واما المرة الاولى فلم نحضر
لها لان العادة عندهم ادارته مرتين فالمرة الاولى تكون في نحو النصف
من شوال وصفة ذلك انه يوتى في ذلك اليوم بكسوة الكعبة المشرفة
من دار الصنعة فتضرب سحابة على باب القلعة فيحضر الصناجق كلهم
والولاة والامراء والحكام والقاضي كل واحد مع اتباعه ولكل واحد
مجلس معلوم في السحابة المضروبة ومجلس الباشا في الوسط وعن يمينه مجلس
القاضي وكلما اتى واحد من الامراء وارباب الدولة جلس في مجلسه المعهود له
وقربهم من الباشا بحسب قربهم في مناصبهم فاذا تكاملوا كلهم واخذوا
مجالسهم وصفت الخيل عن يمينهم صفا كل طائفة مع جنسها الى ان تحيط
بالميدان الذي هو امام مجلس الباشا وهو ميدان كبير يسع الالاف من الخيل

وآخر من يخرج الباشا فتخرج امامه طائفة من عسكره بعضهم اثر بعض
على ترتيب معلوم وقانون مضبوط وآخر من يخرج معه طائفة الشاوشية
على ارجلهم عليهم جلود النمر وعلى رؤسهم طراطير طويلة من اللبط لها
ذيول معكوفة بين اكتافهم وعلى جباههم صفائح من الفضة مستطيلة
مع الطراطير الى فوق مموهة بالذهب تلمع لمعانا فاذا خرج هولاء خرج
الباشا باثرهم راكبا فاذا وصل الى السحابة قام الكل له واضعين ايديهم
على صدورهم حتى يجلس وكذلك يفعل من تقدم للجلوس من الامراء
مع من ياتي بعده فاذا جلس الباشا جي بالجمل الذي يحمل المحمل وعليه المحمل
وهو قبة من خشب رائقة الصنعة بديعة الاتقان لها شبابيك ملونة
بانواع الاصباغ وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوص بالذهب ورقبة
الجمل وراسه وسائر اعضائه محلاة بجواهر منظمة نظاما رائقا بديعا وفي
راسه رسن محلى بمثل ذلك والجمل في غاية ما يكون من السمن والضخامة
وعظم الجثة وحسن الخلقة وجلده كله مخضب بالحناء يقوده سائس
لطيف وعن يمينه آخر وعن شماله آخر يحفظونه ويتبعه جمل آخر على مثل صفته
ثم يوتى بالكسوة المشرفة ملفوفة قطعا قطعا كل قطعة منها على اعواد
شبه السلاليم معدة لذلك يحملها رجال على رؤسهم والناس يتمسحون بها
ويتبركون ويوتى بكسوة باب الكعبة منشورة على الاعواد وتسمى البرقع
كلها مخوصة بالذهب حتى لا يكاد يظهر فيها خيط واحد بصنعة فائقة
وكتابة رائقة ثم يمر بكل ذلك بين يدي الباشا والامراء ويقومون لها
اذا مرت بهم تعظيما ثم يخلع على الذين صنعوها بحضرة ذلك الجمع ثم يذهب
بها كذلك حملتها ويمرون بها في وسط السوق والناس يتمسحون بها
حتى يبلغوها الى المشهد الحسيني فتنشر في صحن المسجد وتخاط هناك فاذا
كان اليوم التاسع عشر او العشرون او الحادي والعشرون خرج المحمل
الشريف من القاهرة وهذا اليوم هو المشهور المعلوم المتداول بدوران
المحمل لانه من ايام الزينة التي يجتمع لها الناس من اطراف البلاد المصرية
واقصاها ويوتى بكسوة البيت من موضع خياطتها وبتعزية الجمال التي
تحمل فيها ويجتمع الامراء والصناجق والجند جميعا على الهيئة المتقدمة

في الخروج الاول لان هذا اتم احتفالا واكثر جمعا فاذا تكامل جمع
الامراء على الوجه المتقدم وصفت الخيل والرمات وخرج الباشا جي بجميع
ما يحتاج اليه امير الحج من ابل وقرب واواني النحاس وخيل ورمات وغير
ذلك من الاسباب التي تخرج من بيت المال فيحضر جميع ذلك في ذلك الميدان
كل طائفة لها امير مقدم عليها حتى الطباخين والفراشين والسقائين
ثم يوتى بالمحمل الشريف على جمله المذكور اولا يقوده سائسه حتى يناول
رسن الجمل للباشا فياخذه بيده ويناوله لامير الحج بحضر القاضي والامراء
ومعاينتهم ثم يناوله امير الحاج لسائسه فيذهب به وذلك كله كالشهادة
على الباشا بانه مكن لامير الحج المحمل وكل ما يحتاج اليه امير الحج من ذهابه الى
ايابه وعلى امير الحج بانه تسلم ذلك ويشهد على ذلك القاضي والامراء
ويكتب بذلك الى السلطان فاذا امر المحمل بين يدي الباشا وذهب جي
بالابل يمر بها بين يديه بما عليها من القرب والاواني والادوات كل
طائفة بمقدمها فاذا مرت الابل كلها جي بالمدافع وهي ثلاث او خمس تجرها
البغال او الجمال ثم جاء الرماة الرجالة من ورائها فيمرون ثم تاتي الخيل
فتمر فاذا امر جميع ذلك بين يدي الباشا جاء ارباب الطوائف كل طائفة
من مشايخ الصوفية بشيخهم ولوائهم رافعين اصواتهم بالذكر كالقادرية
والرفاعية والبدوية والدسوقية حتى السعاة ياتون بشيخهم فيمرون
بين يدي الباشا ويعطيهم ما تيسر فاذا لم يبق احد ممن يمر بين يديه
خلع الباشا على امير الحاج خلعة وعلى امرائه الذاهبين معه كلهم الكتخدا
والدويدار وغيرهما فاذا خلع عليهم باجمعهم ودعهم وانصرف ثم يمر
بالمحمل سائر الابل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديار
والمساجد التي تلي الشوارع وتتعطل جل الاسواق او كلها في ذلك اليوم
وقد تقرر لدينا عن الموثوق بهم ان بعض تلك الديار المشرفة على الشارع
قد تكرى من اول السنة ولا يسكنها مكتريها ولا ينزلها الا في ذلك اليوم
قصدا للتفرج وفيما سواه من الايام تبقى معطلة او يسكنها غيره وبالجملة
فهذا اليوم عندهم من اعظم ايام السنة ولا ثاني له الا يوم كسر النيل عند وفائه
ويقرب منه ايضا يوم قدوم الحاج ويوم تبديل الباشا وتجديد فهذه الايام

الاربعة هي التي يحتفل لها عندهم غاية الاحتفال ويهتبل اتم الاهتبال حتى
لقد اخبرت ان نساء مصر يشترطن على ازواجهن التفرج في هذا اليوم
دون معتبة ولا لوم فاذا اخرج المحمل من الميدان الذي على باب القلعة الى
فضاء الرملة بقي الكثير من الخيل هنالك للمسابقة واللعب ولا يذهب مع
امير الحاج الا المعينون للسفر معه فيتقدمون في ابهة عظيمة على خيل مسومة
وعدد مقومة ولا يبالون بلبس الذهب والفضة واستعمال السلاح
المحلاة بانواع الحلي المطرز بالجواهر النفيسة لانفسهم وخيولهم واما
انواع الحرير والديباج فهو مما يكمل به رفعهم هذا انتصابهم وجرد بولهم
فيا له من يوم عظيم يجب له الاجلال والتعظيم لولا ما اشتمل عليه من
المناكر البادية التي تمنع من الاعتناء بالسنة ان يحضرنا دية فنسأل
مولانا سبحانه ان يتجاوز عن هذه الامة المحمدية في مثل هذا اليوم من
انواع البدع والمناكر الموجبة للانتقام واللوم كرامة لمولانا محمد صلى
الله عليه وسلم العين الذي تكرم لاجلها الف عين بل لاجله يكرم جميع
القوم ولما دار المحمل اخذ الناس في التهيئة للسفر والاستعداد والاستعانة
عليه والاستمداد فطفقنا نقضي معهم الاوطار الجوبان ما في الحجاز
من الاقطار فما لبثنا ان تغيرت الحال وتبدلت الاخصاب بالامحال
ان اصبح رفيقنا ابو عبد الله نفس المصاب قد وخزه سهم الطاعون في
اصل فخذه وصاب فضاقت علينا لاجل ذلك الارض بما رحبت وتحيرت
افكارنا وتعبت وكلما رجونا قيامه اشتد به المرض ومهما اردناه
على السفر لم يكن له فيه من غرض فبقيت اقدم رجلا واوخر اخرى واستخير
الله تعالى واساله ان يقدر لي ما يراه لي خيرا وكلما اشتد به الالم لم
نزل بي اشد منه والم اذ هو الذي كان ياخذ بيدي في الامور كلها
ويريحني من كد المشقات وكلها وما زلت سائرا مع الاقدار صابرا
على تحمل ما طبعت عليه هذه الدار من الاقذار والاكدار لا احير جوابا
ولا اميز من خطا صوابا ولا احس بشيء عن صدر ولا اعرف من ورد ممن
صدر فكان من حسن شيمة رفيقي ابي عبد الله الذي اوده الله من كرم الاخلاق
ما اوده ان الح علي في السفر دون الاقامة وذكرني ان لا فائدة في التخلف

عن

عن وفد الكرامة فتاهبت للسفر ونفرت مع من نفر وفارقت ابا عبد الله
الذي هو لدي شقيق الروح وقد كادت النفس ان تروح

بيت

وسرت وقلبي محرق بلظى النوى ... لبين الذي بين الجوانح قد ثوى
وقد ما نوى ان لا يفارقني كما ... نويت فحيل بين مرء وما نوى

ذكر خروجنا من مصر الى الحجاز وتحقيق القول في حقيقة ذلك المجاز

واتفق خروجنا من مصر وقت الزوال من يوم الاثنين السادس والعشرين
من شوال وكان خروجنا على باب النصر وسرنا والطريق كلها سوق
واحد من كثرة الباعة والذاهب والجائي من البركة الى مصر ونزلنا
بالبركة التي هي محل نزول الركاب مع العصر والبركة اسم لفسيح من
الارض على شط بركة واسعة مد البصر يتموج فيها ماء النيل العذب
الفرات على الاطراف تنصب الاسواق الحافلة بشط البركة والقهاوي
المزخرفة المونقة والفساطيط الموشاة المرونقة فلا تسل عما يوجد
في تلك الاسواق من مهيجات الاشواق طعام وشراب وقرب وقراب
وحوافر واخفاف وجوارب وخفاف ومحارة على جمل وانواع
للحدي والحمل وسمن وعسل وسيف واسل وتمر وزبيب وتين وحليب
وغير ذلك من انواع السلع والبضايع التي لست احصيها واجناس
الاثاث والحيوانات التي لا اكاد استقصيها فقضى الناس من الاغراض
ما كان لهم عنه في المدينة اعراض وبتنا هنالك في عيش ارغد تنال
البغية من ماء النيل ونتفكه بفواكهه الى الغد ولما غاب الشفق وغرب
وسكن الناس ولم يبق لهم في الحركة ارب اخذ اهل الركب المصرية في ايقاد
الثريا ومصابيح الاشارات واخرجوا من المدافع والمحاريق ما يدل
على تمام الاقتدار وعظم الشارات حتى طاولت هاتيك الارض سماءها
وطربت لقيام نارها وانارة منارها مقام شموسها واقمارها جميع
جماداتها وعجماواتها وقضينا من عجيب مخترعاتهم وغريب مستبدعاتهم
العجب العجاب ورأينا من صور الحيوانات البديعة في تلك الاشارات
ما لم يره من جال غير تلك الارض ولا من جاب وتلك عادتهم في كل بندر
من البنادر يخرجون من المدافع والمحاريق ما يعد من غريب النوادر ولما

اشرق الصباح ولا اشراق الوجوه الصباح اخذ المشيعون فى الارتجاع
وانشاد مارق وراق من الاشعار والاسجاع فمن منشد عند مفارقة
احبابه ومباعدته عن نيل ماء النيل وحبابه قول البدر الذهبى
وبمهجتى المتحملون عشية   والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم غنت حجازا بعدما   غنت وراء الركب فى عشاق
ومن اخر استولى عليه عظيم الحب والخجله   فانشد قول الشهاب احمد بن ابى حجله
ولما اعتنقنا للوداع عشية   على بركة الحجاج والدمع يسكب
فرحنا وقد جزنا البويب لانه   الى الوصل من نهواه باب مجرب
ومن اخر غلب عليه الهيام   فانشد قول الزين بن الحسام
ولما اعتنقنا للوداع عشية   وفى القلب نيران لفرط غليله
بكيت وهل يغنى البكا عند هايم   وقد غاب عن عينيه وجه خليله
ومن اخر ابدى وداع حليلته   فانشد قول من قال عند فراق خليلته
ولما اعتنقنا للوداع ودمعها   على خدها يغشى الصبابة والوجد
بكت لولوا رطبا ففاضت مدامعى   عقيقا فصار الكل فى نحرها عقد
وقال الصلاح الصفدى فى مثل هذا اليوم عند مفارقة من ودعه من القوم
لما اعتنقنا لوداع النوى   وكبدى من حر الجوى احرقه
رايت قلبى سار قدامه   وادمعى تجرى ولا تلحقه
وله ايضا   وقد فاضت دموعه لما بانت جموعه فيضا
ولم انس اذ ودعونى ضحى   وقد مطرتنا غيوث البكاء
وبت بحال يسر العدا   امامى وفاى وعينى ورائى
وقال اخر لا تحسبوا انى بخلت بدمع   يجرى دما يوم الفراق حقيقا
ما ان بخلت وكان درا قبل ذا   ايجوز بخلى حين صار عقيقا
وقال اخر فواعجبا ممن يمد يمينه   الى الفه عند الوداع فيسرع
ضعفت عن التوديع حين اردته   فودعته بالقلب والعين تدمع
وطفق الباعة ايضا فى الرجوع عن الحاج اذ لم يبق لهم فى البركة حاج
وآب بعدهم من خرج بقصد التنزه والتفرج وخفضوا رفع
فساطيطهم المنصوبة ولم يبق لها تبرج وبقى الحجاج يتمتعون بماء

اليز

النيل العذب الفرات المزرى بدجلة والفرات ويتضلعون من شربه
ويتشاقون للرى منه على قربه ويستقون الروايا والقرب ويعدون
ادخاره لعجرود من اعظم القرب فيا سعادة من ساعده الجمال والكثر
له الاجمال وساعفه على حمل الماء زيادة على الاحمال اذ بسهولة الجمال
يسهل ما فى الحجاز من الاثقال ولله در الصلاح الصفدى اذ قال
درب الحجاز مشقة لكن اذا   الجمال هان تساهلت اهواله
اصبحت فى تصريف جمالى على   ما يشتهى فكانني جماله
قد كان خف على فوادى لو غدا   من فوق ظهرى فى الثرا احماله
ويكون طوعى فى الذى اختاره   لكن قسى وتضاعفت اثقاله
وله فى معناه
درب الحجاز مبارك لكنه   يحتاج صبرا اذ تدل احمال
وعنونه ستى ولو مثل الذى   اصبحت القاه من الجمال
وقد مر فى المقدمة الرابعه بعض ما للجمالين من الافات الرابعه
وانه ينبغى معهم سعة الاخلاق واعطاوهم من المجاملة وافر الحظ
واحسن الاخلاق الى مساعفة ومساعدة وعدم مجافاة ومباعدة
لان مدار السفر كله عليهم ومآل حمل الاثقال اليهم فلا يخفى عن كل امرى
عاقل انه لا تقطع الا بالجمال والجمال ها تيك المعاقل فيكثر له من
الاحسان وحلاوة اللسان وكان ابن المبارك رضى الله عنه يكثر
المشى راجلا فساله رجل لم تمشى فلم يرد ان يخبره فقبض على كمه وقال
لا ادعك حتى تخبرنى قال فدعنى حتى اخبرك اليس يقال فى حسن
الصحبة قلت بلى قال فهذا من حسن الصحبة مع الجمال اليس يقال قد
اغبرت قدماه فى سبيل الله ونحن نمشى فيه اليس يقال ادخال السرور على
المسلم صدقة قلت بلى قال فهذا الجمال كلما مشينا سر قال السائل هذا
احب الى من الف درهم غيرانه لا ينبغى للانسان ان يستمر معهم على لين
الجانب وادامة الاحسان بل يغلظ عليهم غلظة ما ويجفوهم بالفعل
واللسان فان الجمالين ولا سيما جمالة الحجاز موصوفون بالظلم والبغى
ومجاوزة الحد فى الفساد والغى لا يلحق لهم غرض وهم الذين يغضبون

اذا عن الذباب او عرض فاذا راى الانسان منهم ذلك الضرب فبهم
الى السبقية بالشتم والضرب فقد مر عن الاعمش وهو ما هو فى العلم والكمال
ان من تمام الاحرام شح الجمال وقال ابن ابى حجلة التلمسانى

لجمالنا فى الليل مشى لاجله   ارى ضربه فى الحج ضربة لازب
عديم ضياء الحس يمشى بحمله   كحاطب ليل فى طريق المحاطب

وقال الصلاح الصفدى

عذا سفر الجمال كما تراه   لاخلاق لرجال بدا محكا
فكم من صاحب امسى عدوا   به وصحيح ود قد تشكى
وجمال جميل لا تراه   وعكام اتى من ارض عكا
كان المقوم فى اعوجاج   وحين تقيمه يندك دكا

وله

كم جمل منتصب للشقا   ماجره الجمال الا انكسر
وكان فى الركب يرى مبتدا   فما له من بعد هذا خبر

وغالب خدمة الحجاز موصوفون بهذه الاوصاف وقلما تجد احدا
منهم يتجمل بالاسعاف او الانصاف فلا ترى من مشاعلى او عكام
او سقاء او طباخ او فراش الا وقد سدد سهام اخلاقه الصعبة
الشرسة لمن احذمه وراش واما حسن الصورة فغريب فى هاتيك
الاجناس وقبح السيرة تابع لقبح الصورة كما هو مقرر بين الناس
غير انى رايت بعض من استعبده الغرام واستخدمه ابدى غزلا لطيفا
فى انواع هولاء الخدمه فمن ذلك قول الشهاب بن حجر فى جماز موصوف بالجمال

وسيروان قاد قلبى وقد   قطر دمعى هجره كالجمان
وكلما واصل قالت له   حواسدى قاطعه يا سيروان

وله فيه

وسيروان قد نفر   قطر دمعى اذ قطر
فلا تثق بوعده   فذهنه على وتر

وله ايضا فيه

وسيروان كالشمس وجنته   قطر دمعى وليس ذا عجب
مازلت اهوى مناخه زمنا   فضاع رحلى وحشى القتب

وللشيخ بن ابى حجلة التلمسانى

كم قلت للجمال يا سعاده   ان كنت تبغى للكرى زياده

قد

قد فى المضيق حملى ولا تخف   وفى الفلا امسى بلا قياده

وقال الصلاح يورى بهجان عد من الملاح

ياحسن هجان رايت قوامه   منه تغار معاطف الاغصان
ابصرت خط عذاره فى خده   فقراته يا ليته هجانى

وقال ابن ابى حجلة فيه

كم قلت للهجان انت الذى   قطرت دمع العين الوانا
بالله هل هجاك هجوى امرؤ   فقال مذ احببت هجانا

ولاخر فى مليح سقاء

سقاء له طلعة   لنيل حسن قد غدت حاويه
اروم ان يسكب لى قربة   وعبرتى عن صبوتى راويه

وفى مليح فراش

فتنت بحسن فراش بديع   به قد همت من فرط المحبة
كان الردف والساقين منه   اذا ما ماس اعمدة وقبة

وفيه لاخر

رب فراش له وجنة   تفوق لون الورد بالحمرة
منبسط النفس سخى اذا   حيا محبا قدم السفره

وفى مليح طباخ

فضح الوجد بطباخ به   اضرمت نار غرامى يا اخى
وغدت نفسى به مغمومة   مذ قلانى فى الهوى من غير شى

وفى مليح خباز

رغيف ذا الخباز لطفا حكى   من وجهه التدوير والحمره
اذا راى ميزانه المشترى   قال هنا الميزان والزهره

وللشيخ عبد الوهاب فى مشاعلى

بابى غزالا جاء يحمل مشعلا   يكسو الدجا بملاءة ثوب اصفر
فكانه غصن عليه باقة   من نرجس او زهرة من نوفر

وفى مليح طشت دارى وهو الذى يحمل الطاسة والابريق ويترك مبصره بعض
بالابريق اضنى فؤادى طشت دار له   وجه كبدر او كشمس النهار

وكلما اسأله دورة   يوما الى نحوي بالوصل دار
وفي ساع بين يدي الأمير   ملازم لركابه كالسمير
بالروح افدي ساعيا   جماله يضني الورى
لابد لي من وصله   ولو جرى لي ما جرى
وفي قواس   ابدى من حاجبيه مونرا او قواس
رايت قواسا كبدر الدجا   يرمي بقوس حسن المنظر
فقلت ذا القوس لمن يا فتى   فقال ان القوس للمشتري
وفي سائس الخيل   وقد ابدى وجها ازهى من القمر في جنح الليل
وسائس هام قلبي بحسنه والكياسة   بالشرع مانلت منه شيا ولو بالسياسة
وفي بيطار   سار صيت حسنه في الاقطار   واشتهر وطار
يا حسن بيطار اقول له وقد   اصبحت في بحر الدموع غريقا
لو ان قلبي من حديد لم يكن   في مثل حبك يحمل التطريقا
وفي نجار   بروحي نجار حكى الغصن قده   رشيق التثني احور الطرف وسنان
يميل على الاعواد قطعا بما جنت   وما سرقت من قده وهي اغصان

ارتفاع النهار بابار نبط المزرية بفائض لاانهار وهو منهل من المناهل المشهوره والمياه المذكوره وفيه آبار اربعة محكمة البنا بالحجر المنحوت والغينا ماءها في غاية الغزارة لقرب عهدها بالامطار دون غزارة مياه اودية الدرب انما تكون بحسب كثرة المطر وقلته فاذا حمل الوادي ولو مرة بالسنة غزر الماء سائر السنة وماؤه من اعذب المياه واحلاها واجلها واصفاها واجلاها فيكون للحجاج رفق عظيم ولا سيما اذا لم يكن بالوجه كثير ماء فان الماء لا يرد على ماء حلو طيب من مغارة شعيب الى نبط وانشد الزين للشهاب ابن ابي حجله

مغارة نبط اخصب الله ارضها ولا زال يهمي بالمياه بها الجو
يقال لها بحر الحجاز لانها بها الماء مثل البحر لكنه حلو

وله

حبذا مغارة نبط والمياه بها للواردين بها في الحج ما شاؤا
فلم نزد بعدها في مائها ثمدا في الدرب حتى بدا في ينبع الماء

ولا يحضرني لعينومي ولا لغيره في معناه وهو الغا رضي

اسقني من ماء نبط لو يكن في العمر مره ودع الحورا فاني صرت اشناها واكره

وتسمية هذا المنهل بنبط كما في غالب الرحل هو المتداول المشهور الجاري على الالسنة والاقدمون يسمونه معيرة وهو الذي في رحلة العيبة قال ابن رشيد ووافينا من ينبع المغيرة ماء يحتفر في احساء قال وضبط هذا الاسم مفعلة بفتح الغين من التغيير قال ابو سالم والماء المذكور يسمى في هذه الازمان نبط وما ذكر في ضبطه ان كان من التغيير كما قال فيكون مفعلة بفتح الغين المعجمة وتشديد الياء اسم مفعول والذي ينطق به الكافة في امثالها وهي كثيرة مغيرة بفتح الغين المعجمة وياء ساكنة خفيفة تصغير مغارة من الغور وهو الانسب بالامكنة المسماة بهذا الاسم والله اعلم وارتحلنا من نبط وسرنا على طرطور الراعي بين جبال ليس فيها مراعي وبعضهم يسمي المنزلة طرطور الراعي وبعضهم بالاباطح جمع ابطح وهو المنبطح من الارض ثم مررنا بوادي النار الذي وافق اسمه مسماه اذ هواؤه اشد حرارة من النار وهو واد معبر طبق بين جبلين لا سعة فيه من نبط الى الخضيراء فاذا امتد النهار واشتد الحر حجبت

الجبال

الجبال عنه الهواء البحري فيعكس غربيا او شرقيا صاعدا مع الوادي او منحدرا فيصير سموما محرقا مع قلة الماء بهذه المفازة فربما هلك المار فيه وربما احدث سمية في الابدان بقبح الهواء وحرارته فيموت المئون والالوف في سرعة في ساعة واحدة ويكون بذا الاياب اكثر وقد لحق الناس في هذه السنة طرف من ذلك فاصبح كثير من الناس في الهوالك واشتد على الناس حره في الليل غاية الشده فتوجهوا الى الله تعالى يسالونه الفرج قارعين بابه الذي هو اعظم سده فنظر بعين رحمته اليهم وادرك نسماتهم بهبوب النسمات عليهم وما احسن قول الشهاب لمن تقلبه في المحبة التهاب

مررت بوادي النار والليل مقبل وقد مال جنح الليل والغمض للصبح
فلما اختفى طرطور راعيه في الدجا توليت ورعي النجم عنه الى الصبح

وله

اسير بوادي النار والقلب في الحشا يكاد لريح هب فيه يذوب
ولولا نسيم هب من نحو طيبة لما كان عيشي في هواه يطيب

واصبحنا مع ارتفاع النهار في الخضيراء مصغرا ويقال الخضراء وهو اخبث مكان على وجه الخضراء وربما سماه بعضهم الخضيره فابدى ضرره واظهر ضيره وهبت فيه على الحجاج سموم انقع من السموم فلا تمر بعده بشجرة الا لفيت تحتها ميتا قد اتخذها قبرا وبيتا وارتحلنا من الخضيراء بعد الظهر في تعب عظيم ومشقة فادحه وحر شديد وقيلولة فاضحه وخلفنا فيها من الاموات ما ملأ ما في جوانبها من الاشجار والفلوات وتذكرت قول الصلاح لاموات ظهر شخصهم تحت اشجار غيلان ودوح

اقول لمن بدا في الركب ملقًى بقارعة الطريق من المنايا
خرجت بغير مركوب وزاد فنفسك لم ولا تلم المطايا

افاض الله تعالى سجال رحمته على وفده واباح لهم بحبوحة جنانه بفضله ورفده ومررنا نقطع الرحلة المعروفة بالسبع وعرات في مضايق وحجارة وحدرات وعرات وثلاث منها اعظم من اربعه وهي رحلة متعبة تحتاج الى اعمال الديداء والربعه وبعدها قطعناها نيك المواعار

خرجنا الارض رملها من النبات عار ووصلنا البندر الينبع مع طلوع
الشمس اغتنما للراحة النفس لاني تقدمت قبل الركب خشية ما يحدثه
الحر في تلك الارض من الكرب وبقيت امام البندر مستظلا بفنائه
متمتعا بما اسدى الي بعض من سخره الله الي من رطب ومائه وما زال
الركب يمتد دخوله على التوال حتى فات وقت الزوال ودخل امير
الركب المصري في هيئة عظيمة الضخامة دالة على علو القدر وسعة الفخامة
ونشر من الرايات والاعلام ما لا تحيط بوصفه السنة الاقلام وقدم
امامه من العسكر جملة وافرة حاز وامد بالحزم ووافره واظهروا من
السلاح الفائق والملابس الفاخرة ما ابدى ما اثر كبيرهم ومفاخره
وكسوا المحمل الشريف بما علم من لباسه المعظم وحلوا جمله بما اشرنا اليه من
جوهر الجمال المنظم وجعل الامير حوله من الاطبال ما حرك تلك الجبال
ومن الغيطات والابواق ما هيج كامن الاشواق وخرج للملاقاة
اشراف تلك الارض في ابهة عظيمة واظهروا تبجيله وتعظيمه ومعهم
من الاعراب ما لا يعبر عنهم اعراب عد الحصا دون احصائهم
واستقصاء الشهب اسهل من استقصائهم وامامهم اطبال ليس لها
بالنسبة لهيئته بال وقامت سوق جامعة لكل ما يحتاج اليه ومشتملة
على كل ما يتوقف الانسان عليه من انواع الاطعمة والفواكه التي
ليس لها مشاكه وخصوصا الرطب والليم ففي الينبع منهما ما لا يوجد
في اقليم وتحرك هنالك شوم عظيم سكنت لحركته الارواح وراحت
دون تعويل على الرواح فمات من الخلايق ما لا يعد ولا يحصر
ولا يجد عهدك بالرجل يتكلم فاذا باجله قد الم وما توجع ولا تالم
وبالا خرينتاول الحوايج من الخيمة للبيت فاذا هو منذ زمان ميت
وبالاخر يطوف من خلف وامام فاذا نشره قد طواه الحمام فلله الامر من
قبل ومن بعد في القرب والبعد واما البهائم والخيل والجمال فلا تسل
عما بقي منها ملقى بين تلك الرمال تقبل الله ذلك وسلك بنا اوضح
المسالك قال الزين الحنبلي الينبع منقول من مضارع نبع الماء كنصر
اذا ظهر وهي على اربعة ايام من نواحي المدينة سميت ينبعا لكثرة ينابيعها

قال

قال بعضهم بها مائة وسبعون عينا قال السيد السمهودي وسكانها
جهينة وبنو ليث والانصار وهي في زمننا لبني حسن العلويين قال ومسجد
العشيرة معروف ببطن ينبع وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصري
في وروده وصدوره والعين اليوم جارية عنده لكن لا يعرف بهذا
الاسم قال المجد وهذا المسجد اليوم من المساجد المشهورة والمعابد المشهودة
المذكوره تحمل اليه النذور ويتقرب الى الله تعالى بالزيارة له والحضور
ولا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهر على ذلك المكان وانس يشهد
لا بانه حضرة سيد الانس والجان وبها مياه عديدة اشهرها الان
عين البركة وعين علي رضي الله عنه وقال صاحب تقويم البلدان
والينبع مدينة بالقرب من المدينة وورد ذكرها في الحديث قال ابن
سعيد والينبع بها عيون وحصون وحصن وهي منازل بني الحسن رضي الله عنه
وقال ابن حوقل وينبع حصن به نخل وماء وزرع وبه وقف لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه بيتولاه اولاده وبقرب ينبع جبل رضوى مطل عليها
من شرقيها ومن رضوى يحمل حجر المسن الى سائر الاقطار وبينه وبين
المدينة سبع مراحل ورضوى جبل منيف ذو شعاب واودية وبه ينبع
مياه جارية ونخل وزروع وبها جامعان معطلان من الخطبة
وغالب اهله على مذهب الزيدية يستبيحون دماء الشافعية واذاهم
حتى على خير العمل وبها الحدايق والخانات والافران والبيوت وقد خربت
ودثرت منها اماكن كثيرة جدا وتنصب به سوق عظيمة لبيع القماش
وغيره من الماكولات والدقيق والفول والغنم وعلى مرحلة منه البندر
الذي بساحل البحر الملح غربا وبه خان وحصار ونوباجيه وجماعة الشريف
ياخذون المكس من اهل المراكب المارة بهذا البندر وهي عادة لامير
الينبع يستعين بها على مصروف امرته وعلى امير الينبع عوايد ومصاريف
لجماعة امير الحاج بطريق المكارمة وحسن القيام بخدمة السلطنة والينبع
من المناهل الكبار ويوجد فيه من الماكولات والاغنام والسمن والعسل
والتمر والرطب الذي لا نظير له والدجاج والارز والملوخية والباذ بجان
والليمون والنخل والكراث وانواع المخللات وغير ذلك ما لا يوجد

فى قواعدالا مصادر و به عدة حيوف يقال انها نحو الستين حيفا ذكرها
صاحب الدرر الفرائد المنظمة والمجد والسيد وغيرهم وما قدمناه عن
الزين من ان الينبع منقول من المضارع هو المصرح به فى الدواوين
التى رايناها فى جمعها وعليه جماعة المحققين ولذلك قال العلامة
ابو عبد الله السوسى فاجاد ما شاء فى التوريات وغيرها

ان كان مذ قضى الفراق وصدنى   عنكم مجاز من نوى لا ينفع
فانا الذى دمعى العقيق وناظرى   يا بدر بعدا لبعد عنكم ينبع

وعلى ذلك جرى الراجز فى قوله

وادخل الى جزيرة منبسطا   يا نبك اهل ينبع لمن سطا

وقال ابن جماعه   وفى ينبع كان المقام فحبذا   ديار لعمرى لا احب سواها
وجماعة من العلماء يعبرون باليننبوع بزيادة الواو وظنا انه منقول
من ينبوع الماء الذى هو عنصره واصل خروجه وعليه درج الشيخ
البكرى فى رحلته والشرف البوصيرى فى الهمزية حيث قال

خاو تها الحوراء شوقا فينبوع فرق الينبوع والحوراء

واقره جميع شروحها وهو مخالف لما فى امهات الاقدمين فليتامل وفى
قرية الينبع تنشرح الصدور وتقر العيون وتظهر اثار الرسول عليه
السلام الذى هو صدر الصدور وعين العيون وتنبسط النفس
لما فى نواحيها من الينابيع والعيون ويستبشروا ردها بلقاء الاحباب
ودنوا شرف المنازل وارفع القباب ويتانسون عند تلك العيون
والحدايق بكل امر لويق ويا ما احسن قول الشهاب ابن ابى حجلة

وفتيان صدق ما البدور سواهم   قطعت بهم كالبدر افق المناهل
وواخيتهم فى الزاد او فى اخوة   وراضعتهم فى الماء ثدى المناهل

وقد تذكرت عند ورودنا منهل الينبع وتلقانا اهله بنغمات يطرب
لها وعر ذلك القطر وسهله ما قاله الشيخ المحدث ابو عبد الله محمد بن رشيد
السبتى الفهرى فى رحلته الجامعه قال ولما وافينا ينبع خرج مغنون
باصوات طيبة عذبة يرددون هذه الابيات ويحيون بها القادمين
ويحيون نفسهم المينة بطيب تلك النغمات ه

ايها

ايها القادمون اهلا وسهلا   كيف نجد وكيف بان المصلى
كيف خلفتم العقيق وسلعا   وقبا والنقا ومن ثم حلا
فاجابوا الله ما كان اهنا   زمن الملتقى وما كان احلا

قال ابن رشيد لله درهم حادوا عن الجواب لما راوا انهم لا عذر لهم فى الاياب
قال وينبع عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة الى البحر روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد ينبع وهو من حديث محمد بن عمر بن
على بن ابى طالب انتهى قال ابو سالم يفهم من قول ابن رشيد لله درهم
الى اخره ان كيف فى كلام السائل للانكار والتوبيخ عن الرجوع من
تلك الاماكن وكيف طابت نفوسهم حتى خلفوها وليس فى الكلام ما يدل
على ذلك بل يمكن ان تكون للسوال حقيقة عن تلك الاماكن على وجه
التحسر والتحزن والاشتياق اليها كالتى قبلها واذا كان كذلك فالجواب
مطابق لانه اخبار بما يزيد فى شوق السايل وحنينه الى تلك المعاهد قلت
هو كلام صحيح فى غاية الحسن والتوضيح واما مسجد ينبع فقد مر عن السمهودى
انه من المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم وانه مسجد القرية
التى ينزلها الحاج وقد ذكر اهل السير ان النبى صلى الله عليه وسلم وصل اليها
فى احدى غزواته وهى الغزوة المشهورة بغزوة العشيرة وكذلك المسجد
يعرف بمسجد العشيره كما فى السمهودى واما الابيات فقد اشتهرت
بين ادباء المغرب فى قرب ذلك العصر واكثروا من معارضتها وتذييلها
وممن ذيل عليها الاديب البارع ابو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن
الحسن بن حبيش اللخمى الزاهد نزيل تونس المتوفى بها سنة سبع وثمانين
وستمائة قال الغرنى بعد التعريف به وذكر جملة مستكثرة من نظمه
ما نصه وانشده بعض حجاج المغاربة هذه الابيات فذكرها وذكر
له انه سمعها بالينبع وساله ان يزيد عليها فقال رحمه الله تعالى

حيث روض النعيم بالانس يجنى   وعروس السرور بالسعد تجلا
حيث دار الحبيب تدعى سماء   والذى حجبت من الشمس اعلا
وحلاحها من البدر ابهى   وعلا مجده من الصبح اجلا
من راى ذلك المحل المجلا   كيف بالصبر بعده يتحلا

كيف يدنو الى دنية دنيا … من له ذلك الجلال بحله
اجميل ينسي بثينة او ير … ضى بذاك الجمال دعدا وجمله
او انيس لبانة غير لبنى … او يرى عروة لعفراء مثله
او مريد سوى حبابة يهوى … او كثير عن عزة يتسله
ويح صاد ابيح ورد اصدى … ان حلا فهو بالفراق يحله
اصعب الهجر فى المحبة هجر … ذاقه الصب بعد ما ذاق وصله
يا احبتنا وللعذر يعزى … من تعزى على النوى او تسلى
طيبة الطيبين قدس منها … منزل هيئت به اعجاز نزله
ضاع ريا وضاء رؤيا فقلنا … زهر طل او صباح اطله
بعد وادى العقيق لا شهد يحلو … لا ولا مشهد بعينى يحله
نهلا كان رشفه او ورى … وظمائى يزيد لو كان علله
ليس لى غير حب احمد ذخر … ليس يبلى اذا السرائر تبلى
هو لى فى قبرى وحشرى كما قد … همت فيه هما وكهلا وطفلا
ليس الا محمد فيسل فيه … سيد الخلق وحده ليس الا
مصطفاه رحمة وحباه … بخصال حازت من السبق خصله
ما عسى ينتهى له كل مثن … والمثانى بوصف علياه تتلى
ما تنسمت بعد ذكراه مسكا … ما تعرضت بعد جدواه وبلا
قلبوا القلب تبصروا فيه … للروضة والحجرة الاثاثة شكلا
وا قرؤا اللهو بخدى طرسا … كتب الدمع فيه ما الشوق املى
يا محب الرسول هذا ثراه … عفر الخد حيث اوطا نعله
وقبول الصلاة والصوم ان … رمت فحاول له حيث صام وصلى
هاك يا اربع الاحبة منى … اربعا امنت بحبك محله
مقلتى مزنة وحبى روضا … وقريضى ورقا وصدرى ظله

وهى طويلة جدا وكلها سلسلة غريبة المبانى رائقة الالفاظ عذبة المعانى لا يعانيها معانى وقد الفيناه عامرا بالاعراب القاطنين بما حواليه من المداشر وهم اقوام لا يحصرهم حشر حاشر فقد قيل انه متصل العمارة نحو ثلاثة ايام كلها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية

وفيها عامل لامير مكة وهى اول بلاد الحجاز العامرة والقرية التى ينزل بها الركب هى احد القرى التى من ناحية البحر وليس بعدها الا ينبع البحر الذى هو المرسى وغالب اهل القرى ياتون الى هذه القرية التى ينزل بها الحاج للتسوق وتنصب فيها سوق كبيرة عظيمة يوجد فيها غالب المحتاج اليه من البضايع والسلع واما الثمار والفواكه والحبوب والفول فقد مرانه لا يعادلها فى ذلك اقليم ووجدنا بالينبع اخبار الحرمين الشريفين وساير بلاد الحجاز وتعرفنا خبر رخصها وغلائها وخصبها وجدبها ومنه تجلب الميرة الى المدينة فان السفن الجالبة للطعام من مصر ما كان منها الى المدينة يرسى بينبع البحر وما كان منها لمكة يتجاوز الجحفة فاذا وصل الطعام الى الينبع حمل منه الى المدينة تحمله اعراب تلك الناحية من بنى سالم وجهينة ويتدركون بالطريق من هناك الى المدينة وقد اقمنا فيه يومين ريثما قضينا الغرض من كل امر عرض وخزن الناس شيا من ازوادهم فى حواصل البندر ليجدوا ما جدوه فى الرجعة اذا قل الزاد او تعذر وفى الليلة الثانية اخرج المصريون على عادتهم المحاريق والمدافع وبالغوا فى ذلك كعادتهم فى غيره لما لهم فيه من الابهة وكثيرا لمنافع وارتحلنا من ينبع وسرنا فى رمال واشجار قليلة فاصبحنا بالسقايف واهل الركب لا وله قايف قالت ابو سالم ويقال للسقايف دار الوقدة لانهم يقدون فيه الشمع الكثير يستصحبه الناس معهم من مصر لذلك ويتبعونه فى الركب ويجعلونه على اقتاب الجمال بالليل فترى الركب كله كانه من اعظم المساجد المسرجة مصابيحها فى احد المواسم وشاع عندهم ان الصحابة فى غزوة بدر اوقدوا هنا نيرانا كثيرة فنحن نتشبه بهم وتلك غفلة منهم وخطا من وجهين احدهما ان وقوع الامر بايقاد النيران الكثيرة انما هو فى غزوة الفتح بمر الظهران كما هو معروف فى كتب السير واما بدر فلم ينقل فيها احد ذلك وثانيهما لو سلم ذلك وقع فيها فقد كان لارهاب العدو واظهار قوة المسلمين وكثرة عددهم بحيث لا عدو فلا معنى له ولا شك ان الفرح بنصر الله اولياءه على اعدائه والاستبشار بالاماكن التى اعز الله فيها الاسلام امر مطلوب

مستحسن مالم يؤد ذلك الى محظور كاعتقاد ان الوقود سنة متبعة بل ربما
ظن بعضهم انها من افعال الحج فتعظم بغير ذلك من الفرح والسرور
والصدقة والعبادة والاعلان بالشكر قال وقد جاءني كثير ممن
لا شمع عنده يستفتون ويقولون لا شمع عندنا فهل يلزمنا شئ او ظانين
ان ذلك من مناسك حجهم وشعائرهم وكم مثلها من بدعة محدثة يرى
الناس انها من اعظم القربات نسال الله ان يثبتنا على سنة النبي المستقيمة
لا نرى فيها عوجا ولا امتا قلت هو كلام لا باس به و ذلك
الامر الثاني الذي يعقبه الايقاد لا يخفى ما فيه من التامل فكم من سنة ذهب
سببها وبقي السلف يرتكبونها اغتناما لبركتها وكون دار الوقد
هي السقايف كما قال الظاهر انه كان على وقته عند المغاربة واما اليوم
فان دار الوقدة هي ببدر نفسها وفيها اسرجوا كل شئ كما سياتي واعتقاد
البعض ان ذلك من المناسك هو صحيح كما قال فقد ورد علينا جماعة
يستفتون في شرا الشمع وهل يكفيهم منه القليل وغير ذلك مما تقتضيه
عجمة العامة وتعمقهم في الجهل واثر تحلنا من السقائف ولم نمر
بالدهناء لان مكانها انحرف عن صوب الطريق ونا مع كون بنيانها
اندثر ولم يبق منها الا قليل لا اثر قال الزين الحنبلي الدهناء بلد سيدي
احمد البدوي وكانت قرية عامرة يسكنها بنوا ابرهيم قديما وكان بها
بيوت ومساجد وحدائق واشجار وعيون جارية حلوة فلما سعوا في الارض
الفساد وبالغوا في البغي والعناد جهز السلطان الغوري من يقطع
دابرهم وقطعت رؤسهم وتوالى عليها المحل فخربت وغارت عيونها
وجفت اشجارها وصارت مثلا وكانت احق بقوله تعالى وضرب الله
مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم
الله الاية وبها الان اشجار ومحاطب وسرنا في فضاء ومضيق رمل ثم
وعر بين جبلين الشرقي رمل والغربي مختلط حجر ورمل يسميان بالابرقين
وهما مشرفان ثم انحدرنا في جسر طويل كان حدا بين المسلمين والكفار
في غزاة بدر ووصلنا الى بدر الذي هو احد المناهل الحجازية ضحى ويقال
لها بدر وحنين وهو الجاري على السنة الحجاج في هذه الازمان قال الزين

الحنبلي

الحنبلي وحنين امامها وليست المرادة في الاية وكذلك اوردها
الشيخ البكري في رحلته وقد الفينا الركب الشامي نازلا هنالك
وقد نصبوا من الفساطيط المرفوعة في خفض العيش وسعة النعمة
وغير ذلك ما لا يعبر عنه بلسان ولا يكيفه انسان وهم ناس البسوا
جلابيب الزانة وتحلى كل منهم بما البسته حسنا وزانه فوسع علينا
بعد العصر بالارتحال واتسعت علينا الحال وبتنا نقد الشموع في
جميع المحال ونعم بها اعناق الابل وجميع اعضائها فضلا عن الاقتاب
والرحال وهنا في بدر جرت عادة الحجاج بايقاد الشموع الزاهية
على الشمس والبدر وما مر بتسمية السقايف بدار الوقدة للايقاد فيها عن
ابي سالم ليس بخال عن التامل ولا سالم ولا سيما وهم يزعمون ان سبب
ذلك كون الصحابة اوقدوا النيران في غزاة بدر فهم يتشبهون بهم في
هذا القدر ولم يذكر احد للسقايف وقدة فاني لابي سالم هذه الرقدة
ولما بالغوا في الايقاد ومنعهم السرور والفرح من الرقاد اخذوا يديرون
الروس السكرية في الماء ويطوفون بها على جميع البهاء حتى شرب من
ذلك جميع الناس وحصل لهم بنزول تلك الدار ما لا يكيف من السرور
والايناس وبقيت الاشارات تدل على عظم البشارات وصوروا صور
الحيوانات في المصابيح وابدوا من هيئات الطيور وغيرها كل شكل غريب
وشخص صبيح وببدر مسجد الغمامة وهو موضع الاريكة التي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالسا عليها يشرف على القتال والغمامة مظللة عليه
وقال السيد السمهودي انه كان العريش الذي بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر عنده بقرب بطن الوادي بين النخيل والعين قريبة منه وبقربه
في جهة القبلة مسجد اخر يسميه اهل بدر مسجد النصر واما محطة الركب ففيها
نخل وبيوت وعين ماء تجري والفسقية التي بها عظيمة تروى منها الاركاب
كلها ويفضل فيها الماء وبالجملة فبدر من البقاع المشرفة بالاثار النبوية
ومنها التردد والمرور الى المدينة المصطفوية وبها كانت نصرة النبي صلى
الله عليه وسلم على الكفار وامداده بالملائكة على الخيول البلق مسومين بالعمايم وبها
البقعة التي ضمت الشهداء الذين شهد لهم النبي بالجنة قال السيد السمهودي وببدر

بئر حفرها رجل من غفار واسمه بدر بن قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة
وقيل بدر رجل من بني ضمرة سكن ذلك الموضع فنسب اليه ثم غلب اسمه عليه ويقال
بدر اسم البئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها او لصفاء مائها وحكى
الواقدي انكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار قالوا انما
هي ماؤنا ومنازلنا وما ملكها احد قط يقال له بدر وانما هو علم عليها
كغيرها من البلاد واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير
وابن ابي حاتم عن الشعبي قال كانت بدر بئرا لرجل من جهينة يقال له
بدر فسميت به واخرج ابن جرير عن الضحاك قال بدر ماء عن يمين
طريق مكة بين مكة والمدينة ويا ما احسن قول الصلاح الصفدي

اتينا الى البدر المنير محمد   بجد السرى حتى نزلنا على بدر
فهذا بديع ليس في اللفظ مثله   وهذا جناس ليس في النظم والنثر

قال الزين الحنبلي وببدر امران مستمران لا يعلم سببهما الاول
لا يزال يسمع عند مرور الركب بين الابرقين ونزوله من الخدرة في الغالب
وخصوصا ليلة الجمعة صوتا غريبا كالطبل قال وسمعته مرارا عديدة
وفي بعضها اشد من بعض ولم ار في الاثر ما يدل على ذلك الا ما نقله
السيد السمهودي عن المرجاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بدرا
بسيفه الذي يدعى العضب وضربت فيها طبلخانة النصر فهي تضرب الى
قيام الساعة قلت ما ذكره من سماع الطبل صرح به ابن مرزوق
ايضا في شرح البردة فقال ومن الايات الباقية ببدر ما كنت اسمعه من
غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة
طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت
ذلك وربما تاولته بان الموضع لعله صلب فيستجيب فيه حوافر الدواب
وكان يقال لي انه دهس رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل
واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال قال ثم لما من الله
تعالى بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي
عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي
كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب

الجالين

الجالين يقول تسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة
وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل
وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فشككت وقلت
لعل الريح سكنت في هذا الذي في يدي وحدث قبل هذا الصوت وانا
حريص على طلب التحقيق بهذه الاية العظيمة فالقيت العود من يدي
وجلست الى الارض او وثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت
الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك انه صوت طبل ثم نزلنا ببدر فظللت
اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة قال ولقد اخبرت ان
ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى قلت وهذه المسئلة
مما كثر فيه كلام الناس وطال واذا صرح الموثوق بهم كابن مرزوق
والزين وغيرهما انهم سمعوه فالصحيح ان بعض الناس يسمعه دون بعض
وقد حرصت على سماع ذلك والقيت له البال وانتقلت اترقب موضعه
في تلك الرمال فما سمعت شيا والله اعلم بحقيقة ذلك الامر الثاني من
الامرين اللذين ذكرهما الزين انه كان في كل سنة في الغالب يقدر الله
تعالى بغرق نفر من الحاج اما من المصري ومن الشامي في الذهاب او في
الاياب وقد يتفق الغرق بعد الايذان بالرحيل فيقال ان البركة بها
سكان من الجن يحصل منهم ذلك ويكون سببا للغرق ويقال غير ذلك
والله اعلم بحقيقة ذلك قلت وهذا الامر لا شعور به للمغاربة
فلعله مختص بركبان المشارقة والله اعلم وبتنا ببدر واصبحنا نسير في
ازقتها وبين بساتينها المشرفة ونخيلها الشديد الخضرة والنعومة المشرقة
العراجين وكثيرا ما نتردد في ارضها المباركة عسى ان نمر بموطئ قدم احد
من اصحاب الرسول ولو علمنا قدم واحد منهم لكان تعفير الوجه فيه
غاية المنى والسول وعلى هذه القرية انوار النبوة تلوح ونشر النصر يغدو
ويروح ينشرح في نواحيها الصدر وتنبسط الروح وتطمئن النفس عند
تجلي الله بصفة الجمال لكل صدر مشروح وقد ظهرت على اهل هذا البلد
بركة الرسول مطمئنين بذلك واسعارها في الغالب ارخص من غيرها
مع صغرها وانقطاعها عن البلاد واهلها محفوظون امنون مطمئنون

مع سؤ اخلاق عرب صبح المجاورين لهم وقد زرنا فيها محل الشهدا وعليهم
جدار قصير محيط بقبورهم وبالقرب منهم قبور السادات الاشراف
الودينية من اهل اليمن نزل اسلافهم بهذا البلد ولهم اتباع في طريق القوم
ومجلس ذكر وتوجهنا لزيارة المسجد النبوي الذي هنالك الموسوم بمسجد
العريش ومسجد الغمامة وسقي الناس ما احتاجوا اليه من ذلك الماء العذب
الزلول الذي لا نظير له في تلك التلال وارتحلنا من بدر بعد الظهر
وتركنا تجاهه وادي الصفراء وسرنا بمضيق وعر ورمل بعده فضاء واسع
لا يكاد يعالج سورة حياته معالج ويتصل بذلك الفضاء رملة عالج التي
قال الصلاح في حياتها   التي توحش النفس من حياتها

في وسط رمل عالج   عجيبة ابينها
حياتها التبر غدا   بياضها يشينها
رايت فيها حية   اشبه لي تكوينها
مفتاح عاج ابيض   اسنانه قرونها

واصبحنا ضحى بقاع البزوه والابل من النشاط تنزو والنزوة اى نزوه
واغذهنيئة في سبيلها المطول لما رايت الركب عزم على النزول به وعول
قال الزين والقاع اسم لكل مكان واسع مستو من الارض قال في القاموس
القاع ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والاكام ويسمى طرف
الجنجا والجبت وانشد للصلاح

قد سلكنا القاع المديد الذي   اضحى مضافا دون البقاع لبزوه
فهو قاع لا نبت فيه تراه   عين سار وكم لنا فيه سروه

وله ايضا

مررنا بقاع البزوة الافيح الذي   عليه صريح الذم راح حبيسا
وكان به للماء قدر وعزة   وكان به قدر الحشيش خسيسا
فسرنا به يومين والثالث انقضى   وقد ذهبت فيه النفوس نفيسا
وكم زيلع وافي وموسى بكفه   يسح في وسط المفازة عيسا

وما ذكرناه من تسمية هذا المكان بقاع البزوة مونثا بالهاء هو الذي
في جل الرحل او كلها ولكنه لا وجود له في امهات اللغويين ولا في الكتب

المصنفة

المصنفة في ضبط اسماء المواضع بل الموجود فيها البزواء ممدودا كحمراء قال
السيد السمهودي البزواء بالزاي كالحلواء بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل
بين الجار وودان وانشد قول كثير

ولا باس بالبزواء ارضا لو انها   تطهر من اثارهم فتطيب

وعلى ذلك اقتصر المجد في القاموس كغيره والله اعلم وقد جاءنا اعراب فيها
بالحشيش والماء وارتحلنا وسرنا على عدرة ثم مررنا ببئر الشريف ثم
بستان القاضي ولم يبق من ذلك الا الاثر فقط وقد ذكر جميعه الزين
الحنبلي ثم مررنا بالحدرة المعروفة بعقبة ودان قال السيد السمهودي
ودان بالفتح ودال مهملة مشددة واخره نون قرية على مرحلة من الجحفة
بينها وبين الابواء ستة اميال او ثمانية وقد اكثر نصيب من ذكرها
في اشعاره كقوله

اقول لركب قافلين عشية   قفا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا اخبروني عن سليمان انني   لمعروفه من اهل ودان راغب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله   ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب

وفي اثناء هذه الليلة مررنا بمستورة ويقال مسيترة بالتصغير بعد
العشاء فرايناها عمارة وقهاوي وسرجا موقودة وروضة يتبرك
بها وتزار قيل ان بها قبر رجل من شرفاء اليمن يقال له الشيخ يحيى فزرناه
بحسن النية واصبحنا بعد ارتفاع النهار برابغ في عيش رابغ مستبشرين
بالاحرام ومسرورين بالقرب للبيت الحرام ورابغ قرية عظيمة جامعة
لانواع المحتاج اليه وماؤها عذب في الغالب قال الزين الحنبلي رابغ
لجانب البحر به حايف تعذب بتوالي الامطار وتعتريها ملوحة ما اذا
قلت وبها قرية حسنة جامعة لها مزارع وفواكه ياتي اهلها بالحشيش
والاغنام والحطب والبطيخ وغير ذلك قال ومحل الاحرام الجحفة
وهي تقابلها يسارا صوب الجبل وهي ميقات اهل مصر والشام اذا
جاوا من تبوك وقال صاحب المطالع الجحفة قرية جامعة بمنبر على طريق
المدينة من مكة وهي مهيعة وانما سميت الجحفة لان السيل اجحفها وهي
على ستة اميال من البحر وثماني مراحل من المدينة وقيل سبع مراحل من المدينة

وثلاث من مكة وقال السيد السمهودي الجحفة بالضم وسكون الحاء المهملة
احد المواقيت قرية كبيرة ذات منبر على نحو خمس مراحل وثلثي مرحلة من المدينة
وعلى نحو اربع مراحل ونصف من مكة وكانت تسمى اولا مهيعة كمعيشة
ويقال لها مهيعة كمرحلة اسم للجحفة وقال عياض سميت الجحفة لان
السيول اجحفتها وحملت اهلها وقيل انما سميت بذلك من سنة سيل
الجحاف سنة ثمانين لذهاب السيل بالحاج وامتعتهم وقال الحافظ
المنذري لما اخرج العماليق بني عبيل اخوة عاد من يثرب نزلوها فجاءهم
سيل الجحاف فجحفهم وذهب بهم فسميت حينئذ الجحاف واستبعد ذلك
كله العبدري فقال كانت تسمى الجحفة قبل الاسلام والى الآن وجاء
ذكرها في الاحاديث الصحيحة والاخبار الثابتة وكان سيل الجحاف
في امارة عبد الملك بن مروان فكيف سميت به قبل وجوده واغرب من
ذلك ان سيل الجحاف كان بمكة واجتحف الحجاج والمحصب وذهب بهم
وبامتعتهم وهدم بمكة دورا كثيرة ودخل المسجد الحرام واحاط
بالكعبة وكان ذلك سحر يوم التروية من عام ثمانين فما شانه والجحفة
حتى سميت به هذا مما لا يكون وانشد الزين لابي عبد الله الفيومي

لم انس بالجحفة يوما غدا ... عقلي من اهواله زائغ
يوم لحوم الخلق فيه استوت ... من حره وانقلبت رابغ

وكون رابغ بالغين المعجمة هو المصرح به في جميع الرحل وكتب الفقه ودواوين
اللغة واغرب العبدري فقال انه رابخ بالخاء المعجمة بدل الغين مقتصرا
عليه مع كونه لم يقله احد وانما في القاموس رابخ موضع بنجد من غير
تعيين واما رابغ فعرفه بانه ميقات كما في كتب الفقه والوفا وخلاصته
وغير ذلك فليحرر وقامت لنا فيها سوق واية سوق قام الناس لها
على سوق جمعت من انواع الاطعمة والاشربة والبضايع والعلف والمحابر
والشقادف وغير ذلك من كل ما يحتاج اليه مما لا يصل التعبير عليه
وكانت هنالك حوانيت تخصف فيها النعال المعدة للاحرام يشتريها كل
من طلبها وارام وسقى الناس من حفائرها الغزيرة الماء ما رووه
شافيا من الظما وبالغوا في غسل الثياب والابدان وتوجه كل منهم الى الله

تعالى

تعالى ودان واغتسلنا للاحرام وبالغنا في الثناء على الله تعالى اذ
بلغنا المرام وتجردنا من ثيابنا وصلينا ركعتي الاحرام بعد صلاة الظهر
ونوينا الاحرام بحجة الاسلام المفترضة على امة الرسول عليه الصلاة
والسلام ورفعنا الاصوات بالتلبية ملازمين لما يناسب المقام من
الاحوال الادبية خاضعين لله تعالى حامدين له على ما اولانا من
الانعام ووالى اذ هو الميقات المعروف عند الفقهاء المقابلة للجحفة
وارتحلنا منه وسرنا مطمئنين مسرورين فرحين مبرورين مديمين
على التلبية من غير تفريط ولا افراط مستقبلين ما يرجى لمن يرد نيل
هاتيك الاجور من انواع القيراط ومررنا ببطن هرشى وهي كما قال
السيد السمهودي هضبة ململمة بارض مستوية اسفلها ودان على
ميلين مما يلي مغيب الشمس ويتصل بها عن يمينها بينها وبين البحر
خبت ينسب اليها ثنية هرشى ويقال عقبة هرشى ودونها بميل منتصف
طريق مكة ولها طريقان وكل من سلك واحدا منهما افضى به الى موضع
واحد ولذا قيل خذا بطن هرشا او قفاها فانما كلا جانبي هرشى لهن طريق
ونزلنا قديد بالتصغير ذات الفواكه الكثيرة والماء الذي لا يغيض
ولا يغير وبالقرب منها طارق قديد وهو اسم جبل بالقرب من قديد
وقديد كزبير قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه قاله البكري
وغيره لكنا لم نجد في المحل المعد لنزول الحاج ماء بل الماء عنها بعيد وكذلك
خبر عنها ابو سالم فقال وهي قرية غالب ابنيتها خيشان وفيها قهاوي
وفواكه تباع ولا ماء بها الا ما يستقى من بعيد وكان البكري نبه على
كثرة المياه التي في نواحيها وقد ورد علينا جماعة من نواحيها بالحشيش
والدلاع الجيد وهم يسمونه حبحب بلغتهم واشترينا ذلك منهم بارخص
ثمن وارتحلنا من قديد ظهرا فمررنا مع غروب الشمس بعقبة السكر
والاقدمون يعبرون عنها بعقبة السويق قال في الدرر الفرائد
المنظمة ومن العوائد المتقدمة ان امراء الحاج يبادرون بتجهيز
السقائين لنصب الاحواض اسفل الحدرة الكبرى ويملؤونها من السكر
المذاب لسقاية الحاج فيعمون بذلك الكبير والصغير والغني والفقير

ويعدون ذلك من مكارم الاخلاق وسعة الانفاق ويعدونه فرحا
بالقرب لوم القرى والاستبشار بمعاهدها فكانوا يفرقون المئين
من رؤس السكر المذاب والاوان اذا ملاوها بالماء عدوا ذلك امرا
عظيما قال وهذه العقبة معترضة في الجبل كثيرة الرمال والاوعار
سموها بذلك لما يقع فيها من سقي السويق وغيره وذكر ابو سالم انهم
يذكرون في ذلك اثرا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعبارته واكثر الناس
خصوصا المصارية يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه بعقبة
السكر ويأثرون في ذلك اثرا لا اصل له يزعمون ان رمل ذلك المحل
قد انقلب للصحابة سكرا فشربوه قال وهي عقبة في جبل صغير فيها رمل
يتعب الابل وقد سوى البناء في جانبها والتقطت الحجارة وبني مسجد
صغير في احد جانبيها قلت واثر ذلك المسجد باق الى الان وقد رأيت
مكتوبا على بعض جدرانه

نزلنا هاهنا ثم ارتحلنا   كذا الدنيا نزول وارتحال
يظن العبد في الدنيا خلودا   خلود المرء في الدنيا محال

وانحدرنا من عقبة السكر قرب العشاء وقد قدنا ولنا في اولها العشاء
ومررنا بخليص ليلا وقد قاسينا في وصلته ما لا يقاس بعضه بمقاساة
قيس ليلى فالفينا مياهه سائلة وفواكهه مبذولة لكل سائل وسائله
وحوله من المزارع ما يستغني لولا بيته الزارع فاستقى الناس من
فساقيه وتنعم بفواكهه وارده وساقيه واشترى الناس من لوعه
الشديد الحلاوة اكثر ما سقوا من مائه الذي لا نظير له في العذوبة
واللذة والطلاوة وقد اكثر الرحالون من وصفه وما بلغوا معشار
ما اشتمل عليه فضلا عن نصفه قال الزين الحنبلي خليص فضاء واسع
كثير الانس وبه حصن على جبل ومزدرعات وخضر وبطيخ وكروم
وسمون واغنام وقال ابو سدي خليص عين غزيرة كثيرة الماء وعليها
نخل كثير وبركة ومشارع ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند الحرة
مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون لرسول الله في تلك المسافة مسجدان
عند حرة عقبة خليص مسجد وعند العين المسماة بخليص مسجد وقد ذكرهما

السيد

السيد السمهودي رضي الله عنه وقال ابو سالم وفي خليص عين تجري وابنية
وقهاوي وسور وقد سيق الماء في قنوات محكمة من العين يفرغ عنها في
مواضع للسقي والوضوء الى ان خرج الماء الى بركة عظيمة تحت القرية لم
ار احلا منها ماء ولا اعظم يغرف منها من لا يحسن العوم ويخرج الماء من
البركة الى مزارع قريبة من البلد قال الزين الحنبلي وفي خليص يستبشر
الركب بالخلاص من التعب والاعياء والنجاة من المشاق الفادحة
وانشد للصلاح   يقول سايق ركبي   ولات حين مناص
لقد بلينا بدرب   بطول يوم القصاص   فقلت جي به خليصا   واثر يحسن الخلاص
وله ومرت به ظباء وهو محرم

مرت ظباء القاع قدامنا   ونحن بالاحرام في هجعه
حتى نجت سالمة في الفلا   ولم يكن فيها لنا نجعه
قلت لهم قولوا لها ان تكن   ناشطة تلبث الى الرجعه

وانشد للشهاب احمد بن ابي حجلة

حثثنا المطايا من خليص عشية   وطرفي الى افق السماء تردد
ولما بدا فيه الهلال لناظري   ذكرت حنين العامرية اذ بدا

وسرنا من خليص في امن وامان ومررنا بالموضع المعروف بمدرج
عثمان والعامة تنسبه الى علي رضي الله عنهما وهو كثير الوعر صعب
المسلك ومن خليص الى عسفان غيضة كبيرة ذات اشجار ملتفة من اثل
وغيره وفي خلالها فدادين يزرع فيها المقاثي والدخن وغير ذلك
وانحدرت في الثنية التي يهبط منها الى عسفان والطريق فيها مبنية
ملتقطة احجارها كعقبة السكر الا ان هذه اطول منها واسهل وباحد
جانبيها مسجد وهذا المحل هو المسمى بمدرج عثمان قال الزين الحنبلي
ويجب على الاميران لا يمر بوفد الله تعالى في مدرج عثمان ذهابا وايابا الا
نهارا لما فيه من كثرة الاوعار وصعوبتها وتعاريج الطرق وانشد للصلاح

طوينا الفلا نبغي الوصول لمكة   فناحت علينا الورق من عذب البان
وكم مدرج قد لاح في كهف الفلا   ليوم التلاقي في مدرج عثمان

ولما خرجنا من اوعار تلك العقاب التي طرقاتها على شفا جرف هار

وصلنا منزلة عسفان بعد ارتفاع النهار فتفرق الناس يستقون من
آبارها وورد علينا جماعة من صغار اعرابها وكبارها وقامت
هناك سوق جامعة لانواع اللحوم والخضر والحشيش وغير ذلك مما
يستبعد وجوده هنالك وشربنا من البير التي يقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم تفل فيها او شرب منها اذ لم يكن له مندوحة عنها اغتناما
لبركة آثار الرسول لانها لدينا غاية المنا والسول فما شربت اعذب
من مائها ولا احلا كما انه لا يكون احلى منه ولا اجلا وما زال الناس
يتزودون من ماء هذه البير ويكثرون من شربه ويسمون المنزلة كلها
به فيقولون نزلنا بير التفلة كما اوما اليه الزين وغيره وقد ذكر هذه
البير جماعة من اهل الرحل وماء الابار الاخر عذب سايغ شرابه ايضا
ولكن حلاوة هذه البير خرقت المعتاد ببركة ريق سيد العباد وعسفان
بالضم كانت قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة
سميت بذلك لعسف السيول فيها قال الاسدي وفيها آبار وبرك
قال الزين وبعدها منزلة العقلة التي صلى بها النبي صلى الله عليه وسلم صلاة
الخوف حين كان العدو في جهة القبلة وبعسفان اشجار الاراك وغيره
من اشجار الحجاز وبه شجر البلسان البري وبعضهم يسميه البشام وكثيرا
ما يوجد في رؤس تلك الجبال وارتحلنا منه ومررنا بالارض المسماة برقة
وهي ارض طيبة فيها مزارع ومقاثي ثم بوادي العميان سمي بذلك لان
الفقراء يتعرضون فيه للركاب طلبا للصدقة وفي اثناء ذلك مررنا
بفضاء نير كثير الانوار والاشجار وربما مررنا بمضيق وعر بين جبلين
بعد ذلك الفضاء ومررنا على طائف المنحنا وبعده اتينا جبل المنحنا
كما نبه على ذلك الزين الحنبلي وانشد لابن ابي حجلة لما مر بتلك الجبال وبدا
له معالم مكة العظيمة العنبر والبال

اسير ولي شوق الى ارض مكة ... له في الحشا والقلب مرسى ومرسح
اذا ما بدت لي شامخات جبالها ... فاني على اهل البسيطة اشمخ

وقد ذكر المنحنا في هذا الموضع صاحب الرجز ايضا فقال

وفي خليص سر ولا تعرج ... من بعدها تاتي الى المدرج

منه

منه الى عسفان ثم المنحنا ... وبطن مر بعدها نيل المنا

وزعم بعضهم ان المنحنا انما هو مذكور في اماكن المدينة فقط ولا ذكر له
في اماكن مكة وهو قصور فقد ذكره غير واحد على ان المنحنا المذكور
في مواضع المدينة لم يعين مكانه بل في الوفا وخلاصته وغيرهما من
مولفات السيد السمهودي المنحنا بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون
له ذكر في الغزل باماكن المدينة وهو عند اهلها اليوم بقرب المصلى في
القبلة شرقي بطحان ولذا قال الشمس الذهبي

تولى شباب كان لم يكن ... واقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنا والنقا ... فما بعد هذين الا المصلى

ففي كلامه الاول ما يدل على انه غير معين عند الاقدمين وان اهل عصره
اطلقوه على ذلك المكان الذي اوما اليه وهو لا يعين ان لا يكون
منحنا اخر في هذا المحل كما لا يخفى والله اعلم واصبحنا في القرية الناعمة
المعروفة بوادي فاطمة وهو المعروف بين الفقهاء واهل السير بمر الظهران
وبعضهم يستوي عنده في التسمية الامران وربما يسمى ببطن مر قال
الزين الحنبلي بطن مر قرية ذات حدايق وعيون وبنيان ومسجد وعين
ويسمى وادي مرو وادي فاطمة عند اهل الحجاز وقال ابو سالم انه يسمى
وادي الشريف قال وهو واد كبير فيه قرى متعددة ذات نخيل
وبساتين وعيون تجري واعظمها القرية التي ينزل بها الحاج وفيها
سوق وعين كبيرة وبساتين مونقة وقد لقينا الثمار بها مزهوه
فكانت النفوس بانواع الرطب والبطيخ فيها مزهوه فاسرع الركب
المصري في التوجه الى مكة المشرفة وتاخرنا عنه خشية الازدحام الذي
تكون في تلك المضايق على كل شرفه فاتخنا في الوادي ريثما تغدى الناس
وكثر الايناس وانقضت الزحمه واخذنا في التوجه لمنازل الرحمه ورحلنا
من الوادي ولاحت من اعلام الغرب البوادي ومررنا بسرف وبه قبر
ام المومنين ميمونة رضي الله عنها لانها توفيت في هذا المحل ودفنت فيه
ومن غريب الاتفاق ان النبي صلى الله عليه وسلم بنى بها بهذا الوادي وكان
تزوجها بمكة وهو محرم بعمرة القضية وبنى بها بسرف في رجوعه وعلى

قبرها بناء ومسجد تهدمت جوانبه فزرناها وتجاوزنا الى التنعيم حيث
المسجد المنسوب لعائشة رضي الله عنها بني في المكان الذي احرمت منه
بالعمرة مع اخيها عبد الرحمن بامر النبي في حجة الوداع ومن ذلك الموضع
يحرم الناس بالعمرة في المواسم وغيرها وهو ادنى الحل حتى صار يطلق على
المكان اسم العمرة تسمية للشي باسم ما يقع فيه ثم تجاوزناه ومررنا بسبيل
الجوخي وقد جمع هذه المنازل ايضا الراجز في قوله

تسير تلقى مسجد الميمونه … خيرا لنساء امنا المصونه
وبعده المساجد المشهوره … لامنا عائشة المبروره
فطب اذا نفسا وقر يا اخي … عينا وتاتي في سبيل الجوخي

وسرنا في مضيق الثنية الى وادي الزاهر ويسمى جنان مكة وبه آبار واشجار
وخضر وبه قبر يذكر انه قبر الصحابي المشهور عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
فقد صح انه مات بمكة بعد الحج فقيل انه دفن خارجها بوصية منه كراهية
ان يدفن في البلد الذي هاجر منه فمن قايل انه بهذا الوادي ومن قايل
انه بالوادي الذي بطرف المحصب وهو الذي شهره كثيرون الا انه ليس
هنالك قبر ينسب اليه واكثر الناس يقول بالاغتسال في هذا الموضع
اقتداء بمن قال ان هذا هو ذو طوى الذي بات به النبي صلى الله عليه وسلم
واغتسل فيه واستحب اكثر العلماء الاغتسال فيه والتحقيق ما عليه
كثير من المورخين ان ذا طوى امام هذا وليس بينه وبين مكة واد آخر
وهو الوادي الذي وراء قعيقعان وباسفله الموضع المسمى بالشبيكة حيث
الثنية السفلى التي يخرج منها الحاج باعلاه هذا الوادي هو ذو طوى
واسفله هو الشبيكة ولم نغتسل نحن بواحد منهما لعدم تيسر ذلك بل
سرنا عامدين الى الثنية العليا لان مكة لها طريقان طريق باب الشبيكة
بالجادة وطريق باب المعلاه من الثنية العليا التي قصدناها لانها
الطريق التي دخل منها صلى الله عليه وسلم المسماة بكدا بالفتح وقد بالغ
الولاة في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الاحجار حتى صارت كاحد الازقة
ومع ذلك ففيها صعوبة ومنها يشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون
وهي احدى المقابر التي تضي لاهل السماء كما تضي الكواكب لاهل الارض

كما

كما ورد في الاحاديث ولما انحدرت من تلك الثنية انحاز معنا بعض اصحابنا
الى بعض الاشجار وجعلوا لنا حايلا عليها للستر واغتسلنا هنالك
واشرقت علينا انوار الحرم الشريف ضاعف الله له التعظيم والتشريف
ولاح لنا شعب ابي طالب الجامع لجميع المطالب وتذكرت قول ابن ابي
حجلة في ذلك لما وصل لهنالك

ولم انس اذ وافيت مكة بكرة … ودمعي من المعلاه بها يتحدر
طويت اليها شقة البيد في السرى … وانوارها من ذي طوى لي تنشر وقوله
بذلت كنوز الدمع في مكة … يغلب بذل المال في الغالب
فكيف اخشى في الورى مهلكا … ومطلبي شعب ابي طالب

وكنت لما انحدرت الى الحجون ودنت لي مكة واشرفت عليها واشتد
بي الاشواق اليها قلت قصيدة اولها

لقد فزنا وسر الثناء … وادركنا من المولى العطاء
واشرفنا على حرم امين … له من كل ناحية بهاء

وكانت ازيد من ثلاثين بيتا اختطفتها يد السارق وترك القلب من
اجلها في محارق

ذكر دخولنا لمكة المشرفة وحلولنا حول البيت الذي عظمه الله وشرفه

دخلنا مكة المعظمة في عصر
سادس الحجة الحرام ولم يسعنا ان نقدم شيا قبل التوجه الى بيت الله
الحرام اذ ذاك هو منتهى الشوق وغاية المرام فجئنا نوم البيت الحرام
بنيل المنا وبلوغ المرام وكادت ان تطير من شدة الفرح القلوب واثنين
وفازت بما هو لديها المامول والمطلوب ودخلنا البيت من باب
السلام اقتفاء لاثر النبي عليه الصلاة والسلام داعين للبيت المعظم
بزيادة التشريف والتعظيم قال التقي الفاسي باب السلام هو اول
باب في الجنب الشرقي وعليه منارة المسجد الحرام قال فاذا دخل القادم
من باب بني شيبة وراى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم زد هذا
البيت تعظيما وتكريما وتشريفا ومهابة وبرا وزد من عظمه وحجه تعظيما
وتكريما وتشريفا ومهابة وبرا الحمد لله اللهم انك دعوت الى حج بيتك الحرام
وقد جئتك له فتقبل مني واصلح لي شاني كله واشرفنا منه على ذلك البيت الشريف

الغنى عن التعريف وقد تبدت انواره وتدلت استاره وبرقعه مشمر
عن الاسافل حتى لا يكاد يناله على ولا سافل اذ عادتهم ان يفعلوا
ذلك به من اول ما تقدم الوفود ولا تطلق استاره حتى تؤب وتعود
وقد قال ابو سالم فى هذا المعنى وابدى فيه تشبيها غريب المبنى

فكانه لما بدا متشمرا   والطايفون به جميعا احدقوا
ملك همام ناهض للقاءمن   قد زاره وله اليه تشوق
فتبادر الغلمان رفع ذيوله   حتى اذا رجعوا جميعا اطلقوا

قال ومن راى اكابر الملوك عند قيامهم وتشمير الغلمان لفاضل
الذيول عن يمينهم وشمالهم علم غرابة هذا التشبيه وحسن موقعه
وانه واقع فى موضعه وعلم ما بينه وبين من شبهه بهند وليلى وانه لم
يجد وصفا ولم يحسن قولا فلما وقعت عليه الابصار تحيرا لنظر والابصار
واقشعرت الجلود وذهلت العقول وشاهدنا من الهيبة
والعظمة ما ليس بمعروف فى غير ذلك المكان ولا معقول

بدا لك الحق فاقطع ظهر بيداء   واهجر مقالة احباب واعداء
واقصد على عزمة ارض الحجاز تجد   بعدا عن الحظ فى نزل الاوداء
وقل اذا انلت من ام القرى اربا   وهو الوصول باسرار وابداء
يا مكة الله قد مكنت لى حرما   موقنا لست اشكو فيه من داء
فمن راى النازح المسكين مسكنه   فى قطرك الرحب لم ينكب باذاء
شوق الفواد الى مغناك متصل   سوق الرياض الى طل وانداء

ولما ضج الضجيج وارتفعت اصوات الحجيج ذكرت قول القايل
فى مثل هذا الموقف الهايل

وافى الحجيج الى البيت العتيق وقد   سجا الدجى فبدا نور به بزغ
عجوا عجيجا وقالوا الله اكبر ما   للنجوم تلق بالنور قد صبغ
قال الدليل لا هاتوا بشارتكم   فمن نوى كعبة الرحمن قد بلغ
نادوا على العيس بالاقران وانتحوا   وود كل فواد نحوه وصغ
وكل من ذم فعلا نال مجمعا   فى مكة ومحا ما قد جنى وبغ

وكلما جددت النظر فى محاسن البيت الشريف كدت اغيب عن الوجود

و

واستشعرت قول العارف الشبلى لما وفد على حضرة الجود

قلت للقلب اذ تراءى لعينى   رسم دارهم فهاج اشتياقى
هذه دارهم وانت محب   ما احتباس الدموع فى الاماق
والمغانى للصب فيها معان   فهى تدعى مصارع العشاق
حل عقد الدموع واحلل رباها   واهجر الصبر وارع حق الفراق

وكلما نظرت يمينا وشمالا وهبت على من نفحات البيت صبا وشمالا
انشدت وقد ملت من الوجد ممالا

هذى اباطح مكة حولى وما   جمعت مشاعرها من الحرمات
ادعو بها لبيك تلبية امرئ   يرجو الخلاص بها من الازمات
قلت المنا بمنى لو انى لم اخف   بالخيف من ذنب احال سماتِ
وعرفت فى عرفات انى ناشق   للعفو عرفا عاطر النسمات

ثم تجاوزت باب بنى شيبه وفى قلبى ما لا اكيفه من الهيبه وتيممت الحجر
الاسود وجنبت كل احمر واسود وكبرت وقبلت وجعلت البيت
عن يسارى وشرعت فى الطواف واقبلت حتى فرغت من طواف
القدوم واستشعرت الوجود وقد كنت من الذهول فى حيز المعدوم
وربما كنت اتمثل فى المطاف وقد لبست جلابيب الالطاف الدانية
القطاف بقول ابن رشيد البغدادى تقوية لا مرادى

على ربعهم لله بيت مبارك   اليه قلوب الناس تهوى وتهواه
يطوف به الجانى فيغفر ذنبه   ويسقط عنه جرمه وخطاياه
وكم لذة او فرحة لطوافه   فلله ما احلا الطواف واهناه

وربما اتوجه الى الله فى نيل الاوطار التى جبت لها الاقطار واحمده على ان
سكن القلب فى حرمه وطالما اليه طار والجأ اليه فيما ارتكبته من الاخطار
طوبى لمن طاف بالبيت العتيق وقد   لجا الى الله فى سر واجهار
فكل من طاف بالبيت العتيق نجا   حقا وقد راح معتوقا من النار

وربما تاملت حسن جمال الكعبة الباهر فانشدتها قول من اقبل
عليها بالنداء الظاهر

يا كعبة الله كم من عاشق قتلا   شوقا اليك ورام الوصل ما وصلا

١٤٦

يمسي ويصبح محزونا ومكتئبا   ويهجر الاهل والاوطان والطلا
لولاك ماسرت الركبان من طرب   كلا ولا قطعت سهلا ولا جبلا
ولا رات كل ضيق فيك متسعا   كلا ولا خف عنها كل ما ثقلا
باعوا النفوس رخيصا في هواك وما   تغلوا النفوس بوصل منك ان حصلا

فياما اطيب هذه الاوقات المباركة التي لا تعدل بمقاومة ولا مشاركة
ويا ما الذ ما لقيناه عند تقبيل الحجر من الازدحام والمنهل العذب
كثير الزحام ويا ما اقصر الوقوف وان طال بالملتزم ويا ما الذ
الورود من ماء زمزم ويا ما احسن التمتع في الحجر بلا حجر ويا ما اكمل
الاماني بالوقوف حول الركن اليماني ويا ما اقرب الدعاء في تلك الاماكن
للاجابة ويا ما اسعد من اكرمه مولاه فجاء به الى بيته الحرام ولبى دعاءه
واجابه ولما غربت الشمس وطابت النفس ادينا صلاة المغرب وقدمنا
على ركعتي الطواف تحريا للخروج عن وقت النهي مع قلة الفصل ثم
صلينا ركعتي الطواف خلف المقام وقبلنا الحجر وخرجنا لقضاء
شعيرة السعي من باب الصفا وبدانا بما بدا الله تعالى به فوقفنا على
الصفا وارتقينا على مدارجها حتى قابلنا البيت وبالغنا في الدعاء
لله تعالى لنا ولوالدينا ولاشياخنا واحبابنا ولعامة المسلمين
وخاصتهم والرقي على المدارج مما ينبغي ان يتفطن له فان كثيرا من الحجاج
يقف في الدرجة الاولى ولا يرتقي لغيرها فيخل بكيفية الرقي عليها ثم
اتينا المروة في زحام كثير من اخلاط الناس الواردين وغيرهم من
اهل البلد لان المسعى سوق من اسواق مكة العظيمة ولو وفق الله الامراء
لمنع الناس من التسوق فيه ايام الموسم لكان له في ذلك خير كثير لكثرة
ما يحصل للساعين من التضرر بكثرة الازدحام وما فرغنا من السعي
حتى قربت العشاء فدخلنا المسجد وصلينا العشاء وخرجنا ننظر محلا
ننزل فيه فما لقيناه حتى مضى ربع من الليل بقرب المدعى فانزلنا فيه
امتعتنا وبتنا به حتى طلع الفجر وتوضانا وجئنا لصلاة الصبح بالمسجد
الحرام فطفنا لان تحية الطواف يتاكد في حق المسافر كما قرر في الفقه
وصلينا فيه وبقينا حتى اشرقت الشمس وكمل لنا الانس وظللنا في ذلك

اليوم نزداد العبادة ما بين صلاة وطواف ونتمتع بالنظر في الكعبة والطواف
ونتضلع بماء زمزم ونتذلل بين الركن والمقام والحجر والملتزم ومع ذلك
نبالغ في الالتجا الى مولانا ونساله الزيادة على ما اولانا ولما قبلت
الحجر الاسود الذي لا اشرف منه ولا اسود قلت

حصلت على المجد والسؤدد   وامنت من ساخط اسود
وصليت ما شئت خلف المقام   وقبلت فا الحجر الاسود

وقلت في الملتزم وقد التصق به الجسم والتزم

يا الهي قد اتى الملتزما   عبدكم يرثي لذنب ازما
هد يا ربي قواه وبرا   جسمه مولاي حتى عزما
فاخفضن بالفضل ربي نصبه   واجعل الملتزم الملتزما

وقلت في الحجر والحطيم وقد ضاعت اعرافها ولا ضوع المسك اللطيم

هديت الى الصراط المستقيم   فجئت لحجة البيت العظيم
وعند الحجر قال الحجر ابشر   فقد حطمت ذنوبك بالحطيم

وقلت لما بلغت الاماني بالطواف حول الركن اليماني

حصلت على الذخائر والاماني   وبدل كل خوف بالامان
اما قد طفت حول البيت سبعا   ولامست اليد الركن اليماني

وقلت لما خلص القلب وصفا وسعيت بين المروة والصفا

صفا القلب مني اذ وقفت على الصفا   فلله ربع فيه كل امرئ صفا
وامسى فوادي لينا ذا سهولة   وقد كان قدما وهو اقسى من الصفا
وفي المروة الغراء زادت مروتي   كما لا ولم لا وهي منزلة الوفا

وخرجت بعدما ارتفع النهار لا بد من الخروج الى عرفات واصلح الاواني
مما اصابها من الافات واستعد للزاد وانظر ما نقص وزاد
فظللت اسعى في تحصيل ذلك الغرض وكلما عن وقت من اوقات
الصلاة اتي المسجد الحرام فاصلي فيه الوقت الذي عرض وبتنا بمكة ايضا
وقد فاضت علينا انوارها فيضا واصبحنا يوم الاحد جادين في
الرحيل لعرفات اذ لم يتاخر عنه في ذلك اليوم احد وهو ثامن الحجة
الذي يتعين فيه الخروج لعرفات تكميلا للحجة وهو المعروف بيوم التروية

وكان اخر العهد بالبيت الطواف به لانه مشروع عند الخروج لمنى وعرفات
كما نص عليه الشيخ ابو الحسن والشيخ خليل وابن هلال وغير واحد من
ارباب المناسك ثم ارتحلنا بعد الزوال لان ذلك هو السنة في
الارتحال فنزلنا بمنى فوق مسجد الخيف بسفح ثبير وبتنا في تلك الليلة
بمنى اذ المبيت بها هو السنة كما في دواوين الفقه وقد من الله علينا
باحياء هذه السنة التي اميتت منذ زمان فقد قال الحطاب وهذه السنة
اعني المبيت بمنى هذه الليلة قد اميتت منذ زمان ونبه على ذلك غيره من
الفقها ايضا وذكره كثير من الرحالين كابن رشيد والعبدري وغيرهما
وذكروا ان الخوف يمنع من المبيت هناك بعد ذهاب الركاب ولما راينا
ذلك طلبنا من الشيخ ان يبيت هناك احياء لتلك السنة فساعفنا بذلك
وبتنا هنالك وقد صدق القائلون بان الموضع مخوف فقد سرقت
في هذه الليلة جماعات كثيرة من ركبنا وذهبت بغال واموال عريضة
وسرقت لنا خيمتنا بما فيها من حوايج وامتعة وطعام وغير ذلك
حتى لم يبق لنا ما نسد به الرمق هنالك تقبل الله جميعه منا وجعله
سبب رضاه عنا فان المصيبة في مثل هذا المقام لا تخلو عن الطاف خفية
يتعذر حصولها لمن قعد وقام واصبحنا مسرورين بقبول ذلك
القربان وظهر علينا فضل الله تعالى في ذلك وبان وارتحلنا من هنالك
بعد طلوع الشمس قاصدين لعرفات التي عرف فيها من كل وحشة
الانس وفاضت فيها عرفات رحمة الله على الجن والانس وليس عندنا
قلامة ظفر نقضي بها ادنى غرض بين اهل الوفر ومع ذلك لا نبالي
ولا يخطر اسف على ما تلف ببالي فقيض الله جماعة الركب وقاهم الله كل
كرب ان تعرضوا لي في الطرقات لما سمعوا اني من جملة السرقات
ونوعوا لنا انواع المطاعم واظهروا كل نوع ناعم وبالغوا في الاكرام
وانالوا غاية المرام جزاهم الله خيرا ووقاهم ضيرا واكثروا من
التردد الينا والورود علينا وتانيسنا بالكلام اللين وتذكيرنا
بان ما سرق سهل في جنب ما نلناه من الاماني وهين وما علموا ان ذلك
عندنا هو المطلوب وانه راحة الاجسام والقلوب اذ هو علامة

القبول

القبول والاقبال فانى يخطر لي التغير عليه ببال ولم نزل في الخيام
التي ضربناها للقيلولة اقامة للسنة والناس ينوعون الاطعمة والاشربة
فرحا بهذا اليوم العظيم الجدير بالتبجيل والتعظيم ويأتوننا بذلك
ويطلبون منا التوجه معهم لخيامهم جبرا لخواطرنا وتانيسا لنا بذلك
لان عادة اهل الدنيا انهم يبالغون في الاسف على ما فاتهم منها او سرق
لهم فيقيسون الناس على انفسهم وكنا نساعفهم بالاكل من الطعام الوارد
والذهاب مع من طلبه جبرا لخواطرهم ورغبة في استئناسهم حتى زالت
الشمس واتانا بعض اصحابنا بكوب من ماء فاغتسلنا الاغتسال الثالث
من اغتسالات الحاج وصلينا الظهر والعصر جمعا وارتحلنا لقضاء
الركن الذي لا اعظم منه وهو الوقوف بعرفات الذي قال فيه النبي عليه
السلام الحج عرفات اي معظم اركانها كما قرر في الفقه ومن الله علينا
بان جعله يوم الاثنين فقد صرحوا بافضليته من وجوه مذكورة في المناسك
وغيرها حتى جعلوه قريبا من الجمعة او مساويا لها وصعدنا الجبل
ووقفنا شامي القبة التي على الجبل وحشر الناس في نواحي الجبل افواجا
افواجا ودفعوا في ارجائه وجهاته امواجا امواجا واخذنا في الانتقال
من موضع الى موضع رجاء ان تحصل لنا من الواقفين بركة بسبب ما تيك
الحركة وكثيرا ما حرصنا على سماع الخطيب وقربنا من موضعه لاستماعه
فلم نتمكن من سماع حرف واحد منها لكثرة الاصوات واختلافها وازدحام
الناس على ارتضاع اخلافها مع اختلاف لغاتها ومطالبها وتباين
مقاصدها ومآربها ولم نبرح واقفين متذللين خاضعين لله تعالى
سائلين طالبين راغبين راهبين باكين داعين نبالغ في الدعاء وسؤال
الله تعالى من فضله ان يمن علينا بخيرات الدنيا والاخرة العاجلة والاجلة
لنا ولوالدينا ولاشياخنا واصحابنا واخواننا ومن سال لنا الدعاء
ولجميع المسلمين وعلى الله تعالى البلاغ حتى غربت الشمس وتحقق غروبها
ونفرنا من هنالك ثم وقعت فتنة بين امير الركب الشامي وامير الركب
المصري حتى عزما على القتال وتقابلا للاقتتال فحال بينهما امير مكة
وفصل بين الاميرين ودخل بينهما جزاه الله خيرا وسرنا في الاحزبات ولم نر

بفضل الله زحاما ولا ضيقا حتى خرجنا من بين المازمين بعد مغيب الشفق
وعدلنا يمينا واستندنا للجبل ونزلنا وجمعنا بين الصلاتين وبتنا
بخيمة محبنا التاجر الفاضل الحاج محمد بن عبد الحميد المراكشي لانه كان
يحاذينا من ثغورنا الى ان وصلنا لهذا المحل حرصا على مبيتنا عنده جزاه
الله خيرا ولما نزلنا اكرمنا وسقى بغلتنا وعلفها وبتنا عنده في ارغد
عيش وجلب لنا من عرفات انواع الفواكه والارز وغير ذلك تقبل
الله عمله مع كونه سرقت له بغلة جيدة يوم سرقنا نحن عني تقبلها الله منه
والتقطنا الجمار من مزدلفة وتممنا حتى طلع الفجر وجاءنا السيد الحاج محمد
بالماء فتوضانا وصلينا وارتحلنا مغلسين الى المشعر الحرام فوقفنا
حوله داعين مكبرين مبالغين في الدعاء والتطفل على الله تعالى لنا
ولاحبتنا ولجميع المسلمين الى الاسفار ثم سرنا قاصدين منى واسرعنا
في بطن محسر المعروف بوادي النار وهو من اول ما تحاذي البركة الخربة
التي هي على يسارك ان مررت بطريق الركاب وانت ذاهب الى منى
حتى تاخذ في الطلوع الى منى وترتفع بك الارض وبهذا عرفه اهل عصره
بالمناسك الشيخ خليل المكي حسبما نقله عنه البلوي في رحلته اذ ساله عن
حده وسرنا راكبين على هيئتنا حتى رمينا جمرة العقبة من اسفلها بالسبع
الحصيات التي التقطناها من مزدلفة وملنا الى الحلاقة فتبين الذين
هنالك فالفيناهم في شغل شاغل من كثرة الزحام واكثر الناس يكتفي
منهم بحلق ناصية من راسه ويغتر بقولهم له يكفيك هذا فقد احللت
طلبا للتفرغ لاخر استكثارا في الاجرة فيصدقهم كثير ممن لا علم عنده في
الاكتفاء بذلك واذا احلقوا لاحد الراس كله فانهم لا يستوعبون وقد
من الله علينا برجل عرفه بعض من حضر مجالسنا ودفع له اجرة زائدة
على ما يعتاد فحلق لنا كما ينبغي مستوعبا ذلك على المراد ثم ذهبنا كذلك
لنغنم طواف الافاضة ونغترف بالدخول للبيت من بحر جوده الذي
افاضه فبادرنا الدخول المسجد الحرام ووافينا الحجر الاسعد فاقبلنا عليه
بالتقبيل والالتثام وشرعنا في طواف الافاضة معترفين من فضل
الاحسان الذي اجراه الله تعالى على عباده وافاضه وكملناه بالصلاة

خلف

خلف المقام بعدها قمنا في الملتزم مع من حوله قائم ولم نجدد السعي
لانا كنا سعينا اثر طواف القدوم كما هو السنة في ذلك **تنبيه**
كثير من العوام يظن انه يلزمه سعي اخر اثر الافاضة وبعض المتفقهة
افتى من لم ينو فرضية طواف القدوم باعادة السعي اقتداء بظاهر
قول المختصر ونوى فرضيته والا فدم والتحقيق الذي يعول عليه هو
ان شرط السعي وقوعه اثر طواف اي طواف وكونه فرضا انما هو واجب
يجبر بالدم ولا يلزم منه بطلان السعي ومعنى الفرضية كونه يتوقف
عليه صحة السعي لا كونه فرضا في نفسه وهذا القدر يعلمه كل من له ادنى
معرفة بالمناسك واذا كان كذلك فلا اعادة على من سعى اثر طواف
القدوم ولو لم يستحضر نية فرضيته اذا كان عالما بذلك فان نية
الاحرام كافية في الحج لانه عبادة واحدة ولا يشترط فيه افراد نية
لكل جزء منه كالصلاة وتمييز الفرايض من غيرها امر مختلف في كونه
شرطا في صحة الصلاة ام لا والحج اوسع من الصلاة ولا اعادة عليه
ايضا لو جهل فرضية طواف القدوم لان الشرط كما تقدم هو وقوعه
اثر طواف وهذا واقع اثر طواف فان كان عالما بالتلازم بينهما فلا
دم ايضا اذ ذلك القدر هو المعبر عنه بالفرضية والا فدم هذا هو
التحقيق الذي حرره جماعة من المشايخ وسلمه ابو سالم وغيره وادلة ذلك
يطول سردها وكثير من المتفقهة لا يحقق المسألة هذا التحقيق ويشغب
على الناس الزامهم الاعادة ويقول لابد من افراد نية لطواف
القدوم انه فرض والا بطل السعي والعجب كيف يجعلون نية الفرضية
شرطا في صحة السعي ولا يجعلونه شرطا في صحة الطواف ذي النية
فتكون نية الفرض في ركن شرطا لركن اخر لا له والشرط اذا لم يوثر عدمه
في محله كيف يوثر في محل اخر فشد يدك على ما ذكرنا من التحقيق الاول
ولا تلتفت الى من طريقه التقيد بظواهر الفاظ المختصرين اذ ليس عليه
معول والله تعالى اعلم ولما فرغنا من الطواف وتابعه الفينا البيت
مفتوحا فاخذنا في معاطاة اسباب الوصول اليه وتعرفنا للقيم عليه
فيسر الله علينا امره وهدى بعض ولاة تلك الامور وارتفعنا للدخول

اليه راغبين فيما اعد من الثواب عليه ولم اشعر حتى وجدت جسمي ملقى
في داخل البيت وكاني افقت من هيئة ميت ولم ادر كيف وصلت
لذلك ولا بماذا نلت الوصول لهنالك فاخذتني قشعريرة واعتراني
ما يعتري الموصول من ذهول الوصول واخذنا في الصلاة الى
اركان البيت الاربعة واطلنا في الصلاة وبالغنا في الدعاء لنا
ولاهلينا واحبائنا واشياخنا ولجميع المسلمين مما نسال الله تعالى
ان يتقبله منا ويرضى به عنا واطلنا المكث فيه رغبة في تحصيل
ثواب داخله وقاصده واخذنا نذكر هولاء الخدمة الذين يمنعون
من رام دخوله لنيل مقاصده فقد ذكر المحب الطبري انه لا يحل منع
دخول البيت قال ودخول الكعبة مثاب عليه ففي سنن البيهقي والاوسط
من طريق عبد الله بن المومل عن ابي محيصن عن عطاء عن ابن عباس
يرفعه من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة وخرج مغفورا
له وعد الزين الحنبلي لدخوله ادابا اكدها كف البصر واظهار
الخضوع والخشوع وداخل الكعبة كله مرخم برخام ملون مجزع قال
العلامة الفاسي اول من رخم ذلك الوليد بن عبد الملك بن مروان
فيما ذكره الازرقي وفيها ثلاث دعائم من ساج مصطفة في وسط
ما بين اليمين والشمال وكل دعامة منها قد سمرت عليها الواح من عود
من اسفله مقدار وقفة وداخل الكعبة وسقفها كله مكسو بكسوة على
هيئة الكسوة الخارجة في الصنعة والكتابة مخالفة لها في اللون فلون
الخارجة سوداء كلها والداخلة بياض في حمرة وفيه مصابيح كبيرة معلقة
بعضها من الذهب وبعضها من البلار والابيض الصافي المكتوب
بلون لازوردي وتاملنا هذه الاشياء وان كان امعان النظر فيه سوء
ادب لما راينا انه يغتفر في حق من اراد تحقيق الامور والله اعلم ثم نزلنا منه
مسرورين فرحين بنيل هذه البغية ولم تطل مدة فتحه بعد نزولنا لانهم
انما يفتحونه في هذا اليوم لتعليق الكسوة الجديدة وازالة العتيقة وليس
بدخول عام بل انما يدخل القيم وامير الحاج المصري واتباعهما المتعينين
في ذلك ولا ينصب سلم للدخول وانما يدخل من تكلف الصعود بمعين

والخفة

والخفة اعضاء وعلى الباب احد خدام الامير يمنع الناس من الدخول
الا ان الناس يكاثرونه فان منع من جانب دخلوا من الجانب الاخر وربما
يتعامى عن البعض ويحصل لكثير من الناس في ذلك المكان سوء ادب
من ضرب وشتم بالفاظ ينزه المكان عنها فالاولى عدم الدخول الا لمن
يتيسر له ذلك عفوا صفوا من غير ايلام ولا ملام كما من علينا بذلك دون
كلفة ولا مشقة ولا سوء ادب هنالك ولله الحمد سبحانه وبعد نزولنا من
البيت جلسنا امامه نتامل الناس وننظر ما يحصل لهم من الايناس وهم
مجدون في الطواف واحوالهم في غاية الاختلاف فمن مزهو بوصاله
متبختر في طوافه يتمايل بجميع اوصاله منشد بلسان حاله

لا تنكروا حال الطواف تبختري ... وتمايلي سكرا بغير شراب
قد كنت بالذكرى اهيم فكيف لا ... عند الوقوف بمربع الاحباب

ومن متعلق باستار الكعبة مردد قول من سال فيها ربه

استار بيتك امن المستجير وقد ... علقتها طامعا في العفو يا باري
وقد نزلت ببيت قد امرت بان ... تاتيه للامن في العقبى من النار
واني جار بيت انت حافظه ... فارحم جواري كما اوصيت بالجار

ومن احزا دركته من ذنوبه خجله فاخذ ينشد قول الشهاب ابن ابي حجلة

سالتك كشف الضر في السر والجهر ... بحرمة هذا البيت يا مسبل الستر
لحرمته انت العليم بقدرها ... ونحن مع الاباء في عالم الذر

وتركنا الناس قائمين هنالك على اختلاف احوالهم واختلاط اقوالهم
ورجعنا الى منى ليكمل لنا ما لا ماني فيها المنى فكان نزولنا عند محبنا
الرجل الخير الفاضل الحاج محمد الرسموكي فكان كثيرا ما يبرنا ويوسع
لنا في الاكرام وينوع الارز واللحم انواعا وغالب اقامتنا ايام منى كان
في خيمته جزاه الله خيرا وفي عشية النهار ذهب بعض اصحابنا ببغلتنا
فسقاها لنا من ماء قرب مزدلفة وعلفها لنا صاحبنا ومحبنا الطالب
الالمعي الفاضل السيد سالم الصيد القهوي وبالغ في تكثير الشعير لها
جزاه الله خيرا وفي الليل اوقدت الاركاب الاشارات واظهروا ما لا يمكن
تصوره في المغرب من الاشارات وكل ركب من الاركاب يعارض غيره

وتاخذه على مايبديه صاحبه غيره ولا سيما المصرى والشامى فقد
جاوز الحد فى التسامى وكذلك ركب امير مكة المشرفة وقافلة ركب
جدة بما احدثه فى العيون وشرفه وابدوا فى المصابيح من انواع الصور
التى لا يقدر عليها من تصور فى المغرب ولا من صور واخرجوا المدافع
والمحارق واظهروا من انواع العجايب والغرايب ما لا يمكن جمعه
من اقصى المغارب والمشارق فياما اطيب هاتيك الليالى التى
نظمت هذه الاركاب فى لبة هذا المنزل انظام اللالى ويا ما اجمل
هذا الزمان الذى هو فى لبة الدهر قلادة جمان واقمنا يومنا والذى
بعده سائلين من الله تعالى ما عنده وكل يوم نرمى الجمار الثلاث على
سنتها نبتدى بالاولى التى تلى مسجد الخيف ثم الوسطى ثم ذات العقبة
وفى كل واحدة نقف جهدنا نستعطف ونسال ونستلطف وفى اثناء
هذه الايام كنت قلت ابياتا ما علق منها بالبال

قد عرفنا الخيرات فى عرفات … وضمنا من سائر الآفات
وظفرنا بما اردنا وفزنا … بعلى القصور والغرفات
وازدلفنا لربنا وجمعنا … كل خير بجمع مزدلفات
ولدى المشعر الحرام شعرنا … بقبول الاعمال والدعوات
وارتنا المنى منى ولدى الخيف … امنا من سائر المخوفات
ورمينا الجمار نطفى جمار الذ … نب فاعجب للضد فى الجمرات
وحلقنا فحلقت حولنا كم … حلقات من اضرب الخيرات
ثم طفنا افاضة حول بيت … الله جل سبعا من الطوفات
وركعنا خلف المقام فاحسن … الركوع هناك والسجدات
ورجعنا الى منى لتمام الا … منيات هناك والنيات
منزل الحماه يجتمع الاركا … ب طوا من سائر الساحات
قد زها وازدهى فليس له شبه … وما ان لحسنه من موات
وتشابهت السماء مع الار … ض لديه فى غاسق الظلمات
فالسماء بشهبها قد اضاءت … والثرى بشموعها الزاهرات

وكانت طويلة جدا فحذا السارق حسنها جدا ومن الغد استضافنا

الحاج

الحاج حمودة العريانى والحاج بوعزة بن حميدة المراكشى واكرمونا بانواع
غريبة من الطعام جمعت ما لا جزاء له الا الشكر من الانعام والانعام
ولما زالت الشمس خرجنا لرمى الجمار على الهيئة التى اشرنا اليها من الابتداء
بالاولى التى تلى مسجد الخيف ثم بالوسطى ثم ذات العقبة ومررنا
فى ذهابنا للرمى وايابنا بالموضع المعد لذبح الهدايا فراينا فيه من البقر
والغنم والابل مذبوحا ما اوسع الغنى والفقير ونال منه الجليل والحقير
حتى كان البعض من الفقرا ياخذ العشر من الغنم واكثر واما الجلد والسواقط
فلا يلقطها لا قط بل رايت كثيرا من الغنم غير مسلوخ حتى رحل الناس
وبقيت لاستغناء الناس عنها ونيلهم فوق الحاجة منها وكان الفقراء
يبيعون ما اخذوه بابخس ثمن ومع ذلك فضل عنهم ما اعجز الوحش والطير
والهوام وعم الخواص والعوام ضيافة الله الملك الحق الذى لا يقدر
احد على كفاية خلقه سواه فقد اجتمع من افاق الارض اصناف من الخلق
لا تكاد تحصى اغنياء وفقراء فاكل الكل من ضيافته ما لكهم وتزودوا
ما قدروا وفضل من ذلك ما ملا الطرقات والمرجو منه سبحانه بل
المحقق من كرمه تعالى كما عم وفد بالضيافة المحسوسة التى سوت بين
الفقير والغنى ايام الضيافة كذلك او اعظم يعم عبيده بالضيافة
المعنوية ويقابلهم بالمغفرة والعفو والقبول حتى يسوى بين المسىء والمحسن
ويعطى كلا من عباده فوق ما يخطر بالبال ويجبر بالستر كل عظم بال
بمنه وكرمه فما اسعدنا به تعالى من رب جواد محسن متفضل لا اله الا هو
ملك الملوك ورب الارباب وطرقت سوقا يقصر القلم دون وصفها
ولا يبلغ معشارها فضلا عن نصفها جمعت من انواع البضايع ما ليس
بضايع والناس يتزاحمون فيها على البيع والشراء ومعاطاة التجارة
رجاء بركة ذلك المكان ويحصلون ما امكن وما جاز حدا لا مكان
واكثر التجار يقولون ان من اشترى شيا من منى وجعله فى تجارته وجد
بركته وظهرت له ثمرته وذلك غير مستبعد فانه موسم شريف ومحل بركة
ياتيه الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ومولانا سبحانه يعمنا واياهم

فيه من امر الدين والدنيا والاخرة بغاية الانعام ومن السوق قصدنا
مسجد الخيف لنوقع الصلاة فيه ونتبرك به ونزور القبة التي في وسط
التي يقال انها محل خيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يسمى مسجد الخيف
ويقال له مسجد علي قيل ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من بناه
وصرحوا بانه موضع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في حجة
الوداع وكنت اتردد الى هذا المسجد طول اقامتنا بمنى وقد ذكروا
ان بمنى ايات كثيرة منها رفع ما تقبل من الجمار ولولا ذلك لسد ما بين
الجبلين وقد روي عن الشيخ ابي النعمان التبريزي شيخ الحرم ومفتيه
انه شاهد حصى الجمار وهي ترفع ومنها اتساعها للحجاج مع كونها
ضيقة في الاعين ومنها كون الحداة لا تخطف اللحم بمنى ايام
التشريق مع اعتيادها الخطف ومنها ان الذباب لا يقع في الطعام
بها مع عدم انفكاكه عنه ومنها قلة البعوض ايام الحج وفي الحلول
بمنى قال الشهاب ابن ابي حجلة وقد ظفر بالمنى

شكرت الهي بعد حلقي في منى — بيوم حمدنا في صبيحته القرا
ولو ان لي في كل منبت شعرة — لسانا يبث الحمد كان مقصرا

ولـه

بلغت مناي في منى من الهنا — ولم اخش من قرع الذنوب بها اصلا
ونلت مع التقصير والحلق عفوه — كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وقال الصلاح وقد ظفر عند رمي الجمار بغاية الصلاح

قد رميت الشيطان في يوم حجي — بجمار في طاعة الرحمن
وعجبت ان لم يكن قد تلظى — وهي سبعون جمرة في العيان

وكنت قلت في ذلك لما حللت هنالك

بلغنا المنى لما بلغنا الى منى — وزال لعنا عنا فلم نعن بالعنا
وحصبت الاثام عند محصب — وبالخيف زال الخوف عن كل من عنا

ثم رجعت الى الخيام لا وقظ من قصد القيلولة بالنوم من النيام
فالفيتهم هبوا من النوم وخرجوا باداء الواجب عن اللوم فتغدينا
وادينا من الواجبات ما ادينا وبعثنا بغلتنا لتسقى من الظماء اذا
وردت الماء وبعث لنا علفها في تلك الليلة صاحبنا ومحبنا التاجر

الفاضل

الفاضل المحبي بكثرة ما يحب مكارم الاخلاق وسنن الافاضل ابو العباس
الحاج الشامري النازي فانه رعاه الله اكثر لها في تلك الليلة من العلف
وزادها على المعتاد فيما سلف وبتنا في تلك الليلة في عيش رغد وبتنا
ليلة ساهرة الى الغد وبالغ اهل مصر واهل الشام في ايقاد المصابيح
واتخاذ المصانع منها وصور الاشجار والاخبية والوحوش والطيور
واكثروا الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة في الجو وفعل
مثل ذلك سلطان مكة وقابله امير جده وابدوا في المعارضات
والمقابلات وهم يتجاوبون بتلك الالات ما فيه نزهة للابصار
وحيرة للابصار وتسلية للافكار ومجال للاتعاظ والادكار
والتذكر والانكار وبالجملة فليالي منى غرر في اوجه الزمان ومواسم
فرح وسرور لاهل الايمان ومحال بركة وعافية وامان يتجلى فيها الحق
لوفده بصفة الجمال جزاء على رضاهم قبل ذلك بتجلي الجلال والكمال
فهناك يستصغر المرء ما قاسى في طريقه من الشدائد في جنب ما حصل له
من النعم والفوائد ومن الغد اصبح الناس متاهبين في الارتحال حاملين
الاقتاب والارحال وبقينا هنالك حتى لم يبق في ذلك المنزل بعد
عمارته وال دفات وقت الزوال وارتحلنا متعجلين ممن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى اذ لم يخدش يعيننا على الاتمام
وطوفنا الجمار ورميناها على الكمال والتمام وسرنا نؤم البيت الحرام
دون تحصيب اذ لم يخدش سهمه لغرضه مصيب والخوف مانع من
ذلك لكثرة اللصوص والحرامية هنالك فتركنا البغلة في الموضع الذي
اكتريناه وتوجهنا للبيت الحرام نغتنم بعض ما فاتنا في المدة التي ما
اتيناه فيها ولا رايناه فان القلب ما زال يتشوق اليه من منى ويتشوق
له على قربه اذ هو المنى فالقلوب مجبولة على الميل اليه لا تكاد تصبر
ساعة عليه وهذا من خصايص هذا البيت المعظم الذي شرفه الله وعظم
فقد قال العلامة الفاسي رحمه الله في كتابه العقد الثمين وللكعبة
ايات بينات منها بقية بناء الموجود الان وهو لا يقتضي ان يبقى هذه
المدة وعدد ايات كثيرة نقلها الزين الحنبلي وغيره وعدد منها انه حين

اليه كل احد ويعطف اليه الافئدة والقلوب دون غيره من البلاد فهو للقلوب اعظم من جذب المغناطيس للحديد وفي كل وقت لا يزال شوقه على بلاء الزمان جديد

محاسنه هيولى كل حسن ... ومغناطيس افئدة الرجال

قيل وسبب الشوق اليه دعاء الخليل في واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم الاية فكلما غاب الانسان عن محاسن البيت لحظة زاد اليه شوقا وقصر عليه لحظة فهو لا يزال مشوقا اليه مع القرب منه والتفرج عليه

لا يرجع الطرف عنها حين يبصرها ... حتى يعود اليها الطرف مشتاقا

بل يشتاق القلب اليه وصاحبه به طايف رغبة فيما حواليه من اللطايف

اطوف به والنفس بعد مشوقة ... اليه وهل بعد الطواف تداني
والثم منه الركن اطلب بردها ... بقلبي من شوق ومن هيمان
فوالله ما ازداد الا صبابة ... ولا القلب الا كثرة الخفقان
فياجنة الماوى ويا غاية المنى ... ويا منيتي من دون كل اماني
ابت غليان الشوق الا تقربا ... اليك فمالي في البعاد يدان
وما كان صبري عنك صد ملالة ... ولي شاهد من مقلتي ولساني
دعوت اصطباري عنك من بعد والبكا ... فلبى البكا والصبر عنك عصاني
وقد زعموا ان المحب اذا نأى ... سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا ... دواء الهوى في الناس كل اوان
بلى انه يبلى التصبر والهوى ... على حاله لم يبله الملوان
وهذا محب قاده الشوق والهوى ... بغير زمام قايد وعنان
اتاك على بعد المزار ولو ونت ... مطيته جاءت به القدمان

قال الزين الحنبلي ان قيل ما الحكمة في ميل الخلق الى الكعبة الشريفة قيل انه لما خلق الله الارواح وتكاثرت عليها العلوم غشاها الماء الكوني للراحة من تزايد تلك العلوم فكان اصل الكعبة طائفا على الماء كالخشبة تجرمت مع ذوات الارواح فكانت الارواح معها تلك النسبة من القدس وانشد

محبة ما عرفت الدهر سلوتها ... تجري مع الروح او تسري مع النفس

ومالها آخر لكن اولها ... تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر ناجاني البشير بها ... اهلا بمثبتها طهرا من الدنس
اشهى الى النفس من امن على وجل ... ومن مجال الكرى في الاعين النعس

قال ثم استمرت على القدسية لانها من عالم الريحان فالارواح تشتاقها لذلك وانشد

يا كعبة ملأتنا ... شوقا يسوق العزايم
كم ذا القلوب اليها ... مثل الطيور حوايم

وانشد ايضا

لله بيت علا في الارض منزلة ... يكاد يحسده من اجلها الافق
تداودعت فيه اسرار الهوى فلذا ... تراه يلثم اركانا ويعتنق

قال فهي تكاد تفضل الحجر لانها تجرمت من الماء قبل الجنة والحجر من الجنة وانما اعني عرصتها وهواءها واما احجارها فحادثة قال وسئل بعضهم ما الحكمة في ان المشاهد للكعبة المعظمة اذا فارقها يزداد شوقا وكذلك كل مواصل اذا فارق محبوبه ازداد شوقا فاجاب بانه لما فارق صار يشاهد بالروح بعد ان كان يشاهد بالعين ومشاهدة الارواح اقوى من مشاهدة الاجرام فيقوى حبه بقدر شهوده وهذا كلام بديع في معناه دال على ان قايله قصده مولاه بالعناية وهناه فدخلت على باب السلام وبادرت للطواف في سكينة ووقار كما اشترطه علماؤنا الاعلام اذ عدوا من جملة خصايص البيت انه لا يدخله احد الا متواضع عاري الاطراف مقبل على رغبة مولاه فيما صدر منه من الاسراف اذ لا يحسن الاعراض في مثل هذا المقام والاشتغال بما لا يعني من موجبات الانتقام

يا من يطوف ببيت الله في الجسد ... والجسم في بلد والروح في بلد
ماذا فعلت وماذا انت فاعله ... مبهرج في التقى للواحد الصمد
ان الطواف بلا قلب ولا بصر ... على الحقيقة لا يشفي من الكمد

ولذلك كرهت الاقامة في الحرمين مع اشتغال البال بغيرهما والتشوق للبلدان والاعراض عن خيرهما كما قاله الشيخ خليل في مناسكه وغيره من الايمة لان اشتياق الانسان من الحرمين وهو في بلده يثاب عليه بخلاف اقامته في الحرمين وقلبه متعلق ببلده ومشتاق اليه وقد ذكر الغزالي

فى الاحياء فى فضل الاقامة بمكة وكراهتها عن وهيب عن الورد المكى قال
كنت ذات ليلة عند الكعبة فى الحجر اصلى فسمعت كلاما بين الكعبة
والاستار يقول الى الله اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى من الطائفين
حولى من فكهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك
لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قلع منه وقيل

يطوفون بالبيت العتيق تقربا … اليك وهم اقسى قلوبا من الصخر

فالواجب على الانسان فى حالة الطواف القيام على حد الادب ولزوم
السكينة والوقار واجتنابها فى ذلك الوقت من كل حدب ويعلم انه فى عدد
من تباهى به الملئكة ويتسبب فيما يعلى له عند الله منزلته فى الجنة والارائكه
فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليباهى بالطائفين
الملئكة وكنا نكثر من الطواف مدة الاقامة رغبة فى دار المقامه
وجريا على ما اختاره ائمتنا من ان كثرة الطواف للغرباء افضل من
الصلاة كما صرح به الرازى وغيره فى تفسير قوله تعالى وطهر بيتى
للطائفين والعاكفين والركع السجود قال فهذه الاية دالة على
ان الطواف للغرباء افضل وان الصلاة للمقيمين افضل وانشد الزين
الحنبلى للشريف موسى الخطاب

ظفرت من الطواف ببيت رب … باوقات لها فى القلب حظوه
فمن لى بالخلاص ولو بشوط … ومن لى بالقبول ولو بخطوه

وكنت اطوف عند نزول المطر رغبة فى نيل الوطر وجمعا للبركات
فى تلك الحركات فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم من طاف اسبوعا فى
المطر غفر له ما سلف من ذنوبه وعند نزول المطر فى حالة المطاف
كنت كثيرا ما اقرا القران رغبة لما فيه من خفى الالطاف لا جمع البركات
المنصوص عليها فى كتاب الله تعالى الدانى القطاف فقد قال العلامة
المحدث الرحلة ابو عبد الله ابن رشيد الفهرى رحمه الله تعالى فى رحلته يستحب
تلاوة القران فى الطواف عند نزول المطر لما يرجى من اجتماع البركات
التى وردت فى الايات الثلاث وهى قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس
للذى ببكة مباركا وقوله كتاب انزلناه مبارك وقوله وانزلنا من السماء مباركا

ماءً

ومع ذلك استشعر الذلة والصغار ولا انظر فى تلك الحضرة العظيمة
كبيرا ولا اكابر فيها كلهم صغار

ونحن الموالى فى البلاد جميعها … وفى حى ليلى من اقل عبيدها

وكنا اذا اشتد الحر وحمى الوطيس وحر ملنا الاكثار من تقبيل الحجر الذى
قصر الله تعالى الحسن عليه وحجر فان لتقبيله فضايل اشتهر بها الاواخر
والاوايل واعظمها انه يكفر خطايا من يلتمسه ويشهد له يوم القيمه
كما وردت الاحاديث صحيحة فى ذلك فى الامهات الحديثية كصحيح ابن حبان والترمذى
وغيرهما اقول وقد زوحمت عن لثم اسود … من الشرانى يحجب فما البيت يحجب

فانك منى بالمحل الذى به … محل سواد العين وانت اقرب

وقال الصلاح

الى سيد الاحجار فى الحرم الذى … قضى الخالق البارى بتعظيم شانه
حثثنا مطايا الشوق والسوق فى الفلا … فجاءت بنا انسان عين زمانه

وقال ايضا تقبيل ذاك الحجر الاسود … يصدع عن حر قلبى الصدى
فى الكعبة الغراء خال من الند على … صفحة خد ندى

وقال ايضا وقد فاضت عليه بحار المعانى فيضا فاستطرد بعض
علاماته واياته ونشر على الادباء بذلك راياته وصدر بذكر
الكعبة وجمالها وما حازت بتسويد الكسوة من كمالها

اذا لاحت لنا ذات الستور … فاهون بالشموس وبالبدور
لان جمالها فى العين احلى … واعلق بالقلوب وبالصدور
سواد ستورها يحكى سناها … كليل زين بالشعرى العبور
وما للصب ان وافى حماها … سوى حسن التادب من ظهير
وتعفير الخدود على ثراها … واسبال الدموع على النحور
وادمان الخضوع بلا ملال … بقلب من خطاياه كسير
وتكرار التملى بالتجلى … ليرجع وهو ذو بصر حسير
الم تر خالها المسود اضحى … يفوق على الصباح المستطير
تقبله الطوائف طافات … فيا شرف المباسم والثغور
تكون درة بيضاء لكن … تسود من ذنوب اولى الفجور

فيا ويح القرامطة الذين … استطالوا بالعتو وبالفجور
لقد نقلوه عدوانا وظلما … الى هجر وجدوا في المسير
اتوا امرا عظيما فاستحلوا … بذلك حرمة الامر الخطير
تغوب عندهم عشرين عاما … ثلث عامين من بعد الكسور
ولكن المطيع شراه منهم … بخمسين الف دينار نضير
وجاء لاخذه ابن حكيم … وكان بامره عين البصير
ومن خبث ومكر شبهوه … بآخر فعل بهتان وزور
وجاؤا والعبير يضوع منه … وقد لفوه في خرق الحرير
فردوه الى ان كان حقا … واوضح ذاك بالعلم الضروري
وقال لنا اما يرفيه جاءت … رويناها باسناد شهير
علامته على الامواه يطفو … ولا يسخط من نار السعير
ويحكى ان اجمالا ثلاثا … تنحى عنده تحت المرور
وحين اعيد جاء على بعير … ضعيف طاب هذا من بعير
اقبله لعل فمي يلاقي … مكانا فاز بالهادي البشير
محمد الذي ساد البرايا … واجمل طلعة القمر المنير
تقدم انبياء الله طرا … وان لك جاء في الزمن الاخير
فكل في السيادة مد باعا … ولكن ضاق فتر عن مسير
وجاء بشرعه عمت وطمت … اياديها بتضعيف الاجور
فراح فقير امته يساوي … بفعل البر اصحاب الدثور
ونال المومنون علو مجد … واهل الكفر خصوا بالدحور

وذكر ابو عبيد البكري في كتابه المسالك والممالك ان الله عز وجل رمى القرمطي بعلة في جسده فطال عذابه حتى تقطعت اوصاله واراه الله عز وجل في نفسه عبرة ومن فضايل الحجر الاسود ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبله فاضت عيناه وقال ههنا تسكب العبرات يا عمر ليس معناه كما تفهم وانما معناه ان الحجر يمين الله في الارض وضع لمبايعة الخلق مع الله تعالى فمن بايعه مبايعة صحيحة كان شاهدا له يوم القيمة فهو كالشجرة في مبايعتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو افضل من الحجر بالاجماع لانه افضل

عالم الحضرة القدسية فضلا عن الكونية فلما قبله النبي صلى الله عليه وسلم بذل العبودية وقال ههنا تسكب العبرات اي عبرات ذل العبودية حتى تخضع لمن دونها

وضعت خدي لادنى من لطيفكم … وضع احتقار وما مثلي بمحتقر
ومثله … لا تعني الا بيا عبدها … فانه اشرف اسمائي

فلهذا فهمها عمر فقال عند تقبيله اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت محمدا يقبلك لما قبلتك

في الحجر الاسود كم اودعت … اسرار انس من علوم الغيوب
تزدحم الافواه في لثمه … كانما تلقط قوت القلوب

وفي معناه

للحجر الاسود كم لاثم … وساجد مرغ فيه الجباه
تزدحم الافواه في ورده … كانه ينبع ماء الحياة

وفي معناه

للحجر الاسود سر خفا … وقد بدا للعين منه شهود
عليه قد ضمت قلوب الورى … لانه اسود قلب الوجود

قال الزين الحنبلي والحكمة في تسويده دون غيره العهد الذي فيه والميثاق وهي الفطرة التي فطر الناس عليها وكل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه فقلبه الذي كان ابيض وهو على العهد والميثاق الذي فطره الله عليه اسود بالشرك فناسب سواد الحجر ذلك فان قيل لم لا يبيضه توحيد اهل الايمان قيل انه لو بيضته حسنات المومنين لبقي على اصله ولم يتحمل عنا خطايانا ولم يكن له فضل علينا بالتحمل ولا منة ودفع المفاسد عنا اقوى من جلب المصالح له اذ لا حاجة له بمنتنا لانه لما كان الله تعالى منزها عن الجارحة نزل الحجر الاسود منزلة يمينه وصار استلامه كتقبيل يد الملك المنعم بالقرب منه وقد قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا الاية قلت واصل هذا الكلام الاخير للشيخ ابي المودة خليل في مناسكه واوما اليه جماعات كما سبق ايماء اليه وقيل ان السواد صار كالحجاب فالسواد لا يصبغ ولا ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ وبقاء سواده فيه اشارة الى العلم بان الخطايا اذا كان لها هذا التاثير في مثل هذا الحجر خصوصا وهو ليس من احجار هذه الدنيا فتاثيرها في القلوب اعظم ويشهد لذلك قوله

تعالى كلا بل ران على قلوبهم الاية واحاديث في معناها مذكورة في التفاسير
اوردها السيوطي وغيره والله اعلم واذا تمتعت من الحجر الاسود
بالتقبيل ملت الى الركن والمقام في اوضح سبيل لاغتنم بعض اجور
ذلك اذا وقفت هنالك فقد خرج ايمة الحديث رضي الله عنهم عن
مجاهد مرفوعا ياتي الركن والمقام يوم القيمة كل منهما مثل ابي قبيس يشهد ان
لمن وافاهما بالموافاة الشهاب ابن ابي حجله

ياسايلي عن مقامي بالمقام عسى حلوت كاس مدام عند مغتبق
لله برق به امسيت ارمقه لم يبق في ولا فيه سوى الرمق

واميل الى الحجر فيحجر على محاسنه مني اللب والحجر واشرع املا من
الصلاة فيه الاحكام والحجر ولم لا افعل ذلك وغفران الذنوب
مضمون بالصلاة هنالك فقد خرج ايمة الحديث رضي الله عنهم
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي هريرة يا ابا هريرة ان على باب الحجر ملكا يقول لمن دخل فصلى ركعتين
مغفورا لك فامض فاستانف العمل

طوبى في طوافي الله لي منه لذة اذا نشرت بشرت عسري باليسر
وكم حسنات فاض في الحجر درها وسال بها الميزاب حتى املا حجري

وكم مرة ملأت حجري بماء الميزاب حول الحجر وتلقيته بالفم والاكف والحجر
وربما حدا بي حادي الشوق وزمزم الى التضلع من شرب ماء زمزم فانه
الماء الشريف الغني بمزاياه الشهيرة عن التعريف وقد ذكروا لبئر زمزم
فضايل عديده وماثر مديده مروية عن النبي عليه الصلاة والسلام مجربة
بين الاسلام فمن ذلك ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم خير ماء على وجه الارض
ماء زمزم اخرجه ابن حبان والطبراني وغيرهما ومنها ما ورد عن ابن عباس
رضي الله عنهما مرفوعا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتحف الرجل
بتحفة سقاه من ماء زمزم ومنها ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ماء
زمزم لما شرب له وانشد الزين الحنبلي لبعض الادباء

وليل ببطحاء الحمى قد غنمته وطائر انسي بالهنا قد ترنما
وطاف بكاسات الاماني ودنها فطيب عيشي في المقام وزمزما

وانشد

وانشد غنمنا عند بيت الله عيشا وقمنا في مقام هنا امين
ودار بماء زمزم لي نديم وطاف لنا بكاس من معين

وانشد لزمزم نفع في المزاج وقوة يزيد على ماء الشباب لذي فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ولو ان ماء النيل يجري على المسك

وروى بعضهم انها تقوم مقام الطعام والشفاء ولذلك قال
بعض من صدق له بها الاستشفاء

شفيت يا زمزم داء السقيم وانت اصفى ما تعاطى النديم
وكم رضيع لك اشواقه اليك بعد الشيب مثل الفطيم

وقال بعض من اطراها واكثر ان ماءها يفضل ماء الكوثر
ولذا قال من سوى بينهما في المقال

يا زمزم الطيبة المخبر يا من علت قدرا على المشترى
رضيع اخلافك لا ينتهي فطامه الا لدى الكوثر

وقد ذكروا لزمزم اسماء تنيف على خمس وعشرين نبه عليها الزين الحنبلي
واوما الى بعضها التقي الفاسي وغيره وكل من شرب منه اشتاق له ولم يستغن عنه
بالله قولوا لنيل مصر بانني عنه في غناء
بزمزم العذب عند بيت محقق الستر بالوفاء

وعدد الزين الحنبلي وغيره لبئر زمزم ايات بينات غنية عن اقامة
الحجج واثبات البينات منها ان ماءها يقوم مقام القوت ولذلك
عدوه طعاما وعليه بنى جماعة من علماء المذاهب فمنعوا الوضوء به
والاستنجا وغير ذلك مما يودي لاستعماله في القذرات كما صرح به
في امهات الفروع ومنها انه لما شرب له كما وردت بذلك الاحاديث
الصحيحة فمن شربه ناويا به مطلبا من المطالب فانه ينال على كل حال ذلك
الامر الذي هو له طالب ومنها ان الله خصه بالملوحة ليكون الباعث
عليه الملح الايماني ولو جعله عذبا لغلب الطبع البشري وبهذا يرد على ابي
العلا قوله لك الحمد امواه البلاد باسرها عذاب وخصت بالملوحة زمزم
ومنها ان ماءها يعظم في الموسم ويكثر جدا كما هو مشاهد بالعيان
ومنها ان المياه العذبة ترفع قبل يوم القيمة غير زمزم الشهاب ابن ابي حجلة

لزمزم بئر غدا ماؤه   ببرده يطفئ حر الاوام
تزدحم الناس على شربه   والمنهل العذب كثير الزحام

وقال غيره   وقد فاض عليه من زمزم خيره

حمدت الهي اذ بلغت مرادي   بام القرى مستمسكا بعماد
وقد رويت من ماء زمزم غلتي   فلست بمحتاج لماء ثماد

وربما اشتد حر القيلولة فعمت الشمس جوانب البيت وطلوله وحمي الوطيس في المطاف فعسر المطاف فاميل الى ساطين السقايف المحيطة بالبيت المشرف واخذ في تامل ذلك الجمال الذي عظمه مولاه وشرف لاحصل ما اعد الله للناظر الى الكعبة من جزيل الثواب على النظر الى بديع ذلك المنظر فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النظر الى الكعبة عبادة وفي رواية انه كعبادة العباد وانه افضل من الصوم والصلاة والجهاد وورد ايضا ان الناظر الى الكعبة كالمجتهد في العبادة في غير مكة من البلاد وروي انه يعدل عبادة سنة وروي ان من نظر الى الكعبة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تفتح ابواب السماء وتستجاب دعوة المسلم عند رؤية الكعبة

فعوا واحتلوا من كعبة الله منظرا   فما لفوات منه في الدهر تعويض
وقد لبست سود اللباس تواضعا   وكل ليالينا بانوارها بيض

لم لا احصل هذا الاجر الجزيل ولم يقدر على ان يمنع منه مانع ولا يزيل عنه مزيل بل ورد فيه اكثر من ذلك ينبغي ان لا تتركه وراء فذلك فقد ورد عن عطاء بن رباح رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول النظر الى الكعبة محض الايمان وعنه ايضا النظر الى البيت عبادة والناظر الى البيت بمنزلة الصايم القايم الدايم المخبت المجاهد في سبيل الله تعالى وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه يرفعه من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته امه ولله در القايل

يا كعبة الله ان دني   ايانه فيك بينات
وحيث ما كنت يا مناي   فلي الى وجهك التفات

لم

لم لا اميل الى ذلك الوجه الحسن وقد طالما فارق عيني شوقا اليه الوسن ولم لا اتمتع بالنظر اليه وجميع الخطايا تعوض بجزيل العطايا عند الورود عليه محل الامن والامان ونزهة اهل الاسلام والايمان

رجوعا الى المولى فهذا زمانه   وطرحا على الابواب هذا مكانه
وطف حول بيت الله للعفو راجيا   وتب واسال الغفران هذا اوانه
فمن جاء هذا البيت يرجي قبوله   ومن خاف مكروها ففيه امانه
اما انه بيت الكريم ومن اتى   فناء كريم لم يفته حنانه

نعم هو بيت الكريم الذي اختص بني ادم بالتكريم ونصبه لهم رفعا لمقدارهم اذا جزموا بالتوجه اليه وتركوا خفض عيشهم في ديارهم وفضله على جميع البقاع عدا البقعة التي ضمت اعضاء الرسول عليه السلام فهي بالاجماع اشرف من كل قاع وقد ذكر الامام ابن جماعة لتفضيل البيت على مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وجوها كثيرة تنيف على اثني عشر وارجحها وجوب قصده للحج والعمرة دون المدينة النبوية وايدوا ذلك بما ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عاد الى مكة استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت فقد صححه جماعة من ايمة الحديث واقول انه لا يعين لافضلية على المدينة لما روي من فضلها وشرفها ايضا بسكناه عليه الصلاة والسلام لا يقال ان ظاهر الحديث العموم فيشمل المدينة وغيرها لانا نقول ورود الاحاديث في فضل المدينة ايضا صريح في افضليتها وعدم التصريح باستثنائها في هذا الحديث يمكن ان يكون النبي عليه السلام بجنبه تواضعا منه وتعليما للامة بوجوه الادب لان افضلية المدينة انما هو بسكناه عليه السلام فيها وبسط الاشكال والجواب عنه لا يخفى عمن له ادنى مسكة بالعلم مع الاطلاع على بعض ما شرف الله به نبيه وليس هذا محل بسطه وانشد ابن الحنبلي عقب ما خاطب به الرسول البيت قول الشاعر

هذي الديار التي قلب المحب به   شوق اليها وتذكار واشجان
وانة وحنين كلما ذكرت   ولوعة وشجى منه واحزان

وصرحوا بان من وجوه افضلية الكعبة كونها فى الفلك فى المتوسط من الدنيا
ووسط كل شى احسنه   وانشدوا

لو لم يكن وسط الاشياء احسنها   ما اختارت الشمس فى افلاكها الوسطا

واقول انهم اذا ارادوا بالتوسط انه نقطة الدنيا وانها مستوية
فى جميع جوانبه ففيه نظر غير خاف عن العارف بامور التعديل كما هو مبسوط
مقرر فى محله وذكروا المكة اسماء عديدة يكل دونها الحصر فيا ما احلى النظر
فى ذلك البيت الشريف ويا ما احلى جمال تلك الكسوة السوداء الحايزة
بسوادها غاية التشريف ويا ما احسن الحالة التى يجددون فيها له
الكسوه ويا ما اسعد من حصل له فيها بمصطفاء اشوه

يا حسن بيت الله وهو مجرد   ولنا الهيبة نوره اطراق
فكسوه اسود والقلوب تودلو   ضمت عليه نسوادها الاحداق

ويا ما احسن الطوايف   التى تكون عليها طوايف

كعبتنا قد اصبحت   بنورها مخلقه   تهب من اركانها   رياح عشق عبقه
فصيرت قلوبنا   بالوجد كالمطوقه   وغادرت ارواحنا   بعرشها معلقه
مليكة بجوهر الذ   كر غدت ممنطقه   والطايفون حولها   جنود تلك الحلقه

ويا ما اكثر امنه للخايف   اذا كان بنواحيه خير طايف

حمانا من مخوف الدهر بيت   له بالذكر اركان وسقف
محوط بالسرور وبالتهانى   عليه البشر والاقبال وقف
نزلنا فى فناء منه رحب   به للامال ليس يحق خلف
فارشفنا من الرضوان ماء   يزيد على المراطبا ويصفو
والبسنا من الاكرام ثوبا   له بالامن والاسعاف سجف
يصد عدونا الشيطان عنا   ويتحفنا ملايكة تحف

ويا ما امنع حما بيت لا يعلوه الحمام   وانما يطير فى جوانبه خلف وامام
ويا ما اذهب الورود من سقاية العباس لكل باس   ويا ما اشد
فوز الوافدين على البيت الحرام بغاية المرام   ويا ما اشوقنى الى هذه
الاماكن وانا بينها متردد وفيها كامن   ويا ما انشدنى للاشعار
اذا احدا اليها حادله بالادب اشعار فاقول له اذا لاحت محاسن

الكعبة

الكعبة التى جلبت قلوب البشر واطمان الفواد بالاقبال عليها واستبشر

يا سايقا عنق النياق وزمزما   البشر فقد جيت المقام وزمزما
كم كنت تذكر فى منازل مكة   وتقول ان بها المنى والمغنما
برد بماء سقاية العباس ما   كابدته طول الطريق من الظما
وانهض فهرول بين مكة والصفا   وادخل الى الحجر الشريف مسلما
ومقام ابرهيم زره مبادرا   والحجر اسمعيل صل معظما
وانظر عروس البيت يجلى حسنها   للناظرين فلذ بها مستغنما
فهى التى ظهرت فضايلها فلا   تخفى وهل يخفى سنا قمر السما
ومن العجايب انها محروسة   والصيد فيها لا يزال محرما
والطير لا يعلو على اركانها   الا ليشفى ان غدا متسلما
تختال فى حلل السواد وبابها   بالنور دام مبرقعا وملثما
هى كعبة المولى الكريم وكل من   وافى اليها حقه ان يكرما
ما منهم الا ذليل خاضع   باك على زلاته متندما
يا رب قد وقفت ببابك عصبة   يرجون منك تفضلا وتكرما
ذا طالب فضلا وذا متفضل   مما جناه من الذنوب وقدما
فاقبلهم وانلهم منك الرضى   وتجاوز اللهم عمن اجرما

لم لا تغفر الذنوب بهذا الحرم وهو منهل الجود والكرم ضمن الله تعالى
كل من جاء قاصده وبلغه مقاصده فقد خرج ايمة الحديث عن جابر بن
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا البيت دعامة الاسلام
ومن خرج يوم هذا البيت من حاج او معتمر كان مضمونا على الله عز وجل
ان قبضه ان يدخل الجنة وان رده ان يرده باجر وغنيمة وقد سبق فى
المقدمة الاولى من هذا المعنى ما اقنى واغنى هذا غالب ما كنا نصنعه
غالب مدة الاقامه فى هذا البيت الذى اسسه الله تعالى على التقوى
واقامه وبعد رجوعنا من منى اقمنا يومين وخرجنا للعمرة واحرمنا لها
من التنعيم لتعذر الجعرانة من كثرة الخوف وقلة الرفيق واتيناها
ليلا لكثرة ما كان من الحر ومع ذلك بانت الطريق من مكة الى التنعيم كانها
سوق واحدة ولما وصلنا الى موضع الاحرام اغتسلنا وصلينا ركعتين

في ذلك المسجد الذي يعبر عنه الحجاج بالعمرة وهو التنعيم وتوجهنا الى مكة رافعين الاصوات بالتلبية حتى وصلنا الى المسجد الحرام فطفنا وسعينا وحلقنا وتمت عمرتنا ولله الحمد سبحانه لا رب غيره بعد نحو النصف من الليل وبقينا طول مدة اقامتنا ونحن نكثر الطواف والنظر الى الكعبة المنورة ونتمتع بالنظر الى جمالها الاسنى وبهجتها الحسنى ونتضلع بالشرب من ماء زمزم بل كنا لا نشرب غيره اصلا رغبة في حصول بعض فوائده ونلازم على جميع ما اشرنا اليه من انواع العبادات من الصلاة وغيرها بل كنا نحافظ على ايقاع الفرايض كلها بل وغالب النوافل ايضا في البيت ولله الحمد لا رب غيره ولقينا هنالك صاحبنا الفقيه العلامة المشارك الحافظ الدراك ابا عبد الله محمد بن عبد الله الفيلالي وولده الانجب ابا عبد الله السيد محمد جاء بنية الحج والعمرة من المدينة المنورة فهش لملاقاتنا وبش واكرمنا اكراما زايدا وكان يتفقدنا ويتعهدنا بالطعام وغيره مع كونه لا اهل له بمكة جزاه الله خيرا وكنا نجول معه في مسايل متنوعة من الفنون العلمية نحوا وفقها وبيانا وحديثا وغير ذلك والفت معه جماعة من طلبة الهند فاخذ يثني لهم علينا ويبالغ في الثناء بالسعة في العلوم لانصافه واراد به نفعنا وان كنا لسنا اهلا لما قال جزاه الله خيرا وسالني ان اقريهم طرفا من تفسير البيضاوي فتعللت له باني لست بتلك المثابة وباني لا كتب لي ولا حواشي استعين بها على ذلك وانه لا يصلح ان نتقدم عليه لشهرته هنالك ومعرفة الناس به فابى ان يقبل ذلك وما زاد الا اقراه وما قصد الا انتفاعنا فقط فساعفناه بذلك في تلك الايام التي انقضت كالاحلام وكان يحضر هو وولده وناس كثيرون وذلك كان لنا سببا في نيل مقتضياتنا الدنيوية دون كلفة فبلغه الله ما اراد وان لم اكن قبل فهمت ذلك المراد وطالع جملة وافرة من كتابنا شرح نظم الفصيح فاعجب به اعجابا كثيرا واستغرب فوائده وكتب لنا عليه نحوا من خمس اوراق بالغ فيها بالثناء عليه وعلى مولفه بكلام حسن رائق غير ان ما كتب الي ضاع لي مع غيره من الاوراق

وكثيرا

وكثيرا ما عز علي ولقيت ايضا بمكة رجلا مسنا اعمى سماه لنا اصحابه بالشيخ محمد الاسكندراني ورد علينا مرارا واختبرناه فاذا هو رجل شاب فشبت خصلتاه وعمي قلبه لما عميت مقلتاه طال امله واشتد حرصه ونقص كماله وكمل نقصه اذا تكلم ملأ الدنيا دعوى واطال بلا طايل ولا جدوى يفخر بالذهاب للملوك للارفاد ولا يصرف الهمة لمن افاد ولا لمن استفاد يكثر النظم في الرجز دون غيره من البحور ويستحضر جملة وافرة من السير والحديث على ما بها من القصور ومع ذلك نجده كثير الجدل والعناد شديد الغلظة والغلط على العباد يزعم انه وانه وما علم ان امثاله جديرون ان يثنوا انه بعد انه ومولانا سبحانه يجبر كسرنا وكسره ويطلق من هاتيك الدعاوي العريضة الكاذبة اسره ولقيت من علمائها الشيخ محمد بن محمد قاضي زاده الانصاري الشهير بالقاضي عيد ورد علينا اولا ودعانا الى داره فاسعفناه رغبة في ادخال السرور عليه واغتناما للدعوة لانه رجل طعن في السن جدا يناهز المائة مع تعلقه باسباب العلم وتمسكه باذيال الحلم وخضنا معه في مسايل علمية متنوعة الى عربية وحديث وادب وغير ذلك وقد شاهدنا من احواله سمة الصلاح لما راينا من اكثاره للذكر واعلانه بالحمد والشكر وذكر لنا انه من ذرية ابي ايوب الانصاري خالد بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لقب القاضي عيد لانه ولد يوم عيد الفطر واطلعنا على مولفات له بديعة في فقه الحنفية منها جواهر المتحلي على منية المصلي تاليف سديد الدين الكاشغري وهو تاليف جامع لجميع ما يتعلق بالصلاة على مذهب النعمان مستوعب لفروعها واصولها وقد تتبعه القاضي عيد بالشرح وجمع فيه مجلدين كبيرين ثم اختصره في مجلد كبير سماه حلية المتحلي ومنها تلخيص الحقايق في شرح كنز الدقايق ومنها حسن السلوك على تحفة الملوك ومنها الاحرا في احكام الخلع والابرا ومنها تاليف في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومنها آخر في المعراج ومنها آخر في فضايل شعبان ومنها الفيض الصمداني في شرح الكيداني وهو تاليف في احكام

الصلاة خاصة على مذهب النعمان ومنها نحو العشرة مولفات في المناسك
الحنفية من مائة كراسة الى عشرة كراريس وطلب منا ان نكتب
له على بعضها تقصدا للتبرك لحسن نيته واخلاص طويته فساعفناه
بذلك وان لم نكن اهلا لسلوك تلك المسالك جبرا لخاطره واستدامة
لمودته ودعائه واحضر لنا ولديه الشيخ حنيف الدين والشيخ
زين العابدين وكلاهما له معرفة وحسن خلق والاول هو النايب
عن والده في التدريس بالحرم الشريف ورأينا الشيخ ابا العباس
احمد بن حجر مدرس قبة الشمع من الحرم وهو رجل لا باس به له معرفة
بالحديث كاسلافه رحمهم الله ورأينا الرجل المسن الصالح الشيخ
جعفر الفايض بكرم اخلاقه على الجار وهو جعفر ذهبت اليه الى
داره بناحية باب العمرة احد ابواب الحرم الشريف فالفيته في سن عالية
وله اخلاق كريمة واسعة وحسن ملاقاة فاكثر من الترحيب بنا
واظهر من التواضع ما يرفعه الله به وخاطبني مخاطبات لطيفة حسنة
وله مكاشفات ومعرفة تامة ووجهه ظاهر البشر والطلاقة وحسن
خطاباته تكمل اخلاقه وسالناه الدعاء لنا ولاحبابنا ومعارفنا
شرقا وغربا فبالغ في الدعاء لجميعهم تقبل الله منه ورأينا الشيخ ابا
محمد عبد القادر بن يحيى الحنفي اليمني احد خطباء الحرم وايمته وهو رجل
له اخلاق حسنة وسمت حسن مع حسن خطابته ولطافتها وفصاحة
لسانه ورقة صوته وتودده وكان يبدي خطبا محبرة جامعة لاشياء
بهامع اتقان الحفظ ومراعاة المعنى واللفظ ورأينا غير هولاء
من لم نعرف اسماءهم ولم نشرب ماءهم وفي اثناء هذه الايام
ورد علينا سوال قال فيه السايل ما يقول مولانا الامام العلم الهمام
شيخ مشايخ الاسلام وحامل شريعة النبي عليه الصلاة والسلام استاذ
علماء المغرب وشيخ ايمة المشرق ومحلي بفرائد فوائده في جميع الافاق
كل مفرق صاحب العلم الذي طبق الكلام والمفاصل والفتاوى التي
حكمها بين الحق والباطل فاصل والتآليف التي وصفها بالاجادة
من باب تحصيل الحاصل مولانا شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن الطيب

المغربي

المغربي الرحلة الواصل ابقى الله بركته واسعد سكونه وحركته
في مسئلة الشرب من الميزاب فانه من الذهب فما تقتضيه قواعدكم التي
مال اليها رايكم السديد وذهب فقد اشكل علينا ذلك ولم ندر
ما نسلكه فيه من المسالك فحققوا النافية القول وبينوه واوضحوه وعينوه
من كان يسال ربه امنيته فالله اسئل ان يديم لك البقا
والسلام عايد على سيادة مولانا ورحمة الله وبركاته وكنت
اجبته جوابا يناسب سواله في بلاغة الاسجاع ويشفي ببلاغته
ما تحدثه ادواء الجهالة من الاوجاع ولكن سرق الجواب في الرحلة
وبقي السوال في بطاقة محفوظة في الجيب لانه كان عندنا من انفس
نخله وحاصل ما تضمنه الجواب ان الميزاب تجاذبه امران الجواز
بالنسبة لتعظيم البيت وتبجيله اذ ذلك هو المراد منه ولم يقصد الانتفاع ع
به في شيء من الاشياء والحرمة بالنسبة لكونه ذهبا واستعماله حرام
على ذكور هذه الامة كما هو مقرر في امهات الفروع ثم ملنا الى جواز
مناولة الماء منه لما راينا من استسهال ذلك وخفته اما اولا فانه
ليس آنية معدة للاستعمال وليس له وجه ينتفع الانسان به منه
وانما هو بمثابة الخشبة التي تجعل على السقوف ينحدر منها ماء المطر
لئلا يضر بالسقوف واما ثانيا فانه قصد منه تعظيم البيت وتبجيله
لا الانتفاع به والارتفاق في شيء من الاشياء واما ثالثا فان الماء لا يتناول
منه للفم وانما يصب على ايدي الناس وفي ثيابهم ويجمعونه في ايديهم
ويشربونه بعد ذلك وبالجملة فالامر فيه خفيف ثم رايت بعد ذلك
مثل ما قلناه للزين الحنبلي غير انه ذكر الخلاف كانه مقرر لانه قال
واختلفوا في الشرب من الميزاب فحمدت الله تعالى على ذلك وشكرته وورد
سوال اخر يتضمن استشكال اقتداء المالكي بالحنفي الذي يصلي داخل
الحجر في المغرب لانا ولمن يصليها في الحرم واختلف في ذلك راي المالكية
الذين هنالك فجلست طائفة بلا صلاة وصلت طائفة بنية النفل
وشفعتها بعد سلام الامام وصلت طائفة اخرى مع امام الحنفية مقتصرة
على تلك الصلاة واطال في تقرير الاشكال وكنت اجبت بصحة تلك

الصلاة وانه لا ينبغي التاخير عنها الى غيرها ولا اعادتها لان الاقتداء
بالمخالف في الفروع جائز اتفاقا بل قال المازري انه جائز اجماعا وهو
الذي تقتضيه الفروع والاصول لانه يرى جواز الصلاة في الحجر مطلقا
واطلت في تقرير الجواب مؤيدا بنصوص المذهب لولا انه سرق وذهب
ثم بعد ذلك وقفت على استشكال ذلك بين علماء مكة من قديم حتى وقع
في النازلة خبط كبير والف فيها ابو سالم رضي الله عنه رسالة سماها رفع
الحجر عن الاقتداء بامام الحجر وقد اوضح فيها القول وابدى من
النصوص ما يشهد له بالطول والطول وحصل فيها اربعة اقوال
اشهرها الجواز مطلقا كما هو المشهور والمبدا ولا على ما في مختصر ابن الحاجب
وخليل وغيرهما وحكى عليه المازري الاجماع كما اشرنا اليه وقال ان
الاقوال الثلاثة الاخر كلها تقتضي الجواز في هذه النازلة ايضا
وصرح بان الصلاة صحيحة على الاقوال الاربعة فليراجعه من رام
الوقوف عليه ولما راينا ذلك حمدنا الله اذ وفقنا لما وفق ابا سالم اليه
ووقعت امور ونوازل غيره لا نستحضرها مستوفاة وقد ظفرت
في هذه الديار المعظمة المشرفة والاماكن التي عظم الله قدرها وشرفه
بالرسالة التي قيدها الشيخ البكري فاسحرت لبي وحيرت فكري وهو
الشيخ محمد بن الشيخ زين العابدين احد علماء الاسلام وكبراء افاضل
المهتدين الهادين والشيخ زين العابدين هو احد اشياخ الامام ابي سالم
المتحلي بعرض مصون وعرض من الشوايب سالم وهذه الرسالة ذكر فيها
منازل الحاج الحجازية ومناهله وسقى من بحار الاداب الفايضة علله
بعدما كانت ناهله وابدى فيها من الفصاحة والبلاغة ما لا يستطيع بليغ
وصوله ولا بلاغة ووشح معاطف نثرها البليغ بمطارف اشعار
دالة على الاشعار التام والتبليغ وحقق ما في كل مرحلة من الساعات
والادراج والدقايق ودقق ما يتعلق باحوال كل مرحلة من الحقايق
وقد اثنى عليها الامام ابو سالم بما هي جديرة به من الثناء ووصف سجاعها
ونظامها بما يوجب الالتفات اليها والاعتناء ولما رايته اثبت في رحلته
منها ما جعله في اذنها شنفا وصرح بان كلامه لا يعد بالنسبة لكلام الشيخ

صنفا وفرق ما اثبته على المراحل ولم يات به على نسق واحد وهو راحل
رايت ان اثبت منها ذلك القدر واختلف على اخذه فيها لا رتضاع ما
فيها من خالص الدر واقل هذه الرحلة من حلى بداعتها بفرايد الدر ولم
امل الى افتراقها على مراحل البناد ركما فعل ابو سالم بل حثت بها على نسق
من شوب التفريق سالم لاني رايت ذلك النفي لرونقها البديع واغذب
في الاذواق من تفريق نثرها المزري بتحرير الحريري وابداع البديع
فان الافتراق غير راق وتخلط الكلام غير خال من ملام واذا
كان ابو سالم لم يعد كلامه منه صنفا وجعله في اذن رحلته شنفا
وابدى ما هو جدير به من الاوصاف ولم يشمخ انفا فاني لكلامي ان
يمزج بذلك الدر النفيس وهو ابعد منه وانقى وقد اقتصرت من
تلك الرسالة على ما اثبته ابو سالم واعرضت عن باقيها لانه من مجال
النظر غير سالم قال الشيخ محمد البكري فاول المنازل البركة المباركه
التي توحدت في مشارق انوارها ومشارع شوارع اقطارها عن المشاركه
وقصرت عن اوصاف محاسنها ذووا اللسن وجمعت بين الماء والخضرة
وقدوم الوجه الحسن فهي مخضرة الاكناف بديعة الاوصاف قد
صدحت اطيارها وتفتحت بالنسايم ازهارها وبها الخيام منصوبة
ومرفوعة والخيرات لا مقطوعة ولا ممنوعة مع وقوف اشايرها على
الاقدام يستدل بضوئها في الليل من له على القدوم اقدام كانها في جنح
الليل نجم الثريا اذا اقترنت بالنثرة او الاكليل اذا قارن الزهرة وبها
سوق يساق اليه بدايع البضايع التي يحتاج اليها المسافر في اكثر الوقايع
ما قصد نحوه قاصد الا وعاد منه موصولا بالصلة والعايد وكان هنا
النعيم المقيم مسامرنا ومسايرنا في الذهاب والاياب الى ان رجعنا الى
بركة الحاج ثانيا ولاقينا الاحباب قال الشاعر
في بركة الحج ترى نخلا زها لكن عجب
زبرجدا يحكي وما ثمارها الا ذهب
فيها نسيم رايق بلطفه يشفي الوصب
والطير فوق مائها يشدو بانواع الطرب
افيا نهاما من بركة تبلغ القلب الارب
عوذتها من طارق وغاسق اذا وقب
وبعد ما كملت الركايب واجتمع بعد التفريق بجابة النجايب وانقضى مقام

المقيل ونودي في ذلك المكان الرحب بالرحيل وحمل المحمل الشريف وفارق
المربع والظل الوريف وسار الركب سير السيل وتسابقت العيس لجهة
الخير كأنها الخيل حتى وصل الى قرب البويب المعروف بالتصغير وفي
الحقيقة هو باب الدرب ومفتاح السير فاجتمع شمل الركاب في ذلك المكان
ورجع المودع في خبر كان فاستراح الناس والبهايم واستيقظ بسهر
الليل كل نايم ثم اطعمت الجمال بعلاديق وقطع الحجاج من تلك المحطة العلايق
ومدة السير الى تلك المرحلة ثلاث ساعات مكمله ثم نادى منادي الرحيل
فسار الركب الى ان اصبح مقاربا للبير الطويل وهو المكان المعروف
بالمصانع ومطلب راحة الناس في الاقامة لولا الموانع وبه تقطير الجمال
وضبطها في سير الركوب واحتياج الماشي من تعبه الى الراحة والركوب
فيا له من يوم تقطر فيه الدموع ويطول فيه الوقوف والوقوع وتشرب
فيه الفقرا كاسات الردى لشدة ما يحصل لها من جور الجنود واعداء
العدا فامن فقيرا لا ويحتاج الى غني يسعفه والى عادل من ظلامته
ينصفه قال الشاعر

قد اتينا الى محل المصانع   فاصنع الخير فيه ان كنت صانع
وانفع الناس في كثير جميل   عل تلقى خيرا كثيرا ونافع

واعلم ان عدة درج المسير الى هذه المنزلة ست ساعات على التحرير ثم قام
دليل الركب للمسير وامر الناس من تقطيع ازمة الجمال بالتقطير فسرنا
طول ليلنا الى الاسفار واسترحنا بالوصول الى عجرود من مشقة الاسفار
فوصلنا الى بندر عجرود وماؤه ملح اجاج غير مورود فاتانا اهل بندر
السويس وعطفوا علينا انعطاف الاغصان في الميل والميس واهدوا
الينا الاحطاب للمشاعل والاغنام للماكل وعدة درج هذه المرحلة
المبهجه سبعة وثمانون درجه ثم سرنا الى النواظر وراس الوادي المنصرف
وهو واد بكثرة الرمال والكثبان قد عرف ليس به ماء ولا مرعى وانما
عيون الناس لمضيق ارجائه ترعى قال الشاعر

نزل الركب بوادي المنصرف   وعلى لقياه كم مال صرف
نحمد الله الذي جئنا له   وجميع الهم عنا منصرف

ثم

ثم سرنا الى وادي القباب وهو واد فسيح الرحاب تهيم به قلوب
الاحباب ويتذكر به عهد زينب والرباب لا سيما اجتماع الاصحاب
في مواطن البعد والاغتراب قال الشاعر

شاقنا وادي القباب المرتقى   في اسمه وهو فسيح في الربا
فوصلناه وقد قلنا عسى   بعده نأتي الى وادي قبا

وميقات السير اليه عشر ساعات على التمام وبعد ما قمنا به الى وسط
النهار تهيأنا للقيام ثم نادى المنادي بالرحيل فسرنا الى راس وادي
تيه بني اسرائل وهو واد واسع الفضا يعتبر فيه باحوال من مضى ليس
فيه ماء ترده الانام ولا ظل سوى ظلل بني اسرائل من الغمام قال الشاعر

لا تسكنن بوادي التيه منفردا   بلا دليل ترى وقع الردا فيه
فما سمعت كلاما من اخي ثقة   في الناس الا وقال احذر من التيه

ومدة السير اليه عشر ساعات حررها اهل الميقات ثم سرنا الى قلعة
نخل المحميه وتعجبنا من كثرة الفواكه الشاميه من سفرجل ورمان وعنب
على اختلاف الالوان والخيرات الكثيره وما يحتاج اليه الحج من الذخيره
والفساقي المملوءة بالماء البارد المعدة للغادي والوارد قال الشاعر

الى نخل الحصينة سر حميدا   ترى فيها المنى والخير باق
ولا تشك الظما لفقد ماء   فساقيها مقيم بالفساقي

ومدة المسير اليه ست ساعات محرره وخمس من الدرج مقدره ثم سرنا
من النخل الى وادي القريض المشهور وهو واد ينبت به الشوك عوضا
عن الزهور فكم آذى بشوكه اقدام وعطل من له على المشي اقدام ويسمى
الفيحاء لاتساع ارضه وزيادة فضائه في طوله وعرضه قال الشاعر

في وادي الفيحاء كم سائر   من غير نعل ثابت الكعب
قد صار كالحجام من شوكه   يقرقص من قرص على الكعب

وسيرها اثنا عشر ساعة كامله محررة في الميقات متواصله ثم سار الركب
الى بير العلاي في التجريد وهي محطة بيرها معطلة وليس بها قصر مشيد
وبقربها خضرة متخدرة واشجار اثل منتشره وبجانبها فسقيتان ليس
بهما منفعه فما ورد عليهما حيوان ظمآن الا وقام عند رويتهما بالا ربعة قال
الشاعر

الى بئر العلائى قد اتينا … وفزنا بالنجاح والهناء
شكرنا لله اذ قد دعانا … الى شيئ يوصل للعلاء

ومدة السير اليه اثنا عشر ساعة بالتحرير وبعدها الجد الى سطح العقبة
فى المسير وهو سطح واسع الاكناف متسع الجوانب والاطراف
لا يوصل اليه الا بالاستطاعة لان مدة المسير اثنا عشر ساعة ثم سرنا
الى العقبة وما ادراك ما العقبة فكم من حدرات ومضيق وجبال
فى شكل الحمرة والبياض وهى عقلة فى الطريق وصعود وانهباط
وعلو وانحطاط قال الشاعر

عقبات تسلك الناس بها … بقلوب لم تزل مرتعبة
قد قطعناها بوقت هين … لم نر فيها امورا متعبة
نحمد الله الذى خلصنا … واراحنا من عذاب العقبة

فقطعنا تلك الحدرة الكبرى ثم سرنا الى واد بشاطى البحر واحطنا
به خبرا وبجانب البحر مغاير ماؤها عذب فرات وابار تستقى منها
الناس بسائر الجهات ورأينا نخلا زاهيه وقلعة حصينة عاليه
فاقمنا بتلك المنزلة ثلاثة ايام ونحن فى زيادة انعام وذبح انعام
وقد وردت الفواكه من غزة واعمالها فنصبت للبيع وانخفضت
الاسعار ورفعت البواقى على احمالها وتعلمنا بوضع البضايع
ودايع الى الاياب ومدة المسير تسع ساعات فى الحساب ثم سرنا الى
مرحلة يقال لها ظهر الحمار وهى محطة عالية كثيرة الاوعار يصعد اليها
من عقبتين واليمنى اوسع من اليسرى فى المسلكين قال الشاعر

صعدوا على ظهر الحمار لعلهم … ان يبلغوا بصعودهم كل الأمل
تعب الحمار من الطريق وطولها … ومديدها واحتث من بعد الرمل
حتى الجمال به تلت يا اهل ترى … يقبل به عذر الحمار ام الجمل

ومدة السير اليها ثمانية من الساعات محررة عند اهل الميقات ثم
سرنا الى ما بين الجرفين وهو مكان كان الجبال قد قسمت به شطرين يحترز
منه ان يعذب بالحجاج فى ايام السيل الى البحر الملح الاجاج قال ملغزا فيه
وخمسة احرف فى اللفظ تقرا … فان صحفتها صحت بجرفين

وان

وان اسقطت خمسها فيبقى … ثلاثة احرف من اصل الفين

ومنها الى الشرفه وهى بطول السير متصفه تتعب فيها الجمال ولو
رحلت بالارحال لما فيها من الوهاد والطلوعات الشداد وخلف
جبالها قبيلة بنى عطيه المعروفين بالسرقة والاذية قال الشاعر

اذا ما جئت للشرفه … ترى العربان مختلفه
واما العيس فاجملها … بحسن الحفظ متصفه
فان منعت بحارسها … والا فهى منصرفه

ومدة السير خمسة عشر ساعة من غير ريب وبعدها المغار المعروف بمغار
شعيب وهو غار يتبرك به الناس وترى فيه الحظ والايناس وبه الماء
العذب والنخيل وشجر المقل والاثل والظل الظليل قال الشاعر

قد وصلنا الى مغار شعيبه … فراينا المياه كالانهار
فاستقينا من مائه واشتفينا … وظفرنا بغاية الاوطار
وذكرنا بغاره غار ثور … من حوى للصديق والمختار
خير من انزل الاله اليه … ثانى اثنين اذ هما فى الغار

ومدة السير ثمانية عشر ساعه محررة عند اهل الصناعه ثم منها الى عيون
القصب اذا نظر اليها العاجز اذهبت عنه الوصب الخضر منها نضره
والاشجار بها منتظمة ومنتثره قال الشاعر

قد وصلنا لعيون القصب … واستراح القلب بعد النصب
وعيون الماء فيها قد جرت … كسيول الغيث بين القضب
فجلسنا فى صفاء حولها … وظفرنا عندها بالادب
وتشوقنا لشاد مطرب … يتغنى بعيون القصب

ورأينا مجاورا لتلك العيون نسوة من العرب يوصفن بحسن العيون
ويتعاجبن بضفائر الشعور فيمنعن من عقد الحجب لشعور كانهن الاقمار
وكانما نبتت فى وجناتهن الازهار فكان قطع المفاوز والاوعار كالمنثر هات
فى الرياض والازهار قال الشاعر فى بدوية اسمها ساكنة

بروحى افدى ظبية بدوية … لها وجنة فيها الازاهر نابتة
اذا رمت منها ان تكلمنى غدت … تكلمنى الحاظها وهى ساكنة

ومدة السير اليها اربعة عشر ساعة وثلاثون من الدرج يتعب فى سيرها

من ركب ومن درج ثم منها الى بندر المويلح المشهور ورأينا بساحله المراكب
من سويس والطور فيا له من بندر فاق البنادر يأتي اليه الوارد
والصادر وبه جملة من الكروم التي تذهب برويتها الهموم وبمخازن
القلعة تودع الودايع والى سوقها تساق نفايس البضايع من ثمار
تجلبها العرب وزلابية عجينها كالعجين فاذا قليت اشبهت الذهب
وبهذا البندر رجل من ارباب الاحوال حاز رتبتي الجلال والجمال صاح
مجذوب تميل اليه محبة القلوب وله اسرار ظاهره ومكاشفات باهره
يعتقده الناس ويحصل لهم به الايناس لا يعرف الدرهم ولا الدينار
ولا يقبل الا القوت عند الاضطرار لباسه من جبة صوف وراسه في
غالب الاوقات مكشوف وان نطق تكلم على الخواطر وان صمت نطقت
عليه السنة الناس بالثناء العاطر ويكسوه المرات ذوات العدد
فيقبلها ويعطيها لمن وجد لان من رأها عليه يطلبها فيدفعها اليه
وهذا شان الكرام الذين قطعوا علايق الدنيا على الدوام فاقمنا
بهذا البندر ثلاثة ايام وبعدها طوينا المضارب والخيام ومدة
السير ثلاثة عشر ساعة وخمس من الدرج في علم الصناعة ثم سرنا من
المويلح الى دار ام السلطان التي هي لعرب البادية اوطان ونزلنا
بوادي سلمى وكفافه وحصل من بعد الامن بعد المخافه وخلفه جبلها الغربي
البحر الاصيل وبجانبه المسطل البري منتظم كالنخيل وحفايرماؤها
عذب بارد يشرب منه الغادي والوارد قال الشاعر

ان وادي سلمى بهي بهيج ... حيث فيه قفر الولي المسمى
صاحب السر والمعارف مرزو ... ق الكفا فطاب روحا وجسما
فاذا جئت قبره فتادب ... وتوسل بجاهه ثم سل ما

فاقمنا بتلك المرحلة الاقامة المعتاده وحصل لنا ببركة الشيخ مرزوق
في الرزق الزياده ومدة السير كاف تمام وعددها معروف من غير ابهام
ثم سرنا الى بندر الازلم ولا يغيب فيه من بحقيقته يعلم فماوه ملح اجاج ما ان
انسان الا احتاج الى العلاج فاقمنا به من غير اقبال ورحلنا منه بعد
الزوال ومدة السير اليها ستة عشر ساعة محرره وخمس من الدرج مقرره

ثم

ثم سرنا الى مرحلة تسمى اصطبل عنتر وقد اختفى بها العربان للاذى
وتستر والمسير اليها بين جبال صاعده وحدرات واوعار متقاربه
ومتباعده وبها آبار عذبه يود كل ظمآن شربه قال الشاعر

ان جئت للاصطبل لا تغفل به عند النزول ... واحذر من العرب الذي
يحتال لا ابدا تصول ... واعلم فديتك انه صعب ولكني اقول
قد سمي الاصطبل من ... عرب به شبه الخيول

ومدة السير اليها ثلاثة عشر ساعة في العدد صحيحة الضبط والسند
ثم سرنا منه الى وادي الاراك وهو واد ليس لافراد محاسنه اشتراك
وبعده دخلنا بين جبال واوعار ومضيق واحجار وحدرات طوال
وصعودات وتلال حتى نزلنا ببندر الوجه المبارك وصار حصنه
متقاربا متدارك فرأينا به الآبار الخاليه وحفاير الماء العذب بقربه غير
خاليه فاقمنا به الى قبيل العصر وقد زال عن الناس الحصر قال الشاعر

قد دخلنا بندر الوجه الذي ... فيه قوت كل عام يختزن
وشربنا من مياه عذبت ... شربها يجلو عن القلب الحزن
نحمد الله الذي اسعفنا ... ورأينا ذلك الوجه الحسن

ومدة المسير اليها سبعة عشر ساعة وثلثا ساعة بالاجماع حررها اهل
العلم والاطلاع ثم سرنا من الوجه الى عفريش النعام ثم الى حدر آواكام
واماكن يرى منها البحر الاجاج وشدة تلاطمه بالامواج ثم الى حدرات كبيرة
المقدار كثيرة الصخور والاوعار ونزلنا في محطة يقال لها بركة اكره
وهي ارض بها حفاير ماء تكره ماؤها مر المذاق من تقيد بشربه حصل
له الاطلاق فهي مرحلة لا ترتاح بها النفوس ولا يضحك بها العبوس

يا من اتى اكره في سيره ... ابشر بنيل القصد والمنه
لا تكره المكروه في اكره ... فالمكاره حفت الجنه

ومدة السير اليها تسع ساعات بتمامها وثلث ساعة ثابتة في احكامها
ثم سرنا منها الى مرحلة يقال لها الخنك ولها من بين القرى اسم مشترك بين
فضاء واسع المجال ومراعي اعشاب للجمال الا انها خالية من الماء للوراد
والاقامة بها انما هي على طريقة السير المعتاد ومدة المسير اليها اربعة عشر

ساعة من الزمان حررها اهل الاتقان ثم سرنا منها الى العقبة السوداء
المشهوره وقطعنا مفاوزها ونزلنا بالحوراء النضره وهى مرحلة
رملها عزيز ومحاطبها كثير وبها شجر الاراك الاخضر والماء من حفائر
رملها يتفجر قال الشاعر

جئنا الى الحوراء وهى محطة … فيها الاراك نزاهة للرائى
ناديت خلى قف بها متاملا … وانظر لرمل مغمر بالماء
واغنم زمانا مقبلا بسعوده … فيه اجتماع الشمل بالحوراء

ومدة المسير اليها فى جمل الاعداد حررها اهل الارشاد ثم سرنا منها الى
مفازة نبط وهى صعوبات جهينة فى السيل والحط وبطرقها مضايق
وعدرات وجبال راسيات شامخات وشجر اثل كالنخيل وحفائر ماء
عذب يشفى العليل قال الشاعر

وفى اكره والتى بعدها … مرارة ماء تزيد القساوه
فجئنا الى نبط نشكوا الظما … فانعشنا ماؤها والطلاوه
ولما صبرنا على عيرها … فاعقبنا صبرنا بالحلاوه

ومدة المسير اليها عدد كاف وهى عشرون ساعة من غير اختلاف ثم سرنا
منها الى طرا طير الراعى وهى مكان تحمد فيه المساعى وهى جبال سود فوق
الجبال وتسمى ايضا ابا ودباج كما يقال ثم الى واد يسمى وادى النار وهو
واد بين جبال ووعر وغبار ثم نزلنا بالخضراء وقيل الخضيرة بالتصغير
وهى من اعمال بندر ينبوع فى المسير قال الشاعر

انظر الى الخضراء واغنم بسطها … تلقى رباها نزهة للرائى
فلرب حشاش شكى من همه … قد زال عنه الهم بالخضراء

ومدة الوصول اليها فى المسير نحو المائتين درجة بالتحرير ثم رحلنا
منها واستقبلنا دار ابن البقر ورايناه اول الوعرات قد ظهر وهى سبع
وعرات كبيره اصعبها الاولى والاخيره بين كل وعرة فضاء وبعده
عقلة فى الطريق ويليها شعب جبل هايل ومضيق ثم انخنا الركاب ببندر
ينبوع وهو اول بلاد الحجاز فى الذهاب واخرها فى الرجوع به حدايق
ونخيل وعيون بين زروع تسيح وتسيل ولها سور منيع وجامع مفرد

وسيع

وسيع وبيوت فسيحة الركاب فآل امرها الى الخراب وبه الان سوق للحجاج
ياخذون منه الذخيرة عند الاحتياج وبه افران وحيشان كبار وعشش تسقى
فيها القهوة من ايدى الجوار قال الشاعر

حبذا بندر ينبوع وما … فى رباه من رياض وعيون
وسقاة من ملاح نهد … يصرعن الصب من نبل العيون
فلا تحل عنهن واذهب وانتصح … فاذا خالفت اذهبت العيون

وجميع تلك الاسواق خارجة عن المساكن ويعم نفعها للظاعن والساكن
فنصبنا بهذا البندر الخيام واقمنا به ثلاثة ايام ومدة المسير اليه
سبعة عشر ساعة فى العد ومحررة فى ميقاتها صحيحة السند ثم سرنا من
ينبع الى دهناء فى فضاء ورمال واكام وجبال حتى وصلنا الى الابرقين
وهى كناية عن جبلين مفترقين احدهما رمل صاعد والاخر من وعر
وجلامد وبينهما تدق الطبول الحربية لنصرة خير البريه فسمعها من
كان اهلا للسماع ويحجب اهل الزيغ والابتداع ثم دخلنا الى قرية بدر
وحنين التى حماها الله من كل شين وبها جسر طويل وعيون تجرى
بين حدايق ونخيل وبها مسجد العريش وقيل مسجد الغمام وموضع حوض
المصطفى عليه الصلاة والسلام ومحل النصرة لجيوش الاسلام على اهل
الانصاب والازلام وهى الغزوة العظيمة المقدار التى بها شاهت
وجوه الكفار فيالها من غزوة قاتلت فيها الملايك وضاقت بها على
اعداء الدين المسالك واخزى الله اهل الشرك والغوايه واستشهد من
المسلمين من سبقت له العنايه وخرج فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
للجهاد وقتل ابو جهل رئيس العناد فبلغت الشهداء من السعادة اوفى
نصيب وقلبت اعداء الله فى القليب ووجدوا ما وعدهم ربهم من
العذاب الاليم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم قال الشاعر

يا اهل بدر لقد طابت ماثركم … وقد علا قدركم فى ارفع الدرج
فمن ثم بغفران او زار وحسن ثنا … على المدا نشره من اطيب الارج
يكفيكم فى علاكم قولها دعكم … هم اهل بدر فلا يخشون من حرج

فيالها من ليلة بتنا بها وقد اشرق بدرها وسما قدرها اذهبت عن العيون

الهجوع لاشتغالها برؤية القناديل والشموع فاما الشموع فقد ملأت
الارجاء بالنور ومحت بضوئها ظلم الديجور وقد دقت طبول
الافراح وزال التعب عن القلوب الاتراح واحضر السكر المذاب واذيب
في الماء للوراد وملئ به البواطي والحلل وسقى به جميع الطوايف واهل
العمل فشرب كل منهم اوفى نصيب فكانت ليلة من صفائها اقصر من
جلسة الخطيب وقضينا الاوطار من مشاهدها المبتهجه ومدة السير
اليها ثمان ساعات واثنا عشرة درجه ثم سرنا من بدر الى قاع البزوة
وتسمى طرف النجبان ثم الى عالج وجبل القرود ومكان يسمى ودان ثم
نزلنا بسبيل محسن المشهور وتنزهنا في خضرة اعشابه وسوحه المعطور قال

قد شكا لي بعض المحبين يوما   ظما الماء قلت ذا غير ممكن
كيف تشكو الظما وتجزع منه   وبهذا السبيل حسن محسن

ومدة السير اليها ثمانية عشر من الساعات وعشرون درجة محررة
بالميقات ثم سرنا منها الى بستان القاضي ونسينا بقرب الديار تعب
السير الماضي ثم نزلنا برابغ محل الميقات وتجردنا من لبس المخيط بصدق
النيات واحرمنا بالعمرة والحج عملا بقوله الحج العج والثج واعلنا
بالتلبية لعلام الغيوب وسالنا الله تعالى غفران الذنوب فرابغ ذا
ماء تنبع ومزارع بطيخ بتنوع ومسجد قديم الاثر ويسمى ذا الجحفة
كما ورد في الخبر وهو محل احرام المصطفى زاده بارفعة السمو قال

تجردت لما ان وصلت لرابغ   ولبيت للمولى كما حصل الندا
وقلت الهي عندك الفوز بالغنى   واني فقير قد اتيت مجردا

ومدة السير اليه ستة عشر تمام وعشرون من الدرج ثابتة الاحكام
ثم سرنا الى الجريثات ونزلنا بظارف قديد الذي لا يحل في حرمه للمحرم
المصيد وارجاؤه واسعة المجال كثيرة الاوعر والرمال الا انها تبشر
بقرب البلاد وهي مواطن الامجاد قال الشاعر

قد نزلنا بظارف لقديد   ودخلنا حماك نرجو الحمايه
فتفضل على عبيد وفود   منك يرجوا دفع العنا بالعنايه

ومدة السير اليه سبعة عشر من الساعات محررة في الميقات ثم سرنا الى عقبة

السويق وهي عقبة عالية الرمال في الطريق ثم منها الى خليص الشهيره
وبها فسقية من الماء كبيره ويحترز فيها من اللصوص اصحاب النفوس
الخسيسه ثم الى مدرج عثمان ثم الى قرية عسفان وبها البير التي تفل
فيها سيد البشر وهي بير من شرب من مائها زال عنه الضرر قال

ان عسفانا تسامت رفعة   وعلت قدرا على كل القرى
وبها بير النبي المصطفى   خير من صلى وصام وقرا
فاذا جئت لها كن محتسبا   فعسى تحسب من اهل القرا

ومدة السير اليها زاي في العدة معلومة في المدد ثم سرنا منها الى
جبل اغمار العميان التي تجتمع فيه الفقراء بقصد الاحسان نزلنا
بالوادي وهو نهاية بير الوادي وهو واد خصيب يرى فيه طالب
النزاهة اوفر نصيب اغصانه زاهيه وقطوفه دانيه واطياره
ناطقه وجداوله دافقه ومزارعه تنبت من كل زوج بهيج ويفوح
من ازهارها كل عرف اريج وهي زائدة الابتهاج وعلى كل حديقة
ساج فلو راه مصري من الناس نسي الروضة والمقياس وبها
عشش تسكنها عرب الوادي وبارضه ينبت الشجر الكادي قال

يا حبذا واد فسيح الفضا   اريجه قد عطر النادي
كم فيه من فاغية قد زكت   وفيه زهر الفل والكادي
وكم ثمار وزروع به   والماء فيه ينعش الصادي
قلت لخلي حين شاهدته   ولاح لي نور السنا بادي
هل دار ليلى قد بدت لنا   فقال لي انك بالوادي

ووصوله خمسة عشر ساعة في المسير وخمس من الدرج بالتحرير ثم سرنا
الى سبيل الجوخي المعروف ورأينا جنان مكة دانية القطوف ثم مررنا
بمساجد ميمونة بالعمره وقد اقترن اسماء سموها كوكب الثريا بالزهره
فلاحت لنا اعلام الديار ومشاهد المشاعر والاثار ووصلنا ثنية
كدا وبعده المعلى التي بها مساجد اهل الهدى وكنا عند خروجنا من عدم
الوصول خائفين حتى تلقتنا هواتف البشائر بقوله لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين ودخلنا من باب السلام وتعاهدت البيت والمقام

وطفنا طواف القدوم وذهبت عنا الهموم وجئنا الى محل الصفا
وسعينا في طلب الوفا ولما تم سعينا بالطواف وحفتنا بعناية الله
الالطاف اقمنا بمكة بالاحرام الى سابع ذي الحجة الحرام هذا ابرع هذه
الرسالة واما في الرجعة فقد رجع بحر الفكر عما كان اجراه او لا من البلاغة
والبسالة ولما قرب الرحيل وآن الخروج عن ذلك الربع الذي ليس
بمشتهر على طول الزمان فضلا عن دخوله في عداد المحيل اخذت
في التردد الى زيارة المشاهد المشهورة هنالك والاجتهاد في
تحصيل ما تيسر من ذلك فزرنا مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقد اتخذت
دار مولده عليه السلام مسجدا ومزارا عظيما تجتمع اليه الوفود من
كل جانب ايام المولد النبوي غير ان اختلاف العلماء في محل مولده عليه السلام
مما يخدش في تعيين هذا الموضع الان المشهور فقد علم من كتاب السيد
السمهودي رحمه الله ما وقع من الاختلاف في مولده عليه السلام هل
هو بمكة او بالابواء وعلى انه بمكة فقيل بالشعب وقيل بالمحصب وقيل
غير ذلك من الاقوال المستطيلة قال الامام ابو سالم ولا ادري
من اين اخذ الناس تعيين هذا المحل بالخصوص اللهم الا ان يثبت ان
تلك دار والده او جده صلى الله عليه وسلم فيترجح القول بانه في مكة بقضية
عادية وهي ان ولادة الانسان في الغالب في منزل والده وان اريد
بالشعب شعب ابي طالب الذي انحاز اليه مع بني هاشم وبني المطلب في قضية
الصحيفة فلا يبعد ذلك لان هذه الدار قريبة من الشعب من اسفله
والعجب انهم عينوا محلا من الدار بمقدار مضجع وقالوا انه موضع
ولادته صلى الله عليه وسلم قال ويبعد عندي كل البعد تعيين ذلك من
طريق صحيح او ضعيف لما تقدم من الخلاف في كونه بمكة او غيرها وعلى
القول بانه فيها ففي اي شعابها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففي اي
الدور وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من
الدار بعد مرور الازمان والاعصار وانقطاع الآثار والولادة
وقعت في زمن الجاهلية وليس هناك من يعتني بحفظ الامكنة ولا سيما
مع عدم تعلق غرض منهم بذلك وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة

وتابعيهم

وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالاماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي
لصرف اعتنائهم رضي الله عنهم لما هو اهم من حفظ الشريعة والذب عنها
بالسنان واللسان وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة
في الاسلام من مساجده عليه السلام ومواضع غزواته ومدفن كثير من
اصحابه مع وقوع ذلك في المشاهد الحافلة فما بالك بما وقع في الجاهلية
لا سيما ما لا يكاد يحضره احد الا من وقع له كمولد علي رضي الله عنه ومولد عمر
ومولد فاطمة رضي الله عن جميعهم فهذه اماكن مشهورة عند اهل مكة
يقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان وذلك في البعد بعد من
تعيين مولده عليه السلام لوقوع كثير من الايات ليلة مولده عليه السلام
فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الايات وان كانوا
اهل جاهلية واما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر تكاد العادة ان
تقطع بعدم معرفته الا ان يرد خبر من صاحب الواقعة بنفسه او واحد
من اهل بيته وحاصل الامر ان هذه اماكن اشتهرت بين الناس
فتزار بحسن النية رعاية لتعظيم قدر من اضيفت اليه مستحضر الزائر في
قلبه عظمة من نسبت اليه الامكنة وعظمة تلك النسبة ولا يشغل قلبه
بصحة النسبة وضعفها لوجودها في الخارج ولو عدمت في نفس الامر
فرعاية تعظيم الموجودة على السنة له آثار كبيرة في الجلب والدفع
نسال الله تعالى ان يجعلنا ممن يعظم حرماته وشعايره تعظيما يوافق
اوامره هذا كلام ابي سالم وان كان اوله من التامل غير سالم وآخره
هو المتعين لانه امر بين وما استبعده غير بعيد لشهرة ذلك النور
السعيد والله اعلم وزرنا مولد السيدة فاطمة رضي الله عنها في دار خديجة
رضي الله عنها التي سكن فيها النبي صلى الله عليه وسلم مع خديجة وولدها
الاولاد معها قال ابو سالم والنفس تميل الى صحة هذا المكان اكثر من
غيره وزرنا مولد علي بن ابي طالب رضي الله عنه ودار ابي بكر الصديق رضي
الله عنه وغالب هذه الاماكن اتخذت مساجد ومزارات وبقرب دار ابي
بكر حجر في جدار فيه كاثر المرفق يقال ان مرفق النبي صلى الله عليه وسلم غاصت
فيه لما استند اليه ينتظر بعض اصحابه والناس يتمسحون به ويتبركون

وقد فعلنا ذلك بحسن النية والله سبحانه ينفعنا بذلك ويقال لذلك
الموضع زقاق المرفق وتوجهنا باب المعلا لنحصل بركة زيارتهم فقد
اثنى عليهم النبي عليه السلام ووقف امامهم وقال فيهم يا اهل باب
المعلا انتم الاعلا فزرنا روضة ام المومنين خديجة رضي الله عنها وجماعة
من المشاهير في تلك المشاهد كعبد الله بن عمر والفضيل بن عياض واحمد
ابن الاهدل وعز الدين بن جماعة والسيد عبد الله اليافعي وعثمان بن
طلحة وسفين بن عيينة وعبد الله بن الزبير ومقبرة الطبريين ومقبرة
العسقلانيين وغير هولاء تقبل الله منه وفضله ولما قرب الانتقال
من مكة الى طيبه ليكون المسك ختام تلك الغيبه هبت علينا نسمات
الاشواق اليها فبقينا نستلذ قول من قضى نهمته من مكة وارشد
السائق لطيبة بالورود عليها

من يهده الرحمن خير هداية ... يحلل بمكة كي ينال المقصدا
واذا قضى من حجه الفرض انثنى ... يشفي برؤية طيبة داء الصدا

وربما رايت القوم اخذوا في الاستعجال فامنت بقول ابي جعفر
الرعيني الاوجال وهو من التشريع احد انواع البديع

يا راحلا يبغي زيارة طيبة ... نلت المنى بزيارة الاخيار
واذا وقفت لدى المعرف داعيا ... زال العنا وظفرت بالاوطار

وربما هبت على نسمات طيبه فاترنم بقول الشيخ نظام المقدسي لازال ملء العيبه

اذا هب لي من نحو طيبة ريح ... ترى الدمع من جفني هناك يسيح
ويصبح عندي والغرام محركي ... يكاد بسري في الغرام يبوح
وتزداد اشواقي الى ساكني الحما ... ويمسي فواد الصب وهو جريح
بذكر رسول الله طاب حديثنا ... ومن طيبة كل الوجود يفوح
هنيئا لكم زوار قبر محمد ... هنيئا لكم رحب المزار فسيح
لكم عنده بشرى نعيم وجنة ... لكم منه ريحان لديه وروح
الا ايها الركب الذي يمم الحما ... ومن دونهم صب هناك طريح
الا فقفوا الحجر كم واحبسوا السري ... لعلي ابكي ساعة وانوح
والثم اخفاف المطي فانها ... سينفحها من ارض طيبة شيح

اهل

اهلا لك يا ركب الحجازي عودة ... على فاغدو معكم واروح
واصبح نشوانا يميل بي الهوى ... اذا اصبحت تلك القباب تلوح

ولما اشتدت الاشواق ونفقت بذكر طيبة الاسواق اخذت في
التاهب للتوجه اليها والورود عليها وطفت طواف الوداع
ودخلت في حزب كل متوجه الى الله وداع وركعت خلف مقام ابرهيم
واخذت اطوف على تلك الاماكن المشرفة واهيم وكيف لا اهيم وجدا
وانا الم وفراق الكعبة المشرفة قد نزل بنا والم وكاد ان يذهب
بالنفس لولا ما تداوت به من التعلل بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجنا من مكة المشرفة الى المدينة المنورة وقصدنا لزيارة الرسول الذي كرمه مولاه على جميع الخلايق وفخره

زادهما الله تشريفا وتعظيما وابقى قدرهما على ممر الازمان عظيما
خرجنا من مكة المشرفة غير معرضين عن ارجائها قاصدين زيارة
الرسول عليه السلام اذ هي للنفوس غاية رجائها منشدين قول
الشهاب ابن ابي حجله لما ادركته في مثل هذا اليوم خجلة وايه خجله

اقول وقد فارقت مكة قاصدا ... جناب النبي الهاشمي المعظم
فراق ومن فارقت غير مذمم ... وام ومن يممت خير ميمم

وقوله وقد خلف البيت خوله

لئن زال بالتعليم في مكة الشقا ... تحول الصفا العيش الذي لا يكدر
وان نظمت شملي بها ليلة اللقا ... فان دموعي بعدها اليوم تنثر

وقوله
ولم انس اذ فارقت مكة قاصدا ... بوادي الغزال الظبي والظبي رائع
فكنت كذي رجلين رجل بربعها ... المقام واخرى للحبيب تسارع

وقول الصلاح لما فيه من الصلاح

رحلت عن البيت العتيق المحرم ... الى خير قبر في الانام معظم
فكنت كمن قد قال قبلي حقيقة ... ابو الطيب الكوفي رب التكلم
فراق ومن فارقت غير مذمم ... وام ومن يممت خير ميمم

وكان خروجنا من مكة المشرفة عشية الثلاثا الرابع والعشرين من الحجة
وهو التاسع عشر من دخولنا وخرجنا من باب الشبيكة وهي الثنية السفلى

التي باسفل مكة ومنها خرج النبي صلى الله عليه وسلم واغرب ابن رشيد في رحلته فقال ذكر بعض ائمتنا ان الخروج الى عرفات من الثنية السفلى ايضا وابدع بنقل ذلك عن ابي محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي الظاهري وقال حدثنا بذلك احمد بن محمد العذري عن كل من لقي بمكة من اهل المعرفة بمواضعها من اهل العلم بالاحاديث في ذلك وصحح ابن رشيد وهو مما لم يذكره احد ممن راينا كما اوضحه ابو سالم وغيره فالله اعلم بحقيقة ذلك وبتنا قرب باب الشبيكة امام سبيل الجوخي واصبحنا هنالك حتى صلينا العصر وانكسرت سورة الحر وارتحلنا راجعين في الحافوه في نعمة وافرة غير انا اكثرنا الاقامة في الرجوع الى بدر وزاد امير الركب المصري على ما قدر لذلك من القدر فمن الوادي نزل عسفان واقام في خليص وقديد ولم تكن تلك عادة من قبله من الركبان واعتذر بانه كان ينتظر ابلا تاتيه من جدة فلذلك قصر في السير وما جده ومن ثم اخذ الناس ما تركوه في ينبع من الزاد ووصل العلف هنالك ثمنا جاوز المعتاد وزاد واغنانا الله سبحانه عن شراء العلف هنالك لانا حملنا من مكة المشرفة ما يكفينا الى المدينة من ذلك وارتحلنا من بدر واتحفنا ذات اليمين الساعة القدر متوجهين الى روضة الرسول الذي من نوره استضاءت الشمس واشرق البدر فمررنا بالصفراء في بساتين وحدايق وعيون جارية بماء عذب رايق بين هاتيك المضايق ورأينا هنالك مزارع حسنة مزدرعة جامعة لانواع الفواكه من الرطب والموز والبطيخ والعجوة وغير ذلك ولقد كانوا وردوا علينا بكثير من ذلك الى بدر ولله در الصلاح اذ قال في تلك المواطن الملاح

يا وادي الصفراء اذكرتنا … في حلق عيشتنا الخضرا
فالراية البيضاء منشورة … اذا ذكرنا وادي الصفرا

وقد قالوا ان بالصفراء مسجدا معروفا يتبرك به وذكر ابن زبالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ونقله السيد ونزلنا مع الصباح في الجديدة ذات المياه الغزيرة والفواكه المديدة وغالب الناس يسمونها الجديدة

بالتصغير

بالتصغير وهو الجاري على لسنة الكثير من اعراب تلك البلاد والصغير وهي قرية صغيرة بين جبال وحدايق ونخيل ومضيق يخرج الى عين جارية يطيب عندها النزول او الرحيل وجبالها شامخة عالية ونخلها وارطابها متدانية وغالب اهلها زيدية كغيرهم من اهل قرى الحجاز يقرون القران وليس لهم منار للاذان وتفرق الناس في حواصلها يؤمنون هنالك اثقالهم ويخزنون سلعهم واحمالهم لتخف مؤنتهم في الروضة المشرفه ويجدون شيا من الفراغ عند الوصول لذلك المكان الذي عظمه الله وشرفه وقد صرح ابو سالم وغيره بانه ليس في بلاد الحجاز مكان اشد حرا من هذه الخيوف وربما كثر فيها الشوب فيموت فيها ما لا يحصى من الخلايق عهدكر بالرجل يسعى في حوايجه ومقضياته فيقال للمات ولله الامر من قبل ومن بعد وكان الصلاح في مثل هذا المكان انشد

اقول وحر الرمل قد زاد وقده … وما لي الى شم النسيم سبيل
اظن نسيم الجو قد مات وانقضى … فعهدي به في الشام وهو عليل

اوقاله في رمال نواحي الينبع التي ما زال الماء الشوب من ارضها ينبع وارتحلنا من الجديدة وخلفنا كل ما يثقل من الاحمال وبقي هنالك جماعة من الاعراب والفلاحين الذين لا غرض لهم في الزيارة اذ لا قصد لهم الا في الكرا وغالبهم ايضا لا يحرم بحج ولا عمرة لقلة اعتنائهم بامور الدين سامحهم الله ومررنا بالنازية وبعدها بمسجد الغزالة ثم ببير الروحا قال المجد الروحاء موضع من عمل الفرع على نحو اربعين ميلا من المدينة وفي صحيح مسلم على ستة وثلاثين ميلا وفي كتاب ابن ابي شيبة على ثلاثين ميلا وقال ابو عبيد البكري قبر مضر بن نزار بالروحا على ليلتين من المدينة بينهما احد واربعون ميلا قال الزين الخنبلي والجمع بين ذلك ان الروحاء اسم للوادي وفي اثنائه منزل الحاج قال ابن الكلبي لما رجع تبع من قتال اهل المدينة نزل بالروحا واقام بها واراح فسماها الروحاء وسئل كثير لم سميت الروحا فقال لانفراجها وروحها يقال بقعة روحاء طيبة اي ذات راحة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا واد من اودية الجنة يعني الروحاء وان اسمه

سجاسج والسجسج الهواء الذى لا حر فيه ولا برد وان موسى بن عمران
مر بالروحاء فى سبعين الفا وانه صلى بذلك الوادى سبعون نبيا
قال الاسدى وبالروحاء اثار الرسول صلى الله عليه وسلم وآبار
كثيرة وانشد الزين الحنبلى لابن الوضيه

اذا اعوز رقت عيناى قال صحابتى لقد اولعت عيناك بالهملان
الا فاحملانى بارك الله فيكما الى حاضر الروحاء ثم دعانى

قال الزين الحنبلى واعراب الروحاء بنو سالم فيقال لها وادى
بنى سالم قال وكانوا يتلصصون كثيرا فقال فيهم الصلادح

نظرت فى وادى بنى سالم لكل لص ظالم غاشم
يسرق كحل العين من جفنها بجراة من مقلة النايم
كم عاطب منه وكم هالك وهو مضاف لبنى سالم

وا وما لمثل هذا صاحب الوجز ايضا فقال

اياك من خيف بنى سالم ان آتيته من جبلص لا تطمئن
وكن له ضارب بالحسام تراه كالعفريت فى الظلام

ونزلنا شرف الروحاء فى ارض فيحاء وشرف الروحاء هو المعروف
اليوم بقبور الشهداء وقد ذكر بعض الناس ان الشهداء الذين
يسمى بهم المكان هم قوم قتلوا هنالك ظلما وذكر السيد ان بهذا
الموضع مسجدا من مساجده صلى الله عليه وسلم وهناك موضع محوط يزوره
الناس فلا يبعد ان يكون هو ذاك وفى شرف الروحاء اثار آبار
معطلة وبنيان داثر وقد كانت فى القديم هناك قرية ولم يبق بها
الآن شى من ذلك وارتحلنا من هناك فنشطت الابل فى المسير
وشرعت تسرع بلا حاد وتسير فتعجبت من نشاطها الذى صير كل
رحل منها سالم وتذكرت قول الامام ابى سالم

خليلى ما للعيس فى سيرها تعدوا ومن قبل اعيت من يسوق ومن يحدوا
اظن لها علما يقينا بانها لقبر رسول الله قد اصبحت تغدوا
لذلك لم تجزع لحر اصابها كما جزعت بالامس اذ مسها الجهد
فلا تعجبوا من علمها باقترابها وليس لها بالدار من قبل ذا عهد

ففضل

ففضل رسول الله فى الكون ظاهر اقرت به العجماء والحجر الصلد
وانوار ارض حلها قد تلالات احست بها الابصار والعظم والجلد
دنت فدنت اعلامها فبدا لنا من الشوق فى الاحشاء مالم يكن يبدو
عليها من الرحمن ازكى تحية تدوم دواما ما لاخره حد
تكاد من الاشواق ارواحنا لها تطير ولم تجزع وان نالها كد
لطارت ولكن الجسوم لها قيد
ولولا الذى قدها قها من جسومنا بها فاذا بالقرب زاد لها الوجد
وكنا نظن القرب يذهب بعض ما غدا ناسخا ما كان يقروه البعد
ولم لا وآى الوصل محكم ذكرها بخير الى ان يحوى الجسد اللحد
اباح لنا الرحمن فيها اقامة توسل من لم يغنه الجد والجد
بجاه حبيب الله افضل من به يزيد له شوقى اذا ذكرت نجد
عليه صلاة الله ما دام وصله

وسرنا فى ليلة معتدلة الهواء قاصدين طيبة ورافضين جميع الاهواء
فلاحت لنا انوارها مع الفجر وغلبت ضوء الشمس بعد ما فجر على الافاق
اى فجر ووردنا آبار على ذات الجوار السامى والقدر على والفينا
وادى العقيق كالبحر الفايض وجمحت خيول الاشواق فلم يرضها
رائض وسكن الشوق المبرح لما لاحت لنا اعلام طيبة من جبل مفرح
فاخذت اترنم بقول ابى سالم فى تلك المعالم

يا صاحبى نلت المنى فاستبشر ودنوت من دار الرسول الاطهر
وبدت معالم طيبة لك فاستمع اوصافها من صادق لك مخبر
هذا مفرح كاسمه وكانه ياقوتة رشت بذائب عنبر
وامامه البيداء يسطع نورها لبصائر الزوار هل من مبصر
وعلى يمينك قد بدا عير يرى بالقرب كالثور العقير الاعفر
وانخ ركابك بالمعرس انه لمبارك وبمائه فتطهر
واحدا لركاب مع العقيق منعما عينيك فى ذاك المكان النير
ياحبذا احد نراه يحبنا وتحبه جبل جميل المنظر
فكانما هو حلة من عسجد صبغت جوانبها بمسك اذفر
واذا انتبت لحرة عربية وعلوت غاربها علو مشمر

ودنا النقي وبدا المصلى فاغتبط   بالقرب من اصل المفاخر وافخر
واترك قبا من عن يمينك واجعلن   سلعا فديتك في الجناب الايسر
واصمد تجاهك يعترضك مهشا   بطحان دون مناخة والعنصر
ما بعد ذا الا الدخول لطيبة   بسكينة تمشي بدون تكبر
يهديك للحرم المكين شذاه من   باب السلام ادخله دون تصبر
وعن الصلاة على النبي مسلما   مهما قربت لداره لا تفتر
واعلم بانك ان وقفت مصليا   ما بين روضة سيدي والمنبر
في روضة من جنة متقلبا   هي ارضها في طاهر ومطهر
تغشاك من رحمات ربك نفحة   تحظى بها دنيا ويوم المحشر
فلانت بينهما يقينا واقف   ما بين جنة عدنه والكوثر
فاذا وقفت امام وجه نبيه   حياك بالرضوان منه الاكبر
فهناك تستجلي البصيرة ان صفت   اصل الجمال بدا باعظم مظهر
فترى العوالم كلها بجمالها   وجلالها حضرت باقدس محضر
اصل الوجود ومنبع الجود الذي   عم المظاهر في جميع الاعصر
نورا لاله به استنار عباده   دنيا واخرى ذي الجمال الازهر
محمود كل الخلق احمد حامد   ومحمد بمقام حمد اشهر
صلى عليه الله خير صلاته   والال والاصحاب اكرم معشر

ولما لاحت القباب وقرب الباب وآن الوصال واستولى على الشوق وصال طفقت انشد وانادي كل مشوق وارشد

ايها المغرم المشوق هنيئا   ما انالك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك تهملان سرورا   طالما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا   وجميع الاشجان والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالا   وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب   ما احتباس الدموع في الاماق

وكلما لاحت لنا تلك الانوار ملنا عن الاكوار وتملنا من عرف تلك النجود والاغوار وتخلينا عن الاغيار وتحلينا بحلى الاخيار وكيف لا وطيبة مركز الادوار

اذا لم تطب في طيبة عند طيب   به طيبة طابت فاين تطيب

وان

وان لم يجب في ارضها ربنا الدعا   ففي اي ارض للدعاء يجيب
ايا ساكني اكناف طيبة كلكم   الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولما حللنا امام الباب تذكرنا ما قاله كمال الدين ناظر قوص من اللباب لذوي الالباب

انخ هذه والحمد لله يثرب   فبشراك قد نلت الذي كنت تطلب
فعفر بهذا الترب وجهك انه   احق به من كل طيب واطيب
وقبل ربوعا حولها قد تشرفت   بمن جاورت والشي بالشي يحسب
وسكن فؤادا لم يزل باشتياقه   اليها على جمر الغضا يتقلب
وكفكف دموعا طالما قد سفحتها   وبرد جوى نيرانه تتلهب

ثم تاهبنا لدخول المدينه وقد ثقل الشوق بديون الاشواق مدينه حتى غاب في بحار الانوار لما تبسمت الروضة المشرفة عن يانع الازهار وزاهر الانوار

ذكر دخولنا لمدينة الرسول التي هي غاية المنى والسول صلى الله وسلم على ساكنها وشرف جميع نواحيها واماكنها

ثم دخلنا المدينة والاشواق تتجدد والافراح تجتمع والاتراح تتبدد واصبحنا فيها مع الصباح واشرقت انوارها فضحت اشراق الوجوه الصباح وبادرت لدخول الحرم لاكرع من مناهل الفضل والكرم وقصدت مواجهة الرسول واعتراني ما يعتري الموصول من ذهول الوصول والفوز بالبغية والسول وفاضت العيون بمدامع السرور فيضان العيون

هذه روضة الرسول فدعني   ابذل الدمع في الصعيد السعيد
لا تلمني على انسكاب دموعي   انما صنتها لهذا الصعيد

وكنت عندما اشرفت على الروضة المباركة وتبدت لي معالم طيبة التي ليست بمزاحمة في شرفها ولا مشاركة قلت قصيدة بديعة احرزت براعتها عجيب الادب وبديعه فاقت بممدوحها القصائد وسحت بوارح نظمها العجيبة فعجزت فكر كل صائد وكانت طويلة تنيف على مائة وعشرين بيتا كم احيت ببلاغتها ميتا واولها

يا مقلتي هذا المقام الاكبر   والروضة الغناء فيها المنبر

والمسجد الاسمى الذى محرابه   ابدا على الاكوان طرا يفخر
هذى مرابع طيبة الغرا التى   من طيبها طاب الشذا والعنبر
هذا البقيع وذاك اشرف بقعة   الال والاصحاب فيها قبروا
هذا النخيل وتلك دار المصطفى   افلا ترى الانوار فيها تظهر
هذا المكان الاعظم الاسمى الذى   قد كان فيه المصطفى يتعفر
هذا وحق الله اشرف منزل   قد كان جبريل له يتكرر
هذا الرسول الطاهر الاخلاق والاعلاق والاعراق وهو الاطهر
هذا الذى جمع المحاسن كلها   فالحسن فيه كامل لا يشطر
هذا الذى من شعره اسود الدجى   وابيض من مرآه فجر نير
هذا الذى من وجنتيه جنة الورد الندى ومن لماه الكوثر
هذا الازج الادعج الطرف الكحيل الابيض اللون الاغر الازهر
هذا اسيل الخد اقنى الانف ازهى القد يحكيه القضيب الازهر
هذا الذى حاكى العقيق شفاهه   اذ صار يحكى ثغره فيه الجوهر
هذا اجل الخلق سبط الخلق طلق الخلق ليس له نظير ينظر
هذا الذى قد اشرقت من نوره   انوار هذا الكون فهو العنصر
هذا الذى خرقت له العادات فى   كم معجزات ملا رآها المبصر
هذا الذى بانت لمولده علا ما   ت وآيات عظام تبهر
هذا الذى قد اخمدت انواره   انوار فارس حيث ملك الانور
هذا الذى ايوان كسرى لم يزل   مذ بان نور المصطفى يتكسر
ومنها هذا الذى قد رد عين قتادة   بعد العما فغدت سريعا تبصر
هذا الذى اثنى عليه الله فى التنزيل فى كم آية لا تنكر
هذا الذى قد نزلت فى شانه   شانيك بين الناس هو الابتر
هذا الذى ردت له شمس الضحى   بعد المغيب وشق بدر انور
هذا الذى قد جاءه ضب الفلا   متكلما وكذا الغزال الاعفر
هذا الذى نطق الذراع له بما   قد ضم من سم اليهود يخبر
هذا الذى فى كفه قد سبحت   صم الحجارة نعم تلك الاحجر
هذا الذى قد اشبع الجيش العرمرم من صواع بل صواع اكثر

هذا

هذا الذى روى الخميس بصاع ما   ء فارتوى اذ اشبعته الاثمر
ومنها بعد فصل طويل   من معجزاته التى لا يحصرها التطويل
الله اكبر لم لهذا المصطفى   من معجزات حدها لا يحصى
من ذا يعد الشهب فى افق السما   من ذا يعد القطر مهما يقطر
من ذا يعد النبت او يحصى الحصا   هيهات هذا الامر لا يتصور
فتنعمى يا مقلتى وتنزهى   هذا الذى قد كنت قدما تنظر
ومنها وابكى اذا ما شئت او فلتضحكى   فالكل يحمد والمشوق مخير
ومنها اذ عادة المشتاق يبكى دائما   ان ينعموا بالوصل او ان يهجروا
فاذا دنوا يبكى مخافات النوى   واذا ناوا اشوقا لهم يستعبر
وكثيرا ما كنت اشتهى انشاد القصايد المشار فيها الى تلك الاماكن واحب ان انخرط فى سلك من حضر فى تلك المساكن وشاهد محاسنها واخذ بمدح المسكن والساكن واورد ما يشتمل على ذلك كقول العلامة الرحلة البارع خالد البلوى لما حل هنالك
الله اكبر حبذا اكباره   لاح الهدى وبدت لنا انواره
لاحت معالم يثرب وربوعها   ماوى الحبيب وداره ومزاره
هذا النخيل وطيبة ومحمد   خير الورى طرا وها انا جاره
هذا المصلى والبقيع وههنا   ربع الحبيب وهذه آثاره
هذى منازله المقدسة التى   جبريل ردد بينها تكراره
هذى مواضع مهبط الوحى الذى   تشفى الصدور من العمى اسطاره
هذى مواضع خير من وطى الثرا   وعلا على السبع العلى استقراره
ملا الوجود حقيقة اشراقها   فاضاء منه ليله ونهاره
والروضة الفيحاء هب نسيمها   والبان بان وتم منه عراره
وتعطرت سلع فسل عن طيبها   لم لا تطيب وحولها مختاره
بشراك يا قلبى فقد نلت المنى   وبلغت ما تهوى وما تختاره
قد امكن الوصل الذى املته   وكذاك حبى امكنت اسراره
قد كان عندى لوعة قبل اللقا   فالان ضاعف لوعتى ابصاره
رفقا قليلا يا دموعى اقصرى   فالدمع يحسن فى الهوى اقصاره

قد كانت اليمن الكريمة في غنىً ... عن ان يفيض بتربها نيّاره
ايضيع من زار الحبيب وقد درى ... ان المزور ربا له زواره
ايخيب من قصد الكريم وعنده ... حسن الرجاء شعاره ودثاره
ايؤم بابك مستقيل عاثر ... فيرد عنك ولا تقال عثاره
حاشا وكلا ان تخيب آماله ... فيعود صفراً خيبت اسفاره
يا سيد الارسال الظهرى مثقل ... نفسي تخف بجاهكم اوقاره
رحماك فيمن اوبقته ذنوبه ... فكانما اقبا له ادباره
لبس الصغار وقد تعاظم وزره ... والعفو تصغر عنده اوزاره
شط المزار ولا مزار وشد ما ... يلقى محب شط عنه مزاره
واتى حماك يفر من زلاته ... واليك يا خير الانام فراره
واتاك يلتمس الشفاعة والرجا ... يقتاده وظنونه انصاره
والعبد معترف ذليل خاضع ... ومقصر قد طولت اعذاره
متوسل قد اغرقته دموعه ... متنصل قد احرقته ناره
قذفت به في غربة اوطانه ... ورمت به لعلائكم اوطاره
فامنن وسامح واعف واصفح واغتفر ... فلانت ماح للخطا غفاره
صلى عليك الله ما حيا الحيا ... روض الربا وترنمت اطياره

وكما انشده الامام العلامة احمد المقرى في نفح الطيب لما فاح له من اعراف طيبة كل طيب

اكرم بعبد نحو طيبة مُنشِد ... متوسل مستشفع مسترشد
يغلى الفلاة لها بعزم ايد ... وافى الى قبر النبي محمد
ولقبره الاسمى يروح ويغتدى
ازجاه صادق حبه المتمكن ... وحداه سايق عزمه المتمعن
فحكى لدى شجو حمام الاغصن ... هزجا يردد فيه صوت ملحن
ويمد للاطراف صوت المنشد
ويقول حثت بعزمة نزاعة ... ونهضت والدنيا تمر كساعة
لمحل احمد قائلا باذاعة ... هذا الرسول المرتجى لشفاعة
يوم القيمة بين ذاك المشهد

هذا

هذا الرؤف بجاره ونزيله ... هذا سراج الله في تنزيله
هذا الذي لا ريب في تفضيله ... هذا حبيب الله وابن خليله
هذا ابن باني البيت اول مسجد
هذا الذي اصطفت النبوة خيمه ... هذا الذي اعتام الهدى تقديمه
هذا الذي نسعى غدا تسنيمه ... هذا الذي جبريل كان خديمه
في حضرة التشريف ازكى مصعد
هذا الذي شهد الوجود بخصه ... بمزية التفضيل من مختصه
وابانه من وحيه في نصه ... هذا الذي ارتفع البراق بشخصه
في ليلة الاسراء اشرف مهتد
هذا الذي عذقت الطلا حديقة ... بجواره ودنت بنين انيقة
هذا المكمل خلقة وخليقة ... هذا الذي سمع النداء حقيقة
ودنا ولم يك قبل ذاك بمبعد
فهناك كم رسل به تتوسل ... وعلى حماه لدى المعاد تعول
يا ارحم الرحماء انت المؤئل ... يا سيد الارسال انت الاول
فترق في اعلا المكارم واصعد
الله رفع في سراه مناره ... وابان في السبع العلا انواره
فقفت ملايكة السما آثاره ... واراه جنته هناك وناره
بوئد ومخلد لمخلد

ومنها

لما اتيت لرامة اصل الثرا ... من بعد قصدى مكة ام القرى
انشدت قصدا فيه اثر جوهرا ... واليكها يا خير من وطى الثرا
عذراء تزرى بالعذارى الخرد
كل الحسان لحسنها قد ادهشا ... ما مثلها في زيها شاد نشا
سفرت بعزم ما احد واطيشا ... نشات بطى القلب في رتوت الحشا
زهراء من يرها يهل ويسجد
امتك تشاى في مداها الالسنا ... وترى اساءتها المجيد الحسنا
تعدو ولا تثنى العنان عن الثنا ... واتتك تمرح كالقضيب اذا انثنا
مترنحا بين الغصون الميد

قد اعملت فى المدح ثاقب ذهنها   ترجو الحلول لدى قرارة امنها
وعسى اذا عذبت بتربة عدنها   يجلو لك الاحسان بارع حسنها
والحسن يجلوها وان لم تنشد
مدحى لخير العالمين عقيدتى   ومطيتى بل طيبتى ونشيرتى
ونتيجتى وهدى اليقين مفيدتى   ولئن مدحت محمدا بقصيدة
فلقد مدحت قصيدتى بمحمد
ادعوك يا مولاى دعوة حائر   يشكو اليك صروف دهر جائر
والله يعلم فى هواك سرائرى   وهو الذى ارجو لعفو جرائرى
متوسلا بجنابك المتاصد
لولا حقوق عينة بمغارب   لمكثت عندك كى تنام مآربى
ويكون فى الزرقاء عذب مشاربى   حتى اجلى من ذاك ترائبى
وانال دفنا فى بقيع الغرقد
وعليك من رب حباك صلاته   وسلامه وهباته وصلاته
ما ام بابك من رحمة فلاته   لعلاك حتى زحزحت علاته
فاتيح حسن الختم دون تردد
وكما انشد ايضا وقد فاضت عليه انوار الروضة المشرفة فيضا
مر النسيم بربعه فتلذذا   حتى كان النشر صار له غذا
فصحا وصح وصاح لا اشكو اذى   قل للصبا ما ذا حملت من الشذا
امسست طيبا ام علاك عبير
يا ايها الحادى الذى من رسمه   قصد الحبيب وان يلم برسمه
هذى منازله فزمزم باسمه   بابى الذى لم تزو زهرة جسمه
لكنه غصن الجمال نضير
لله شوق قد تجاوز حده   اوفى على الصبر الجميل فهده
يا ناشق الكافور لا تبعده   طوبى لمشتاق يعفر خده
فى روضة الهادى اليه تشير
فهناك يبذل فى التوسل وسعه   ويصيخ نحو خطيبه سمعه
ويريق فوق حصى المصلى دمعه   ويرى معالم من يحب وربعه
ومحمد

106

ومحمد للعالمين بشير
صلى عليه الله خير صلاته   وحبا معاليه جليل صلاته
ما حن ذو الاشواق فى جولاته   واتى مغانيه على علاته
فاتيح حسن الختم وهو قرير
فاميل الى مثل هذا الانشاد واشتهى ان اسمع من شدا فى مثل هذه الاشارات وشاد حتى من الله على ونظر بعين رحمته الى ووصلت الى تلك النواحى التى طال بكائى لاجلها ونواحى وشاهدت هاتيك المشاهد التى تعم بانوارها الخاصة كل مشاهد ووجدت ما وجدوه من الوجد لما حلوا فى اكناف نجد فانشات هاتيك القصيدة البديعة الانشاء البليغة المنازع بلا منازع بشهادة الاستنشاء لمجاراتهم فيما سلكوه من تلك المسالك وزدت عليهم من المعانى فى اوصاف تلك المغانى اضعاف ذلك ووجدت مكان القول ذا سعه وجلبت المعانى الشاسعه فى ميادين البلاغة الواسعه فرميت بالحسد من الاقدار وغالتها يد السارق مع غيرها من وجوه الفوائد التى لم تعرف لها مقدار ولولا ان كنت انشدتها بين يدى الرسول وبلغت منها غاية المنا والسول لمت حنقا عليها وخرجت روحى شوقا اليها لكن داوى هذا المرض ما كان وقع من حصول الغرض ومع ذلك ما اسفت على شى مما ضاع اسفى على ادبها الذى فاح نشره على الاقطار وضاع وهذه القصيدة هى المعنية بتمنى الرد بقولى فى الخطبة فياليته لو رد وهى التى سالنى عنها بعض الاصحاب فانشدته مرتجلا والدموع كالسحاب
الا فى سبيل الله ضاعت قصيدتى   وان كان خير الخلق ابدى قبولها
فياليت شعرى هل ترد لفكرتى   واعلم منها شعبها وقبيلها
تقبلها الله تعالى وان ضاعت منى ورضى بها بفضله وكرمه عنى امين وبادرت من المواجهة الى ايقاع الصلاة فى روضة الجنة لاجعلها سترة لى من النار روضة ثم اخذت انتصل من ماثمى العظام التى اقوت القوة واوهت العظام واخاطب الرسول عليه السلام واقول لسان العبد السلامة اذا تجلى للقضاء السلام وانشد دون ملام

يامن به طيبة طابت خلا وعلا ... ومن بتشريفه قد شرف العرب
يا احمد المصطفى قد جئت من بلد ... قاص ولى خلد قاس ولى ارب
ومن دهتني ذنوب قلت اذ عظمت ... لله منها وطء المصطفى الهرب

اولا نشد قول من وقف بين يديه وحط آمال الرجاء لديه

يا شفيع العصاة انت رجائي ... كيف يخشى الرجاء عندك خيبه
واذا كنت حاضرا بفوادي ... غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش في البلاد انتفاع ... انفع العيش ما يكون بطيبه

وكيف لا ينتفع بالعيش من حل حول الرسول وهو قد حصل على المنى والسول

اذا كنت جارا للنبي وصحبه ... ومكة بيت الله مني على قرب
فما ضرني ان فاتني رغد عيشة ... وحسبي الذي اوتيته نعمة حسبي

وطاب بطيبة وظفر بملء العيبه وحمد السرى وطول الغيبه وتمتع في مسجد الرسول عليه السلام وتبختر في روضة من رياض دار السلام ابن عربي

يا حبذا المسجد من مسجد ... وحبذا الروضة من مشهد
وحبذا طيبة من بلدة ... فيها ضريح المصطفى احمد
صلى عليه الله من سيد ... لولاه لم نفلح ولم نهتد
قد قرن الله به ذكره ... في كل يوم فاعتبر ترشد
عشر خفيات وعشر اذا ... اعلن بالنادي وفي المسجد
فهذه عشرون مقرونة ... بافضل الذكر الى الموعد

استنشق من اعرافها كل شذى وتضاعف من طيبها طيب العنبر والشذا قال ابن بطال رحمه الله من سكن طيبة يجد من تربتها وحيطانها رائحة حسنة وقال الاشبيلي لتربة المدينة نفحة ليس طيبها كما عهد من الطيب بل هو من عجب العجائب وقال ياقوت من خصايصها طيب ريحها وللعطر فيها رائحة لا توجد في غيرها وما احسن قول ابي عبد الله العطار في عرفها المعطار

بطيب رسول الله طاب نسيمها ... فما المسك ما الكافور ما المندل الرطب

الشهاب:
طبنا بطيبة في الثرى وبدا لنا ... عند العبير عبيرها الفياح
بلد به حرم عليه جلالة ... للعفو في ابوابه مفتاح

وقد اطنب السيد السمهودي رضي الله عنه في تعداد فضائلها واسمائها وذكر من اسمائها ما ينيف على الخمسين اسما وكذلك صاحب نزهة العيون غير ان شهرتها بالفضل كافيه والعبارة بمعشار عشر ذلك غير وافيه ومما يستدل به على افضليتها على مكة وتقوية ما اشرنا اليه هنالك ما اخرجه الحاكم في مستدركه مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك وروى الطبراني في الكبير والمفضل الجندي في فضايل المدينة وغيرها عن رافع بن خديج قال سمعت وفي رواية اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المدينة خير من مكة وقد عقد السيد السمهودي لخصايصها فصلا سرد فيه ازيد من مائة خاصية ارجحها كون النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر واكثر الصحابة مخلوقين من طينتها واشتمالها على البقعة المتفق على تفضيلها حتى على العرش وكنت الزم الصلاة في المسجد النبوي بل كنت لا اخرج منه في الغالب الا لقضاء الحاجة واذا فرغت من الصلاة الزم السلام عليه والصلاة واكثر من ذلك واستشعر قول الشهاب هنالك

صاح ان جئت طيبة وبدت ... من قباها رؤس تلك القباب
صل فيها على النبي وسلم ... عدد الرمل والحصا والتراب

وقوله
يا قاصدين الى الصلاة بطيبة ... نلتم مقاما بالنبي عظيما
فاذا جلستم في التشهد حوله ... صلوا عليه وسلموا تسليما

وخرجنا عشية لزيارة بقيع الغرقد والاستضاءة بانوار ساكنيه المزرية باضاءة الفرقد وتمثلت عندما اشرفت عليه والقلب في التهاب ما قاله فيه الشهاب

سقى بقعة فيها البقيع سحائب ... اذا اقلعت القت دموع المراسيا
منازل لو مرت بهن جنازة ... لقال الصدى يا صاحبي انزلا بيا
على انني لو مت فيها صبابة ... اعيدت بها روحي الى كما هيا

واذا خرجت الى البقيع فاول ما يلقاك فيه اذا خرجت على باب المدينة المسمى بباب البقيع قبة فيها صفية بنت عبد المطلب على يسارك وانت ذاهب في الزقاق الذي وسط البقيع الى ناحية المشرق وان ملت الى اليمين مع سور المدينة فهناك مسجد صغير قيل ان فيه موقف النبي صلى الله عليه وسلم

حين خرج ليستغفر لاهل البقيع وقيل هو زاوية عقيل بن ابي طالب التي دفن
فيها ودفن فيها كثير من اهل البيت روى خالد بن عوسجة قال كنت
ادعو ليلة الى زاوية دار عقيل فمر بي جعفر بن محمد فقال لي اعن اثر
وقفت هنا قلت لا قال هذا موقف نبي الله بالليل اذ خرج يستغفر
لاهل البقيع قال المراغي وقد اخبرني غير واحد ان الدعاء هنالك
مستجاب فاذا مررت كذلك تحت سور المدينة يمينا الى ان توازي
قريبا من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيد اسمعيل فهنالك على
يسارك القبة المائلة في الهواء وفيها مشهد العباس ومشهد الحسن بن
علي ومشهد امه رضي الله عنهم على المشهور ومشهد زين العابدين ومحمد
الباقر وجعفر الصادق وكثير من اهل البيت رضي الله عنهم وعليهم
درابزين هائلة حسنة بديعة النقش والصنعة ذكر الزين الحنبلي
ان باني هذه القبة العظيمة هو الناصر لدين الله ابو العباس احمد بن
المستضيء ولما دخلنا هذه الروضة وقفنا امام العباس نستدفع
ببركته كل باس ونستسقي بجاهه غيث الرحمة اذ به كان يستسقى للناس

زر بعد خير الرسل تربة عمه ‖ واشن الدعاء به على العباس
واستسق سحب دموع عينك حوله ‖ فلطالما استسقي به للناس

ومثله قول الاخر

تبسم اذا وافيت طيبة تربة ‖ يطيب بها عند العبور عبيرها
وان زرت عم المصطفى في بقيعها ‖ تجد تربة العباس يبسم نورها

ثم التفتنا الى مشهد الامام الحسن وسالنا من الله بجاهه ان يمن علينا
بالختم الحسن واستنشقنا طيب تلك الريحانة التي فاقت الرياحين وغمرتنا
والحمد لله بركاتها الظاهرة في الحين

حوى الحسن بن فاطمة ضريح ‖ به ريحانة ابدا تضوع
فلا تعجب لقولي حين ادعو ‖ امن ريحانة الداعي السميع

وتوجهنا لمشهد السيدة فاطمة التي امست محبتها لكل محب عن الشهوات
فاطمة وسالنا بجاهها العيشة الراضية والحالة الناعمة واقبلنا على كل
من شملته باخلاص النية في بلوغ الامنية ثم توجهنا لزيارة المشاهد

التي

التي بين هذه القبة وزاوية دار عقيل فزرنا مشهد امهات المومنين
كلهن ما عدا خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف كما سبق وزرنا
المشهد المنسوب لعقيل بن ابي طالب رضي الله عنه وسالنا الله فيه ان
يكمل لنا في كل ما سالناه منه وذكرت حوله قول الشهاب ابن ابي حجلة فيه موريا

سالت فتاة في البقيع اها هنا ‖ مزار عليه للوفاء دليل
فقالت لنا هذا وذاك كلاهما ‖ خليلا صفاء مالك وعقيل

قيل في مشهد عقيل قبر ابن عمه ابي سفين بن الحرث روى ان عقيل بن
ابي طالب راى ابا سفين بن الحرث يجول بين المقابر فقال يا ابن عمي
ما لي اراك هنا قال اطلب موضع قبر فادخله داره وامر بقبر فحفر
في قاعتها فقعد عليه ابو سفيان ساعة ثم انصرف فلم يلبث الا يومين
حتى توفي ودفن فيه وزرنا المشهد المنسوب لبنات النبي صلى الله عليه وسلم
ما عدا فاطمة وزرنا مشهد سيدنا ابرهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قبره
وقبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقد جاء في الحديث ان اول من
دفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع عثمان بن مظعون فلما توفي ابنه
ابرهيم قالوا يا رسول الله اين نحفر له قال عند فرطنا عثمان بن مظعون
وفي الحديث ما يدل على ان بنات النبي صلى الله عليه وسلم هناك ايضا كما في
الطبراني وغيره وفي هذا المشهد قبر فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كما حققه السيد واستدل له باحاديث وقال بعدها وهذا
صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم في المشهد المنسوب اليها قال ابو سالم
والمشهد المنسوب اليها اليوم في فم زقاق اقصى البقيع من شرقيه بل قال
اهل التحقيق انه ليس من البقيع البتة وفي هذا المشهد ايضا قبر عبد الرحمن
ابن عوف رضي الله عنه وفيه ايضا سعد بن ابي وقاص وفيه ايضا قبر
عبد الله بن مسعود وقبر خنيس بن حذافة السهمي زوج حفصة قبل النبي صلى
الله عليه وسلم وقبر سعد بن زرارة كما ايد ذلك كله السيد باحاديث تدل على
ثبوت تلك المقابر في هذا المشهد ثم قال بعد بسطه ذلك غاية البسط
مويدا باحاديث في غاية الصحة والضبط فينبغي السلام على هولاء كلهم عند
زيارة مشهد سيدنا ابرهيم ولذا قدمنا ذكرهم معه وتخلط على ابي سالم

فكان اعتراضه غير سالم و زرنا مشهد امير المومنين عثمان بن عفان
رضي الله عنه بموضع يسمى حش كوكب في اقصى البقيع من ناحية المشرق
وعليه قبة عظيمة هائلة قريبة العهد بتجديد البناء وقد ذكر الزين
الحنبلي ان الذي بنى تلك القبة هو اسامة بن سنان الصلاحي احد امراء
الصلاح يوسف بن ايوب سنة احدى وستمائة وما زالت تتجدد من
ذلك الوقت وامتثلنا قول من قال واخلص النصح في المقال

زر بالبقيع امير المومنين تبت   عند ابن اروى من الغفران ريانا
وقل لطرفك ان اجرى الدموع دما   الله اكبر يا ثارات عثمانا

و زرنا المشهد المنسوب لحليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم
وزرنا مشهد الامام مالك بن انس رضي الله عنه اذا اخرجت من باب
البقيع كان مواجها لك على يمين زقاق البقيع الذي يشق وسطه وذكرت
عنه قول الشهاب فيه مورّيا وملمحا

سالت صديقي بالبقيع وقد بدت   به تربة يدعو بها كل سالك
اقبر عقيل ذلك القبر قال لا   وحقك هذا كله قبر مالك

وزرنا القبة التي الى جنبه المنسوبة لنافع مولى ابن عمر وقيل نافع القارئ
وقيل غير ذلك و زرنا المشهد المنسوب لفاطمة بنت اسد باقصى
البقيع وقدم عدم ارتضاء السيد لذلك وقال عند ذكره لهذا المشهد
الظاهر انه مشهد سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه و زرنا المشهد
المنسوب لابي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد اغفله السيد كما اغفل
مشهد حليمة فليحرر ما موجب ذلك هل احداث بنائهما بعد او عدم
ثبوتهما عنده و رحنا من البقيع فصلينا المغرب والعشاء في روضة
الجنة وتمت علينا لله المنة واصبحنا من الغد مع طلوع الشمس في احد
الجبل العظيم القدر المستضاء بمن حواليه من الشهداء استضاءة الافق
بالنجوم والبدر فاول ما زرناه به مشهد حمزة بن عبد المطلب عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه في القبر عبد الله بن جحش وهو ابن اخت حمزة
ومعهما في القبر مصعب بن عمير وهو الجاري على السنة في هذه الازمان
وقال السيد الصحيح انه ليس معه احد وان مصعبا وعبد الله دفنا

بقربه

بقربه فيسلم على الثلاثة في مشهد حمزة والمشهد عليه قبة عالية متقنة وبابه
مصفح بالحديد وحوله بناء متسع فيه بئر وفيه مواضع للوضوء متصلة
بالسطح قال السيد والقبر الذي عند رجل سيدنا حمزة والذي بالصحن
ليسا من قبور الشهداء وفي خارج المشهد بئر اخرى كبيرة وبازائها صفة
مسجد وتحته ماجل ماء يهبط اليه بدرج وباب المشهد في سائر الايام مقفل
لا يفتح الا يوم الخميس في غير الموسم يأتي من المدينة بقصد فتحه وهو ز
صدقاته و زرنا القبور المنسوبة للشهداء بعد حمزة واما كونهم ليست معلومة
العين على التحقيق لكنها معلومة الجهة فاما مصعب بن عمير وعبد الله
ابن جحش فيسلم عليهما مع حمزة كما تقدم واما سهل بن قيس من بني سلمة
فقبره دبر قبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل واما عمرو بن الجموح وعبد الله
ابن عمرو بن حرام ففي الموطا انهما في قبر واحد مما يلي السيل قال الواقدي
ومع عمرو بن الجموح في القبر خارجة بن زيد وسعد بن الربيع والنعمان
ابن مالك وعبد بن الحسحاس قال ابو غسان وقبورهم مما يلي المغرب
من قبر حمزة بنحو خمسمائة ذراع قال السيد وقد تاملته فوجدت ذلك
بالربوة التي غربي المسيل الذي هناك ومجرى العين بقربهم من القبلة
وقد روي ان ابا ايمن مولى عمرو بن الجموح معهم ايضا وكذا خلاد بن عمرو
ابن الجموح فيسلم على هولاء الثمانية هنالك قال واما بقية الشهداء
فلا تعرف قبورهم والذي يظهر انها بقرب الموضع المذكور وقرب قبر
حمزة رضي الله عن جميعهم وقد عد السيد اسماءهم كغيره من اهل السير
وتبركنا بجميع نواحي الجبل وما فيه من المواضع معلومة وغيرها لان فضل
جبل احد معلوم مشهور ومزيته وشرفه مقرر بين الخاصة والجمهور فقد قال
فيه عليه الصلاة والسلام جبل يحبنا ونحبه وكان يأتيه وقال انه على باب
من ابواب الجنة وترابه يستشفى به ولذلك استثناه الزركشي من نقل
تراب الحرام ولكنه قصره على حمزة لان التداوي بتربته متداول مشهور
بالشفاء من الصداع وقال السيد تربة صهيب ولي بذلك ومحل الشهداء
الان يعبر عنها اهل المدينة بالمعركة وزرنا هنالك المسجد المشهور بمسجد
الثنية ومن هنالك تيممنا لناحية قبا والتبرك باثارها ومساجدها

القيم صح

قال ابو عبد الله الفيومي

لله يوم في قبا قد مر بي ... في جمع احباب وبسط زائد
وتمتعت في روضة احداقنا ... بحدائق تسقى بماء واحد

واتينا الى المدينة المشرفة فجددنا الطهارة بالماء الفايض في نواحيها
وكله من البير المعروفة بالعين الزرقاء وهي في حديقة قريبة من بير
اريس كثيرة المياه كبيرة جدا قد امدت بمياه آبار متعددة منها بير
اريس فصارت متبحرة ينشعب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها
من الآبار فاتخذت لها اسراب تحت الارض الى ان خرجت الى بطحان
ثم الى غربي المدينة فقسمت جداول فادخل منها الى المدينة ما احتيج
اليه فظهرت داخل المدينة في مناهل متعددة وبنى لها بناء متقن يهبط
اليها في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء متقنة الوصف واسعة الممشى منها
يستقي اهل المدينة كلهم لشربهم والذي رايت منها ثلاثة مواضع احدها
شرقي المسجد بينه وبين باب البقيع في المكان المسمى الآن بالحرة والآخر
خارج باب السلام في الناحية الغربية عند سوق المدينة بالبلاط والآخر
شامي المسجد بعيدا منه الى ناحية باب الشامي واما خارج المدينة
فاخرجت في محال متعددة ايضا لم تزل تقرب من وجه الارض قليلا
كلما انحدرت في ارض المدينة الى ان خرجت على وجه الارض قريبا
من الغابة قريب شرقي مسجد رومة بينه وبين احد وعليها هنالك
مزارع وقد رايت جدولا منها قريبا من مسجد الراية في طرف ذباب
يهبط اليه في نحو ثلاث درج وهذه العين المباركة من اغزر العيون واحلاها
ماء والذه بها جل انتفاع اهل المدينة ومنها كل السبيلات الموقوفة بها
ومنها تملا الدوارق التي توضع في الحرم الشريف للشرب وهي لا تكاد
تحصى كثرة فما اعظم بركتها واوسع نفعها ولقد شاهدت من يستشفي
بمائها فيشفى ولله در القائل

لئن كان في زرق العيون شآمة ... فعندي ان اليمن في عينها الزرقا

ويا ما احسن قول الشيخ ابي عبد الله الفيومي موريا

سكان طيبة يبلى الحب صبكم ... والشوق عنه ليوم العرض في طول

تالله

تالله لم يشبه المقياس روضتكم ... ولا تسلى عن الزرقاء بالنيل

قال الامام ابو سالم وتسميتها بالعين الزرقاء من لحن العامة وصوابه
عين الازرق لان مروان الذي اجراها لمعاوية كان ازرق العينين فلقب
بالازرق وكان اجراؤه لهذه العين بامر معوية لما ولاه المدينة وكان
لمعوية اهتمام بذلك فاجرى بالمدينة وما حولها عيونا كثيرة دثرت كلها
ولم يبق الا هذه العين المباركة وقد اعتني بشانها من قبل السلطنة ولها
اوقاف معلومة وجراية تاتي من السلطان ولها امير معلوم وله خدام يتفقد
احوالها على ممر الازمنة ويصلح ما وهى منها ولولا ذلك لدثرت كغيرها
من العيون قال السيد ومن الغرايب ما ذكره الميورقي في فضل الطائف
عن شيخ الخدام بدر الشهاب انه بلغه ان ميضاة وقعت في عين الازرق
بالطايف فخرجت بعين الازرق في المدينة قال ابو سالم ولعل هذه الحكاية
وامثالها هي السبب في اعتقاد كثير من جهلة الحجاج ان العين الزرقاء
اصلها من مكة وانها هي التي جاءت الى مكة من ناحية عرفة من جبال
وراءه ويقولون انه لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته فهي التي
ظهرت بمر الظهران ثم بخليص ثم ببدر ثم بالخيوف كلها الى ان وصلت
المدينة ويصممون على ذلك حتى اني رايت بعض من هو معدود من
الفقهاء يعتقد ذلك فقلت له كما قال الامام ابو بكر بن العربي رضي الله عنه
في مسئلة الصلاة على النجاشي حيث قال بعضهم رفع له حتى رآه فصلى عليه
فان الله على ذلك لقادر وان نبينا لاهل لذلك وفيما صح من معجزاته صلى
الله عليه وسلم والآيات الظاهرة على يديه غنية عن انتحال ما لا اصل له قال
وبطلان كون هذه العين من مكة اوضح من ان يذكر فانه لم يكن
في زمنه صلى الله عليه وسلم بعرفة ولا بمكة ولا بالمدينة عين تذكر على هذا النعت
ولا ما يقرب منه وانما اجريت هذه العيون بعد ذلك بازمان ولما دخلت
المسجد النبوي فصليت في روضة الجنة وقصدت المواجهة الشريفة لاتخذها
جنة فجددت التسليم على الرسول وصاحبيه ابي بكر وعمر وتنعمت بالنظر
الى الكوكب الدري الذي هو ازهى من الشمس والقمر ثم جلست استريح
واستنشق من روضة الجنة اطيب ريح وورد علينا صاحبنا ومحبنا

الفقيه العلامة ابو عبد الله محمد بن عبد الله الفيلالي المذكور فيمن
لقيناه بمكة وكان تعرض لنا وقت دخولنا واتينا وجاء بعده ولده
الانجب سيدي محمد وانطلقنا الى دارهم مع جماعة من اصحابنا واحضر من
الاطعمة المنوعة المختلفة والموتلفة ما نسال الله تعالى ان يكافئه
عليه ويكرمه يوم القيمة بالنظر اليه واما الفواكه والخضر الوقتية
من العنب الجيد والرطب الحسن والبلح المزهو وغير ذلك ما يعجز عن
تحصيله هنالك جزاه الله خيرا ولقينا في المسجد النبوي ايضا صاحب
والدنا الفقيه الناسك الخير الصالح الشيخ سليمان الحصيني وجماعة
من اصحابنا المغاربة وبتنا هذه الليلة في المسجد النبوي متصلين
بالشباك الا نود فيما بين الروضة والمنبر وامتلا المسجد الشريف
بالوفود واجتمعت فيه جماعات لا يمكن وصفها اذ الوصف يقصر عن
ادراك ذلك المنظر الباهر ويكل دون جماله الزاهر وبعد صلاة
العشا اخذنا في انشاد القصايد المدحية من البردة والهمزية وغير
ذلك وانشدت عند راس الرسول عليه السلام قصيدتي المتقدمة الذكر
وطاب بشراب معانيها الشرب والسكر وظهرت لي اثار قبولها
واستنشقت ارواح شمالها وقبولها ولذلك اشرت بالبيتين السابقين
في الاستغفال لها والشوق اليها وكيف لا اشتاق لبكر تشحذ الافكار
بجمالها وتعجز فوارس الابكار عن حسنها وكمالها وذكرت هنالك
ايضا قصيدة اخرى كنت اتخذتها عند الرسول غنيمة وذخرا كنت
اشتاق في اولها لتلك المساكن واشتهي ان القى من بها ساكن واولها

يا بارقا لاح من قبا سحرا   بحيث حل من النهى سحرا
اعار قلبي خفقا واخلف فاستعار من سحب مقلتي مطرا
واذكر العهد من سعاد ولم   انس وهاج الاحزان والفكرا
ايام نسقي بها الشمول على   روض يشاكل زهره الزهرا
وغصنه طربا تميله   ريح الشمال ليلثم النهرا
ونهره كالحسام جرد في   وسط الرياض يسيل منهمرا
وزهره فيه صار منتظما   لما غدا القطر فيه منتشرا

ام هل اطيب بطيبة زمنا   وهل اعود من عطرها عطرا
وهل ارى منشدا بساحتها   مدح الرسول المبعوث من مضرا
محمد المصطفى الرسول ومن   على جميع الارسال قد ظهرا
قطب على الانبياء قاطبة   وخير كل الاملاك والشعرا
لولاه ما طلعت ذكاء ولا   لاح الهلال والكون ما ظهرا
له المحاسن كلها جمعت   فكامل الحسن فيه ما شطرا
يخجل شمس الضحى بطلعته   وقمرا التم نوره قمرا
وقده فضح الغصون ومن   مبسمه راح يفضح الدررا
نور الصباح يحكي اسرته   وسدفة الليل تشبه الشعرا
كم معجزات على يديه بدت   عن حصرها كل شاعر حصرا
فما تعد ولا يحاط بها   ومن يعد النجوم والمطرا
قد خصه ربه الحكيم بمعجز الكتاب فاعجز الشعرا
ويوم مولده بدت عبر   لمن راها يا حسنها عبرا
بنوره نار فارس خمدت   كذاك كسرى ايوانه كسرا
والظبي والضب والذراع له   قد افصحت بالكلام دون مرا
وقد راى ربه بمقلته   ليلة اسرى ولم يزغ بصرا
والشمس قد ردها الاله له   بعد المغيب وشق القمرا
في كفه سبح الحصا وبها   فاض الزلال المعين وانفجرا
وزق الحمام حمت مكانته   كذا له العنكبوت قد سترا
والعين قد ردها واعذبها   بريقه وسحابها بدرا
والدوح قد اقبلت بلا قدم   تسجد بين يديه اذ امرا
وكم وكم راحة براحته   نيلت واذهب لمسها ضررا
هذا هو الفرد في محاسنه   هذا الذي لا يقاس بالنظرا
اسال ربي الاله يمنحني   بجاهه ما يقر لي النظرا
وان يكون الختام لي حسنا   اذا رايت الحمام قد حضرا
فيا رسول الاله تشفع لي   فانني قد اتيت مفتقرا
قد حملتني ما لا تمى ثقله   وليس لي شافع سواك يرى

ثم الصلاة عليك ما سجعت ... ورق على ورق الربا خضرا
وما شدا شائم بروق قبا ... يا بارقا لاح من قبا سحرا

وذكرت ايضا قصيدة كنت قلتها فى زمن الصبا لما مال القلب لمدح الرسول فصبا وكان الطف فيه من نسيم الصبا واولها

ترنم الطير على غصن بان ... اذ بان غيم الجو والصحو بان
وقامت الادواح راقصة ... لما حكى القمرى صوت القيان
فلتغتنم يومك فى روضة ... كانها من غرفات الجنان
روضتها انس نور نوارها ... يشب نار الشوق وسط الجنان
تذكر العاشق نسمتها ... نسمة ارض شانها اى شان
ارض بها حل الحبيب الذى ... قد كل عن تكييفه الثقلان
اشرف مخلوق واكرم من قد ... خصه الله باعلا مكان
محمد المجتبا خير الورى ... الحامد المحمود طول الزمان
من وجهه الوجه الجميل الذى ... تخجل من انواره النيران
ومن حوى الحسن باجمعه ... وجمعت فيه الخصال الحسان
واظهر الله على يده ... كم معجزات افصحت عن بيان
ان الذى اعز من شرف ... عن حصره يعجز انس وجان
بالحق رب الخلق ارسله ... فاتضح الحق به واستبان
وكم حباه الله من آية ... بينة بانت لقاص ودان
شق له البدر وردت له ... بعد المغيب الشمس والصحو دان
والضب والظبى بمجلسه قد ... كلماه بفصيح اللسان
والدوح جائته على سوقها ... تخط فى الارض بغير بنان
هذا اجل الخلق قاطبة ... هذا شفيع الخلق يوم الرهان
هذا الذى فى حسنه مفرد ... هذا الذى ليس يقاس ثان
اسال ربى الله يمنحنى ... بجاهه فوزا بنيل الامان
وان يكون الختم لى بالرضى ... فانه ذو الجود والامتنان
ثم صلاة الله دائمة ما ... كتم الصب هواه وصان
على النبى وآله والصحب ما ... ترنم الطير على غصن بان

وختمنا

وختمنا ذلك المجلس الحفيل بتلاوة الذكر وتوجهنا الى الله تعالى فى تلك الاوقات والامكنة المعروفة باجابة الدعاء فلا جزاء عليها الا الشكر وتضرعنا الى الله تعالى نتوسل برسوله اليه ونلم بجوابه عليه ونسال الخيرات الدنيا والاخرة ونطلب بجاهه الدرجات الفاخرة فياما اسعد ليله طاب للمشوق فيه ان يصل بالسهر نهاره وليله ويا ما احلى فيها كاسات الوصال ويا ما اكثر راحة الارواح فيها والاوصال يستعذب المشتاق فيها عذاب السفر ومشقاته ويستقرب ما نعب الاقراب من بعيد شقاته ويحمد السرى ويتمنى ان لو كان دائما فيمن سار اليها وسرى فياخذه استلذاذ تعداد المراحل اليها وانشاد القصايد المشتملة عليها ويهيم كما همت فى جماعه اعزموا بقصيدة البدر ابن جماعه التى ذكر فيها جميع المراحل وقال وهو الى الحرمين الشريفين راحل

دعى الشوق داعى الشوق حين دعاها ... فلبت وبلت بالدموع خطاها
فلا تزجراها فى المسير فعندها ... من الشوق ما لو خليت لكفاها
نسير بمسراها الى ارض مكة ... لتنشق منها عرفها وشذاها
وتنهل من تلك الموارد نهلة ... فتطفى ببرد الماء حر جواها
عساها اذا جدت تجد راحة لها ... وتمحو بحسن القصد قبح خطاها
لقد عاينت فى سيرها كل شدة ... تكابدها فى صبحها ومساها
فمن بركة الحجاج سارت بحثها ... من الشوق حادى العيس حين حداها
وقد يممت وادى البويب بعزمة ... لتحمل عند الصبح فيه سراها
فمرت بروض الكبس والدهر ضاحك ... من السحب لما طال فيه ثواها
مراكم موسى والمصانع قبلها ... اتت وهواها للسويس دعاها
ولما رات وادى القباب تبادرت ... وفى نخل امست وطال مساها
وفى السطح امست واستقرت هنية ... وفى ايلة الفيحاء كان ضحاها
الى حقل سارت والغرام يقودها ... وبين جروف وردها ومناها
بوادى عنان باشرت ثم يممت ... مغار شعيب كى يزول ظماها
وقرت عيونا بالعيون وراجعت ... وقد طلقت اجفانها لكراها
ولا تنس وادى النبك اذ نزلت به ... فردت وسارت تستلذ عناها

وفى ارض سلمى سلمت ثم يممت   كفافة تكفيها شديد صداها
وفى ازلم حلت وقد طاب عيشها   ومنها الى الاصطبل سار خطاها
ومن بعده جاءت الى الوجه وارتوت   وسارت الى اكرى وطاب هواها
ويا حبذا الحوراء للركب منزلا   ومن بعده نبط يفوح شذاها
وفى ينبع كان المقام فحبذا   ديار لعمرى لا احب سواها
وامست على الدهناء والشوق سائق   الى نحو بدر والسرور علاها
وبالقاعة البزواء حطت رحالها   وفى رابغ لبى الحجيج شفاها
وارض خليص حبذا ذاك منزلا   به بلغت كل النفوس مناها
وفى بطن مر قد نزلنا عشية   ومن مكة لاحت بروق سناها
وقرت نفوس كان اقلقها السرى   وزال لعمرى بوسها وشقاها
وبعد ثمان فاستقلوا الى منى   وصلوا وباتوا ساكنين رباها
الى عرفات بعد ذاك توجهوا   وحلوا بها مستغنمين دعاها
وبت فى جمع لهم ليلة مضت   فما كان احلا ذكرها وسناها
فصلوا وساروا الى قاصدين منى   وما منهم الا الجمار رماها
وضحوا الضحى يا حالقين روسهم   وعادوا الى تلك العيون كراها
وبعد طواف البيت عادوا الى منى   وكم من أمان نالهم بمناها
اقاموا بها مستوطنين بلدة   يودون فيها لو يطول مداها
وساروا الى الهادى واطرب سمعهم   بذكراه حادى العيس حين حداها
الى بدر عادوا ثم منها توجهوا   بقصد الى الصفراء وقت ضحاها
ومن بعدها ساروا العقيق وهم سوى   ليثرب حياها الحيا وسقاها
يزورون قبر المصطفى معدن الحيا   نبى الهدى اعلا البرية جاها
هو المصطفى خير البرية احمد   شفيع الورى يوم القيمة طاها
كفيلهم والنار قد احدقت بهم   فأوهى قواهم حرها ولظاها
اليك رسول الله يا من بفضله   جميع المعالى كلها تتباها
ضيوف اتوا يبغون جودك والقرى   وحاشا وكلا ان يخيب رجاها
مرادهم منك الشفاعة فى غد   اذا اسمع الداعى النفوس دعاها
عليك صلاة الله ما لاح بارق   وما طاب من وادى زرود صباها

وآلك والاصحاب يا خير مرسل   صلاة تعم السامعين مداها

ومن الصباح اخذت الركاب فى الارتحال والقلوب من الم الفراق فى اوجال واوحال ولحال قد حال وفاضت عبرات الفراق التى لا تعالج بمداواة الفراق

ارسلت مقلتى دموعا غزارا   وحوت اضلعى لهيبا ونارا
وتناءى صبرى وهل يجد بعد   يجد الصب سلوة واصطبارا
يا ديار الاحباب كان اختيارى   ان اراك المساء والابكارا
ذاك لو يسمح الزمان ولكن   ليس لى ان اعارض الاقدارا
ليس عزمى رضى وعن طيب نفس   انما كان بالقضاء اضطرارا
واختيارى ان لا افارقك الدهر   ولكن لا املك الاختيارا
فعسى الله ان يمن بعود   وعساه يطفى لهيبا ونارا

ذكر خروجنا من المدينة المشرفة الطاهرة الى مصر القاهرة

كان خروجنا من المدينة المشرفة اليوم الثالث من دخولنا اليها وقلوبنا تزداد اسفا عليها بعدما ودعنا النبى صلى الله عليه وسلم واقبل القلب والقالب عليه وما سلم وفارقناه ونحن نعثر فى اذيال الحسرات ونتبع الزفرات بالزفرات وكيف لنا الشوق اجلب علينا رجله وخيله ولم نبت فى تلك الروضة المشرفة لا ليله

خرجنا وللقلوب التفاتا   ت اليه وللجسوم انثناء

وشرعنا فى الرجوع فى الحافرة حتى وصلنا الجديدة وسقى الناس جود الماء وحيده وحمل الناس احمالهم واخذوا اسلعهم وما لهم ومنها نزلنا بالدهناء ومن وصفها مستو فى فبقينا منه فى هناء ومنها نزلنا ببندر الينبع الذى لا تزال ينابيعه تنبع فاقمنا فيه يومين وقامت هنالك سوق عظيمة كالتشريق او اعظم وحضرت فيه انواع المطاعم والمشارب والفواكه وغير ذلك وهبت هنالك ريح سموم فعالة فى الخلق فعل السموم فمات من الخلق فى الينبع والدارين بعده ما لا يحصر احد عدده وفى بندر الوجه الفينا الملاقاة وردت للحاج من مصر لتذهب عنه ما عسى ان يصيبه من الاصر واقمنا هنالك يومين وكانت سوق عظيمة رخصت فيها الاسعار ولم يبق عار وورد

الحلاوى وانواع السكر والفانيد وغير ذلك وهنالك ورد علينا
رماص من العرب ببراوات كثيرة تتضمن موت السلطان وتزعزع
الاوطان ونضب الماء في الوجه وتغير القلب كل وجه وذهب
بعض الناس لمنهل الزعفراني فلم يكتفوا من مائه الفاني وفي اثناء
الطريق كلها كثيرا ما كنا نجتمع مع الشيخ يوسف الشرقاوي خطيب عرفات
المتوجه بصدد ذلك من مصر وكلما مر بنا جلس الينا وحدثنا باحاديث مطربة
واحضر لنا انواعا من الفواكه ولا سيما زبيب غزه واكثر فيه جوزه ولوزه
وتمم لنا الشهوه بفناجين القهوه وكان يدور امامه مملوك يعد من اللطف
في مراتب الحسن من المملوك فطلب مني بعض الاصحاب ان اقول فيه ابياتا
لطيفه تجمع رقيق الغزل ولطيفه وكنت ساعفته بذلك في ابيات
هلكت في الهوى لك واظن اولها

وعشية كم عيشت من ناس   حلف الغرام واذكرت من ناس
جادت بوصل مهفهف كالروض في   لازهار والازهار والايناس

وفي كل بندر كنا نلقى ملاقاة جديده مشتملة على انواع من المحتاج مديده
وكان الفول والشعير في جميعها بارخص سعر وابخس ثمن ما راى
الحجاج مثله منذ زمن ولما اشرفنا على مغارة شعيب اردنا زيارتها
وكان معنا الفقيه الخير المسن ابو العباس احمد الطيلوني فتذاكرنا
معه في ذلك فاخبر بعض العرب وسال منهم التوجه معنا الى ذلك
فساعفونا جزاهم الله خيرا ووقفوا معنا حتى قضينا الغرض من ذلك
الامر الذي عرض وفي تلك الليلة ظهر فضل الله علينا وبان وعلمنا
ان الله تعالى يقرب منا القربان اذ فيها سرق لنا الخرج بما فيه وضاعت
لنا تلك الرحلة البديعة التي لا يستكمل بليغ وصفها ولا يستوفيه مع
غيرها من الكتب القديمة والحادثة وما شاء الله من الذهب والريال
والفضة وغير ذلك من الحوائج النفيسة التي غنا لنا لها ايدي هذه
الطائفة الخادثة جعل الله لنا ذلك ذخيرة عنده وعوض بخير منه
عنده ولما وصلنا بندر عجرود وقضينا الارب من مائه الذي ليس
بمشروب ولا مورود فارقنا الركب المصري من هنالك وتقدمنا وحدنا

في تلك المسالك فبتنا بعد مجاوزة الدار الحمراء ذات التربة الحمراء ومنها
وصلنا للبركة ظهرا فالفيناها قد بهرت بمحاسنها بهرا وجمعت من
الاقوام ما يعجز عن استيفائه الاحصاء ولا يبلغ معشاره طالب استقصاء
خرجوا لملاقاة الحج وكلهم يبالغون في الترحيب بمن زار بيت الله وحج
وفيها من الفساطيط المزوقة والاخبية المونقة ما يقضي له بالعجب
ويحكم لملاكه بالرتب وحوالها من الاتراك والاجناد ما لم يتفق
في ناد وورد علينا الفلاحة فيها بانواع الفواكه والطعام حتى
اكتفى من ذلك الخاص والعام وبتنا هنالك في عيش ارغد وتوجهنا
لدخول مصر من الغد **ذكر دخولنا لمصر وما حوته من المحاسن التي
لا تقبل الحصر** كان دخولنا لمصر صباح يوم الجمعة عاشر صفر الخير من
عام اربعين ومائة والف فتلقانا الفنا ونعم الالف رفيقنا ابو
عبد الله بباب النصر وفرحنا به فرح المهزوم بالنصر ودخلنا معه
والفيناه اكترى لنا محلا انزلنا فيه الامتعه وورد علينا عمه سيدي
الحاج مسعود الرجل المبارك المسعود فبالغ في التسليم ورفع المقدار
ثم انطلق بنا الى الدار واحضر لنا من انواع المشارب والمطاعم
كل نوع ناعم واوسع الخدم والعشائر واظهر من سنة اكرام الوارد
اسنى الشعائر كثر الله الخيرات عليه واجزل مواهبه السنية اليه ولم
يزل يتعاهدنا اياما بالطعام ويبالغ في الانعام ولما زال عنا شعث
السفر شرعنا في قراءة الخلاصة مع رفيقنا المذكور ليجدد العهد بالقراءة
ويتبصر من مبادي العربية في امور وبقي معنا حتى استهل ربيع الاول
واشتد شوقه للسفر فاذهب له وعول وعزم على ركوب بحر سويس
والتوجه الى المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ليغنم
بعض اقامة في مشاهدة تلك الانوار النبوية السنية فلم نجد بدا من
مساعفته على ذلك ومساعدته على التوجه لهنالك وفارقنا في اواسط
الشهر المذكور وتركنا حيارى لفراقه بعدما نجتماع به ومرافقته في مراجعه
وملاعبه ومحادثته في تلك الايام التي نعد الطويل من الاعوام
وسار الى السويس ولي فؤاد   به من نار فرقته اتقاد

فيا ليت الزمان يجود يوما   بلقياه ومادهري جواد

ولم يزل يوجه لنا الرسايل وكلما وردت رسالة من سويس هاجت الدمع السايل وبلغت الوسائل من قلة عن احبته باحث وسائل ولم ينقطع ذلك حتى ركب في البحر بالسلامة التامة والعافية العامة ان شاء الله تعالى

فنسال لعودنا كما قدر البينا   واسكب من عيني لفرقته عينا
يقدر باللقيا سريعا فانني   وقد قرّ من لقيا حبيب الحشا عينا

ولما صار اثرا بعد عين وحال بيني وبينه قدر البين بقيت بعده في قنط لم يجز مثله من ايس ولا من قنط لولا ان اتى الله علينا بالاخ في الله والمحب من اجله الفقيه النبيه المشهود بذكائه وفضله الاديب الاريب الذي لا يستطاع ثاقب ذهنه وبارع عقله الناسك الورع الذي ورد من بحار العرفان وعقله بهجة الزمان ولهجة اللسان ودرة الجمان ودرّة الاحسان اجل من اجلة المجلون وامثل من انخرط في سلك جلالته المحلون محبنا ابو زيد عبد الرحمن بن الفقيه المودب الناسك المجيد ابي العباس احمد بن جلون ادامه الله مترقيا الى سموات المعارف واسبغ عليه فوق ما يومل من الاحسان والعوارف وابقاه ثمالا للعلماء حيثما كان وارقاه الى مراتب الافاضل الكرماء في كل مكان فانه حفظه الله قام لنا مقام ذلك الرفيق المساعد بما حواه في الاحسان من طول اليد وامتدادا لساعد فكان ياخذ بايدينا في جميع المقضيات مقاربة ومباعدة مع تمام المساعفة والمساعدة الجود يقف الحق دون الوصول اليه وكرم خلق لا معول في الحلم الا عليه فكنا نجد به من الانس ما نسال الله تعالى ان يجزل له عليه جميل الثواب وكان يسدي الينا من الاحسان ما يقصر دونه اللسان ولا يسعه الخطاب والجواب مع السعي في حوايجنا ومقضياتنا بالوجه الممكن والجد في نفعنا دنيا واخرى بكل ما يتيسر من الطرق ويمكن والتنويه بقدري الخامل وتشريف ذكري في كل محفل كامل وتعلقي اعزه الله من اوكانه الى الدار فجعلني بفضله القطب الذي عليه المدار واخذ يسدي الي من الاحسان ما لا يستطيع المكافاة عليه انسان فلذلك توجهت الى الله تعالى ان يتولى عظيم

جزائه على ما كان من نعمائه

وكيف اؤدي شكر من ان شكرته   على بر يوم زاد في مثله غدا

واما العبارة فهي قصيرة في مدحه وان طالت واني لها باستيفاء ماثره ومكارمه التي صالت على الانام وطالت

ولو ان لي في كل منبت شعرة   لسانا يبث الحمد كان مقصرا

وكنت اتنا ولعه الكلام في امور متنوعة من العلوم فاذا له كمال الادراكات وثاقب الفهوم في كل معلوم وكان ينشدني ابياتا رائقة تدل على حسن نقده واستحضار نقده فمن ذلك ما انشدنيه وقد تذاكرنا المنازل الحجازيه وما فيها من الامور الحقيقية والمجازيه للعارف ابي الحسن بن وفا

خليلي اما جئتما حي قاتلي   فقولا له مضناك ملتمس نظره
فان تريا في الوجه ماء بشاشة   فاني لا اخشى خليلي ما اكره

وانشدني لغيره

روّ فخر من ماء نبط   لو يكن في العمر مرة
ودع الجور فاني   ابغض الجور واكره

وانشدني لابن بدر الدين المغربي

تقنعت من زاد الرفيق وما به   وسرت لبيت الله اهدي له شكره
ووفرت ما عندي احترازا وانني   لصوني ماء الوجه لم ار ما اكره

وانشدني لنور الدين ابن الجزار الشافعي

ولما رايت الوجه سال من الحيا   وقد طاب فيه للبحيح مقام
على ذلك الوجه المليح تحية   مباركة من ربنا وسلام

وفي اثناء هذه شرعنا في قراءة شمايل النبي صلى الله عليه وسلم بمسجد العوزية بعد العصر لان جماعة من اصحابنا المغاربة سالونا ذلك لما تقرر عندنا من قراءة هذا الكتاب في مثل هذا العصر فكان يجتمع هنالك درس حافل من اعظم المحافل وكانت تحصل تقريرات حسنه وازالة اشكالات مستحسنه وفي يوم الختم اكثروا لنا من انواع الطيب كماء الورد وماء الزهر والند والعود الذي لا مثل له ولا ند وكانت ختمة جميله استفاض لنا سرها من انوار النبوة حسن الضوء وجميله ولقينا بمصر جماعة من اصحابنا الفاسيين وغيرهم وبالغوا في انواع الاكرام وتنويع الشراب والطعام واكثار الانعام والانعام جزاهم الله حسن الجزا

بمنه وتنوعوا فى ذلك ما بين ليل ونهار واطناب واختصار وفى كل جمع تحضر جملة وافرة من الكتب المتنوعة الفنون وتحصل بالمذاكرة فوائد جمة بين هولاء الامة فمنهم محبنا الفقيه النجيب اللوذعي الاريب الاخذ من انواع اللطافة باوفر نصيب المتخير الذى لم يزل له فى كل حب من مزارع الاداب النقاط ابو الحسن على بن الفقيه الناسك الحاج العربى السقاط ومنهم الفقيه الحيى الحسيب الفاضل الرصين اللوذعى الاديب المحب الذى تيلينا محبته للشغف بمراه وضمنت اخلاقه العذبة له ان يحبه كل من راه ابو عبد الله سيدى محمد بن محبنا الفقيه العدل ابى عبد الله سيدى محمد السقاط فانه كثيرا ما كان يبرنا وينوع لنا فى الاحسان الذى لا يقوم بشكره اللسان جزاه الله احسن جزائه ووالى عليه اسبغ نعمائه ومنهم محبنا الفقيه اللوذعى الدراك الفاضل الحيى الذى اذكرنا مزاياه من سلف من الافاضل اخونا ابو عبد الله محمد العربى بن محبنا الفقيه الاديب البارع ابى محمد عبد السلام بنانى ومنهم اخونا الفقيه الجليل النبيه النبيل رب اللطائف والنوادر ابو محمد سيدى عبد القادر ومنهم المحب الاكيس الذى خطبته الاقلام بمزاياه على هذا المنبر الخالص المودة والاعتقاد والفاضل الذى اذعن لجوده فايض البحر وانقاد الخير الناسك الدين الاتقى الاحيى ابو العباس الحاج احمد بن يحيى رعاه الله وبارك فيه وتولاه فقد كانت له فينا محبة زائدة وبالغ فى اكرامنا والاحسان الينا بكل ما امكنه من صلة وعايدة تقبل الله محبته وعمله وبلغه فى الدارين امله ومنهم المحب الاوفى والمنهل العذب الاصفى المرضى الاحوال الكثير الصمت الا فيما يعنيه من الاقوال ابو مهدى الحاج عيسى المضغرى اصلح الله احواله وسدد افعاله واقواله ومنهم صاحبنا ومحبنا الفقيه الالمعى النبيه الخير الناسك الدين الزوار الصالح ابو محمد سيدى الحسين بن عبد الله الهوارى فقد كان لنا به اتصال وملازمة فى القراءات وحضر لدينا مجالس متعددة فى الحديث وغيره وقرا على بلفظه ازيد من نصف الفهرسة التى جمعها الشيخ ابو عبد الله محمد

الفاسى

الفاسى واجزته فى ذلك ومنهم محبنا وجارنا التاجر الوجيه النجيب النبيه الحاج الطيب ميارة ومنهم محبنا وصاحبنا التاجر الفاضل الحاج الشاوى التازى ومنهم محبنا الرجل الخير السيد موسى بن عبد الرحمن المنقاد فكل هولاء لم يقصروا فى اكرامنا ومقضيا تنا ومواسا تنا جزاهم الله خيرا بمنه ولقينا ايضا جملة وافرة من اهل مصر منهم الفقيه العالم المشارك الاديب البارع الدراك المتفنن ابو زيد القاضى عبد الرحمن المالكى المحلى المحب الفاضل اكرمنا فى بيته مرارا بانواع الاطعمة جزاه الله خيرا وخاطبنا بابيات اولها

يا ايها الحبر العظيم الشان … يا من به قد توج الملوان
يا من غدا بحر الفضائل صدره … اذ قد غدا صدرا لنيل معانى
يا من هو الحبر المفيد لمستدا … بحر لقاص فى الوجود ودانى
يا من به فاس السعيدة اشرقت … فخرا وقد ساوت على البلدان
والشمس ها قد اشرقت من مغرب … فى مشرق نورا على الاكوان
هو طيب من طيب ومحمد … حاز المحامد منة المنان
لا بدع ان اسديت لى درر النهى … فالدر من بحر لكل معانى
لا زلت يا شمس المعارف مشرقا … بين الورى باضاءة العرفان

واعرته كتابى شرح نظم الفصيح وكتب لى عليه تقريظا بالغ فيه ما شاء وابدع الانشاد والانشاء وحضر لدى فى درس الشمائل اياما وابدى ابحاثا نفيسة ويوم الختم طلب منا الاجازة فوعدناه بها ولم يمكنا الوقت لكتبها ومنهم عالم اهل مصر وورعها الرجل الصالح الزاهد المتفنن فى انواع العلوم المتعمق فى بحار المعارف المقدم على كل عالم فيها وعارف الفاضل الطاهر البركة المتواتر المزايا والعوارف ابو محمد عبد الرؤف البشبيشى دام الله وعايته لقيته بداره واكرمنى اكراما زائدا وهش للاقاة وبش وطش عارض مزنته على ورش وكان معى القاضى عبد الرحمن فبالغ له فى الثناء على وساعده هو حفظه الله فيما نسبه من الفضل وان كنت لست اهلا له الى وتبركنا بدعائه الصالح وملاقاته وسالناه ان يجعل لنا حظا من

ذلك في غالب اوقاته وحزناه للمذاكرة في شيء من انواع العلم فتنصل لنا
من ذلك وانشدني ابياتا تاصلت عني واكثر ميله للتصوف وقد ترك
التدريس ومعاطاة العلم وتخلى عن ذلك وتركه جانبا وخلع ومال الى
الفقر ولم يبق في مصر على سنن السلف سواه مجانب لاهل الدولة والرياسة
تارك لبيوت الظلمة معرضا عن الدنيا واهلها جزاه الله عن الاسلام
خيرا واستغربت في تواضعه وكرم اخلاقه مع ما جبل عليه اهل مصر من
التفاخر واظهار الفشر حتى انه قال لاولاده لما امرهم باحضار
الطعام انظروا اهل هناك لقمة تاتيه فطاقه لمولانا الشيخ المغربي
رضي الله عنه **ومنهم** الفقيه المشارك العالم المدرس الاديب
البارع الفصيح الناظم الناثر ابو العباس احمد العماوي المالكي احد
علماء الازهر وكبرائها ومدرسيها لقيته بالازهر بعد ما دعاني لداره
مرارا فلم يمكن الا بعد مدة حصل لي به اجتماع بعد صلاة الجمعة بالازهر
مع القاضي عبد الرحمن وعرفني قبل ان اتعرف له وانطلق بنا الى داره
واحضر لنا من انواع الاطعمة شيئا كثيرا وبالغ في الاكرام ما امكنه واظهر
لنا من الفرح والسرور والطلاقة والبشاشة ما لا يكيف وجلنا
معه في مسايل من انواع العلم فقهية وادبية ونحوية وتفسيرية وصوفية
وغير ذلك وكان اتصل بكتابنا شرح النظم المذكور قبل هذه الملاقاة
وكتب عليه تقريظا حسنا لا باس به ولقيناه بعد ذلك مرارا وفي كل
مرة نتداول من العلم ابحاثا نفيسة **ومنهم** الفقيه البركة
المشارك الشيخ سالم النفراوي الرجل الصالح المسن الاعمى الملازم للازهر
جل اوقاته وكلها يقري مختصر خليل والرسالة وغير ذلك للخلق به
انتفاع عظيم لقيناه بالازهر وهش لملاقاتنا وبش واخذ في الثناء
على علماء المغرب والاعتراف لهم بالفضل واظهر لنا فرحا كثيرا جزاه الله
خيرا وتذاكرنا معه في مسايل من بيوع الاجال والمعاملات وغير ذلك
ومنهم الاخ في الله والمحب من اجله مقدم الشيخ ابن ناصر والنايب
عنه في تلقين الاسرار بالنواحي المصرية وغيرها الرجل الصالح الفقيه
الخير البركة ابو عبد الله الشيخ محمد بن منصور السنفطي ورد علينا ونحن

عند

عند المحب الشيخ ابي زيد ابن جلون مرات ودعانا الى داره واكرمنا
اكراما زايدا على قدره وسعه مرات كثيرة جزاه الله خيرا وحضر لدينا
في الاربعين النووية بالغورية وتناولنا معه ابوابا من وعظ الحرفيش
وكنا نتعاهد للزاوية الناصرية عمرها الله بدوام الذكر فيها ونلقى
عندها جملة وافرة من الاخوان ونتجاذب معهم اطراف المسايل العلمية ولم
تحضرني اسماؤهم الان **ومنهم** الفقيه المتفنن ابو عبد الله الشيخ محمد
الجداوي احد علماء الازهر الاكابر المدرسين فيها من اشياخ المالكية **ومنهم**
المحب الكبير الخير الدين الشيخ ابو عبد الله محمد الشنواني القيم على جامع
الغورية حضر لدينا الشمايل والاربعين النووية وكانت فيه محبة
زايدة ومودة خالصة دعانا الى داره مرارا واكرمنا في كل منها اكراما
زايدا ونوع لنا الاطعمة ما شاء ومزج المشرقية بالمغربية والعجمية بالعربية
جزاه الله خيرا وتقبل عمله **ومنهم** الرجل الصالح المشحون الباطن
بمصالح المعارف ومعارف المصالح الشيخ ابو عبد الله محمد ابو النور زرناه
في داره مرارا وفي كلها يحضر لنا ما جرى به التكارم عندهم من شراب
البن المعروف بالقهوة ويبالغ في الترحيب والثناء الرحيب ويكثر
الكلام في الفنون التصوفية على اختلافها وله في ذلك باع عظيم وذوق
سليم يوجب له التسليم ويستدل بالامثال السايرة بين القوم ويويد
ذلك بالايات القرانية ويميل الى مذهب الشيخ ابن عربي الحاتمي ويذكر له
مكاشفات كثيرة وايات كبيرة واما سعة اخلاقه وكرم طباعه
وحسن ملاقاته وطلاقته وبشره للوافدين عليه فلا يجمع ذلك ولا يتوصل
بالتعبير اليه والناس فيه بين منصف مادح ومعترض قادح وارتكاب
طريقة التسليم احق بالرجل الحليم **ومنهم** الفقيه المسن الارضى
الشيخ عبد الحليم بن الشيخ احمد الحليمي الفيومي ورد علينا للغورية وتناو لنا
معه كلاما واسعا في امور كنا نستشكلها على مذهب الامام الشافعي وله
اخلاق حسنة ومفاكهة طيبة وكان يحضني على الاقامة بمصر ومساعفة
اصحابنا بالمجاورة هناك لنتناول شيئا من القراءة فتعللت له بان تلك الارض
غير ملايمة لنا وغير ذلك من التعللات والاعتذارات فعند ذلك

اخذ فى ذم تلك الارض ومساءة طولها والعرض وانشدنى فى ذلك

وما مصر الا بقعة من جهنم ... وان كان مجراها هنا لك نيل

بلاد بها الحلفاء تنبت وارضها ... سباخ واولاد الحلال قليل

وانشدنى فى ذلك ايضا

دع عنك مصر فاهلها بعد الوفا ... الفوا الجفا وتجنبوا فى الابنيه

قلبت بها الاعيان حتى اننى ... شاهدت سعد الدين سعد الاخبيه

وقد رايتهما فى كتاب السكردان للشيخ شهاب الدين احمد بن ابى حجلة وقال قبلهما حكى ان شهاب الدين القوصى قال كان يوما عند الملك الاشرف فدخل اليه سعد الدين الحكيم وكان بينهما وحشة فقال له الاشرف ما تقول يا شهاب الدين فى سعد الدين فقال اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفى الخيام عند الضيوف سعد الاخبية وعند المرض سعد الذابح فضحك السلطان واعجبه كلامه وعلم ان بينهما وحشة فاصلح بينهما وامر لكل منهما بتشريف انتهى وانشدنى ايضا

ارى ناسا بمصر فاخزونا ... بنخل ماله ابدا مثيل

فقلت لهم صدقتم فيما قلتم ... سواحلكم بها نخل طويل

قلت واين هذا ممن قال فى مدحها وانتصر وبالغ فى الثناء عليها وما قصر

لعمرك ما مصر بمصر وانما ... هى الجنة الدنيا لمن يتبصر

وغير ذلك من اقوال الرجال التى ضاق عنها المجال غير ان الداخل لها فى اول امره يجد من القنط فيها والضيق وحرج الخاطر والنفس ما لا يكيف ولا يحصر وكلما طال مكثه فيها انبسط فى عمارتها وفيافيها وقد حدثنى بها بعض الافاضل ان الداخل لمصر يكون انبساطه فيها على حسب التدريج ففى اول الامر يكون خاطره فيها ضيقا كالميم فيشتد الضيق ثم يتوسع عليه الحال شيئا ما وينتقل من الميم الى الصاد ثم ينطلق عليه الحال وتنطلق عليه الدائرة كالراء وقد جربوه فالفوه صحيحا والله اعلم ومنهم الاخ فى الله والمحب من اجله الرجل الخير المسن الذاكر الفاضل الحيى الشيخ عبد اللطيف التلمساني احد اصحاب الشيخ ابن ناصر رضى الله عنه لقيناه بالزاوية الناصرية ودعانا

الى

الى داره مرارا واكرمنا غاية الاكرام وفى كل مرة يتنوع لنا فى الاطعمة كثر الله خيره وجازاه احسن الجزاء بمنه ولقينا من اصحابنا المغاربة الرجل الصالح المتبرك بلقائه الورع المتبتل الزاهد العلامة المشارك الجامع لفرائد الفوائد المنقطع عن الخلق لله تعالى ابو عبد الله محمد العياشى ابقى الله بركته لقيناه مرارا وهش لنا وبش وكان يتعاطى معنا انواعا من مسائل العلم عربية وفقها وحديثا وغير ذلك وكان ربما يجر به الحديث الى مناقب الصالحين وذكر كراماتهم ومزاياهم فيذكر من ذلك شيئا كثيرا ويوسع القول فيه عن الامام الشعراوى وغيره وكنا نتجاذب معه اطراف الاحاديث ونستخرج منها اسرارا ربانية واحكاما دينية من فضل الله تعالى وبركته وكان لا نصافه وكرم شيمه وسعة اخلاقه وجميل اوصافه يسالنا كالمستفيد ليستخرج الاسرار ببركته ابقاها الله تعالى ويظهر الفرح بذلك وكان كثيرا ما يثنى على الامام المشهور بتلك الاقطار مولانا احمد البدوى رضى الله عنه ويذكر من كراماته ما يعجز عنه الحصر ويقول انه من اهل التصرف حيا وميتا اعاد الله علينا من بركات اوليائه الاحياء والاموات امين ولقينا جماعات اخر بالغوا فى اكرامنا ولم نستحضر اسماءهم واما من لقيناه فى الدروس وحصل لنا به مطلق اجتماع فى الازهر وغيره فلا يكاد يحصيه العد ولا ياتى عليه حصر ولا حد وكنا مدة اقامتنا بمصر خمسة اشهر نتردد لمشاهد المشاهير من الصالحين ونوكد زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه ومن بالقرافة الكبرى والصغرى وغيرهما كابى السعود والامام الشعراوى والمقام المشهور بالحسنين والشيخ على الحلوا جى ومقامات الاربعين على تعددها بمصر وغير ذلك من كل ما يزار من مشهد مزار ولما عزمنا على الخروج من مصر وفتح الركب للرحيل بابه ونصبت الخيام بالابنابه توجهنا لزيارة الامام الاعظم مولانا احمد البدوى رضى الله عنه فخرجنا لزيارته يوم الثلاثا الثامن من جمادى الثانية عام اربعين ومائة والف فصلينا الظهر على شاطى النيل ببولاق صحبة الاخ فى الله والمحب من اجله الفقيه النبيه الفاضل ابى عبد الله سيدى محمد بن ابرهيم

السوسى الذى تقدم ذكره فى رفقاء الحجاز واخويه الفقيه بن الحسين
سيدى عثمان وسيدى ابرهيم وناس من اصحابهم وسرنا فنزلنا قرية
سنديون وصلينا بها العصر وبتنا بها لانا اخبرنا ان القرى التى
امامنا لا وكايل فيها للبهايم ومنها بتنا بزاوية الشيخ المتبرك به سيدى
على المليجى بقرية مليج والفينا عليه حرما عظيما وبنيانا جديدا هائلا
ومياها كثيرة فى صهاريج عديدة متبحرة وحوله مدرسة عظيمة مملوءة
بالعميان لهم خراج معلوم وجرايات يقتاتون منها وفيه بيوت للضيفان
وتلقانا جماعة من اهل ذلك الحرم وبالغوا فى اكرامنا على قدر وسعهم وقلت
اخاطبه   نزلنا حماك ابا حسن   فعجل بكل قرى حسن
وعم جماعتنا واهلها   بفضلك من كل مستحسن
وبعد ان صلينا الصبح توجهنا لزيارة الشيخ على المليجى وولده الشيخ
عبد المنعم ودعونا الله تعالى فى ضريحيهما لنا ولمن سالنا ولعامة
المسلمين وخاصتهم بما نرجوا الله ان يتقبله ثم احضروا ما تيسر من الطعام
قبل طلوع الشمس فاستعملنا منه على قصد البركة وجبر الخواطر وسرنا
آمين سيدى احمد البدوى رضى الله عنه فوصلنا القرية التى بها
ضريحه وهى طنطة قرب الزوال فتركنا الدواب بالوكالة التى بقرب
حرمه وتوضانا وصلينا الظهر وفتحت لنا القبة التى بها ضريحه فدخلنا ها
واقبلنا عليه سائلين الله بجاهه ان يعمنا بخيرات الدنيا والاخرة وقرانا
به ما تيسر وختمنا به دلائل الخيرات والفينا على قبره من المهابة والجلالة
والعظمة ما يدل على علو قدره وسمو مرتبته وعنايته عند ربه انوار
ساطعه وبراهين قاطعه وايات بينات غنية عن اقامة البينات وبتنا
به تلك الليلة وكانت ليلة الجمعة واصبحنا به حتى صلينا الجمعة وفى اثناء
ذلك كله نتردد لذلك الضريح الشريف ونسال مولانا تعالى بجاهه
وعنايته لنا ولوالدينا ولاشياخنا واهلينا واحبائنا ولعامة المسلمين
وخاصتهم وقلت فى توجهى لزيارته
خليانى من حاسد او شانى   واتركانى لمقصدى او شانى
ودعانى من الملام فداعى   احمد البدوى اليه دعانى

الامام

الامام الذى تفرد بالتصريف حيا وميتا دون ثان
والهمام الذى ثنيت له الهمة والعزم لست عنه بثان
قطب كل الاقطاب قاطبة فالكل فى بابه رحى العنان
اوما جده الرسول الذى من   اجله كان سائر الاكوان
الف الفى تحية وصلاة   وسلام عليه دون توان
ما اقام الانام فى بابه الرحب الى فضله العميم ثوانى
فاذا ما وصلت ذلكم القبر الشريف المعظم النورانى
ورايت الانوار ساطعة فيه   يحاكى لالاءها النيران
وزرنا تلميذه الشيخ عبد العالى فى قبة عظيمة بغربى مسجده وضريح الشيخ
نور الدين فى قبة اخرى بازائها ومسجده عظيم وفيه مدرسة عظيمة وبه
مطهرة كبيرة كثيرة الماء غير ان ما بالمسجد من كثرة الاقوام والاوباش
يغيره تغييرا وارتحلنا منه بعد صلاة الجمعة فرجعنا فى الحافرة حتى
وصلنا مليج فبتنا بروضة الشيخ على المليجى واكرمونا كالمرة الاولى واكثر
ومنه بتنا بسنديون فى مسجده على ما به من كثرة الاوباش والهمج واخلاط
الفلاحين ومررنا فى طريقنا للزيارة بكثير من القرى والبلدان منها انشه
السيرج وشبرة والقناطر وقليوب وسنديون وكفر العبادلة وطحلة
وعبرنا النيل فى قوارب وعلى شاطئه القرية المعروفة بمسيد الخضر وهى
نصف المسافة من مصر الى سيدى احمد البدوى وفيها وكالة ومسجد واسواق
لاباس بها وبعدها اسطنهة وكفر العجايز وام خنان ومستراح وابو شيخة
وسلكة وزوبر ومليج وهى بلد الشيخ على المليجى المذكور ويعبر لها النيل مرة
اخرى وهى على شاطئه وبعدها شنتنه وحنزور وطرقنا صنادية وكفر
ونفتة والسكرية وزرنا بها سيدى اسمعيل السكرى وسيدى منصور
ومررنا ببابل وكفر صنادية وغير ذلك من البلدان التى لم نجد من يسميها
لنا واما البلدان التى لم نفصلها وكانت تتراءى لنا فى تلك الارضين فلا
يكاد ياتى عليها الحصر وكلها تجبى الثمرات والزروع والالبان والاجبان
والانعام والخضر الى مصر فسبحان من كرم بنى ادم واكرمهم فى العالم وجعل
مصر مجمعا لجميع ما يشاؤه الانسان من انواع الاحسان ولله سبحانه الامر من

قبل ومن بعد وزرنا فى طريقنا سيدى احمد الحلباوى ومشاهد كثيرة فى تلك
القرى لم نجد من يعرف اهلها حق المعرفة ولما رجعنا الى مصر شرعنا فى اكمال
بعض الاحاديث كانت بقيت لنا من الاربعين النووية حتى ختمناها
وحاولنا اتمام غيره من الكتب التى كنا ابتدأناها كالمرادى وجوهرة اللقانى
وغير ذلك فلم يتيسر الاتمام واخذنا فى التاهب للسفر ومعاطاة مقدماته
التى لا تنتج الا الظفر فزاودنا جماعة من اصحابنا الذين بمصر على الاقامة
معهم سنة بقصد الانتفاع ومناولة القراة وتعاطيها وذكروا لنا
اوجها توجب اقامتنا لديهم فوقع ذلك فى خواطرنا وبقينا نتردد فيه
ونستخير الله تعالى ونقدم رجلا ونؤخر اخرى والمحب الاكبر سيدى
عبد الرحمن بن جلون يهون لنا الاقامة ويظهر لنا من اوجه المجاورة
ومنافعها شيا كثيرا لكثرة ما حرص اعزه الله على اقامتنا معه وتانسنا
به فلم تنشرح الصدور الا للسفر وحارت الافكار فى ذلك وضاقت
المسالك فشاورنا محبنا العلامة الصالح البركة سيدى محمد العياشى فاذننى
فى السفر وظهر له وجهه وسفر فانقطع النزاع كل الانقطاع واذعن
لذلك كل من الاصحاب واطاع وايسوا من الاقامة وعلموا ان لا مكث
لنا فى تلك المقامة وحصل لهم اسف واى اسف وانتقع وجه كل منا للفراق
وكسف لكثرة ما كان حصل بيننا وبينهم من الالفة والمحبة واخلاص
المودة واخذوا فى المبالغة فى الاكرام والاجتماع غالب الاوقات
واحضار الطيبات من الاقوات والفواكه والخضر المونقات وسرد الكتب
المنوعة فى الفنون ولا سيما كتب الادب والتواريخ كنفح الطيب
والمقامات وجملة من مولفات السيوطى وتاريخ المنوى وانواع الطبقات
وغير ذلك وكانت تحصل بذلك مباحث نفيسة وفوائد عزيزة وتزول
اشكالات وتنحل مقفلات وفى هذه الايام رحل الركب من الانبابة الى
الحويجر وبقى نحوا من نصف شهر ونحن نتناول المقضيات بمصر ونوادع
الاحبة وهم يبالغون فى الاكرام وتنويع الشراب والطعام وتوجهنا
لزيارة القرافتين ومن فيهما يوم السبت السابع والعشرين من جمادى الثانية
من عام اربعين ومائة والف صحبة المحبين الجليلين الصالحين الخيرين

سيدى عبد الرحمن بن جلون وسيدى حسين الهوارى فمن الله علينا بزيارة
الشيخ ابى عبد الله محمد البنانى والقرافى والسيوطى والسيدة نفيسة والسادات
المالكية ابن القاسم واشهب واصبغ وابن مرزوق ويحيى بن يحيى القرطبى
راوى الموطا عن مالك والطحاوى وورش وسيدى عبد الله المغاورى
وابن الفارض وابن شاهين وعقبة بن عامر وسيدى يحيى الشبيه والامام
الليث وشيخ الشيوخ الامام الشافعى والسادات البكريين وابى الطهور
والسيدة ام كلثوم وغير ذلك من المشاهد التى هنالك فكان آخر اقامتنا
بمصر ذلك اليوم وجعلنا مسكة ختامها زيارة هولاء القوم

ذكر خروجنا من مصر الى المغرب معرضين عن التطويل فى امهات
فيه ضاق فترهن مسير وعاقت اشتغال عن متابعته بالتفسير

كان خروجنا من مصر يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الثانية
وخرجت جماعة من اصحابنا لتوديعنا غير وافية فيهم المحب الصدوق
سيدى عبد الرحمن بن جلون والمحب الاود سيدى محمد السقاط والمحب
الخالص سيدى الحسين الهوارى والمحب الكبير سيدى موسى وغيرهم حتى
اتينا مدينة بولاق واشرفنا على النيل سلمت على هولاء الجمع الحفيل وفارقتهم
والعيون كعيون العيون والقلوب تتقلب فى لظى فراق هاتيك العيون

وودعتهم والعين تهمل كالعين … وتهمل ما ترجى السحاب من العين
وللقلب فى نار الغرام تقلب … ولم لا وعنى بان كل اخ عين
فوا اسفا للقلب من شدة الاسى … ووا اسفا من شدة الحزن للعين

وعبرت النيل فى بعض ما به من المراكب وفارقت مصر واهلها وما بها من
المواكب وتوجهنا بقرية الانبابة لقبة سيدى اسمعيل الانبابى وسالنا الله
تعالى بجاهه السلامة التامة فى جميع الطريق لنا ولكل رفيق رافقنا من
ذلك الفريق ووصلنا الحويجر قبل العصر فنزلنا والفينا اصحابنا الذين
بمصر اشتروا لنا خيمة جيدة حافلة بما تحتاج اليه كثر الله خيرهم ووقف لها
محبنا الاكبر سيدى الحاج احمد بن يحيى ومحبنا الاعز علينا سيدى عبد الرحمن
ابن جلون شكر الله مسعاهم واشعب شعاب مرعاهم وتقبل عملهم وبلغ
املهم بمنه امين فنصبنا تلك الخيمة مرفوعة على الخيام فى عيش مخفوض

على ممر الايام وسلمنا على من وجدناه من اصحابنا هنالك وكان خرج معنا من مصر
لتوديعنا الى هذا المحل جماعة فيهم اخونا ومحبنا الفقيه الشيخ العربي بناني
ومحبنا الفقيه الالمعي سيدي علي السقاط والمحب الكبير سيدي عيسى المصغري
فاحسنوا وداعنا وبالغوا في مواساتنا جزاهم الله خيرا ووقاهم بمنه ضيرا
فبتنا في الحويجر تلك الليلة واصبحنا به مقيمين لاغراض تعلقت بها الاغراض
وتذكرنا امورا نحتاج اليها في الطريق فكتبنا لمحبنا وصفي ودنا ووفي
عهدنا الفقيه البركة سيدي عبد الرحمن بن جلون كتابا يقضي لنا ذلك
الغرض الذي عرض وصورة اوله الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما محبنا الذي نجله وفي سويداء القلب نحله الفقيه
الاديب البارع الالمعي الذي لم يزل في قلوبنا اغلى من الكواكب المشرقة
في افق السماء واسمى قرة العيون ومن انهلت لفراقه الاماق والاهداب
العيون والعيون ابو زيد سيدي عبد الرحمن بن جلون ادام الله رعايته
وحفظه واجزل له في الدارين خلاقه وحظه واهدى اليه سلاما ينبئه عما
بي اليه من الاشواق ويعم بنفاق مودته الاسواق ورحمة الله وبركاته
ورضوانه وتحياته ثم ذكرنا له ما عرض من ذلك الغرض فقضى لنا
ما رمناه من المآرب وبعث لنا فوق المؤمل من المطالب ومع ذلك رقعة
فيها الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم وعلى
الحبيب الخليل الفقيه الجليل النبيه النبيل قدوة العلماء المحققين وعمدة
البلغاء المدققين الاديب اللوذعي الاريب الالمعي المزري كلامه
بقلائد العقيان ونظامه بفصاحة قس وبلاغة سحبان من هو لسماء
ارواحنا كالبدر المنير ولارض قلوبنا كالغيث الصيب ابي عبد الله سيدي
محمد بن الطيب ازكى سلام تعطرت رياض المحبة بنفحاته وتفتحت ازهار
الاخلاص بنسماته هذا وقد ورد علينا كتابكم الكريم المنبي عن خالص
المحبة وصفاء الوداد القديم وما ذكرتم فيه من عظيم الشوق وكثرة الولوع
والتوق فتلك حال محبكم الشائق لقربكم والله تبارك وتعالى يحرس جلالتكم
ويكتب سلامتكم والسلام معاد عليكم والرحمة والبركة من محبكم عبد الرحمن
ابن احمد بن جلون جمع الله شمله امين واقمنا بالحويجر الاثنين والثلاثا

والاربعا

والاربعا نتنعم في انواع المطاعم ونتضلع بالشرب من ماء النيل الناعم الذي
هو احد مياه الجنان فلذلك ينشرح لشربه الجنان وارتحلنا منه يوم
الخميس الثاني من رجب فنزلنا الخبيرا الاسود ظهرا وبتنا به ليلة الجمعة
وارتحلنا منه فنزلنا ظهرا على شاطئ النيل بموضع يسمى المجز وبجانبه
اقوام من اعراب الاخصاص واخذ الناس يستقون ويمتعون في ماء
النيل ويكثرون من التمتع به لتوديعه وبتنا هنالك ليلة السبت
واصبحنا مقيمين يوم السبت فورد علينا خبر بان طوايف من الاعراب
متعرضون للركب لياخذوا الاعراب الذين حملوه ويسلبوهم ابلهم
لانهم كانوا اغاروا عليهم ونهبوا المال المنسوب اليهم ففزع الناس
من ذلك وارتحلنا من المجز يوم الاحد وقد اخذ حذره من هولاء
الاعراب كل احد وتفرق الناس عن يمين الابل ويسارها واحاطوا بها
من خلفها وامامها في جميع تسيارها وسرنا متاهبين لمقاتلتهم وتركنا
النيل خلفنا فبتنا بموضع يسمى التمسيح على غير ماء ومنه نزلنا بعقونة
قرب العصر ويسميه اعراب تلك الارض الخضر فاستقى الناس منه ماء
اربعة ايام لانهم تنكبوا موردا الشامة خوفا من الاعراب المتعرضين
لاخواتهم لانه قيل انهم هنالك مستعدين لذلك ومن عقونة نزلنا موضعا
يسمى قصر القطاجي على غير ماء ومنه نزلنا السيكران على غير ماء ومنه
بتنا بموضع يسمى جنش الدقيق على غير ماء وارتحلنا منه فانحرف بعض من
كان محتاجا في الماء الى سواني عن ذات اليسار تسمى شطار والمحيميم اخبرونا
انهما بئران وان طول كل واحدة منهما اربعون قامة وان ماءهما في غاية
القبح والملوحة والسواد وقبح الرائحة وسرنا فبتنا بنازية بوعونة
على غير ماء ومنه نزلنا معطن الجحيمة عند ارتفاع الضحى فاقمنا به يومنا
وتفرق الناس على احسائه الكثيرة الغزيرة المياه في رملة بيضاء واحسا ؤه
غالبها عذب طيب وربما خالطت بعضها ملوحة وارتحلنا من جحيمة
فبتنا بعلم البزاء على غير ماء ومنه ارتقينا العقبة الصغرى صباحا ومررنا
بغدران غادرتها الامطار مملوءة بالمياه العذبة الكثيرة الجامعة
للاوطار فنزلنا في وسطها عند الظهر واخذ الناس في الاستقاء منها

اذ لا يستغنى بغيرها لعذوبتها عنها وبتنا امام تلك الغدران فى ليلة
جمعة النهاء وكملت بهذا الماء وارتحلنا فتركنا معطن المدار يمينا
ولم نعرج اليه استغناء عنه بمياه الامطار الوافية بالاوطار ومررنا
فى سيرنا هذا اليوم بقلت ام العقل والشرز وتجاوزنا قصبة المدار ووادى
زرقاء وكل واحد من هذه الاودية فى غاية الخصب وبينها من المراعى
والكلا والغدران والازهار ما يعترف القلم دونه بالتقصير
والانبهار ونزلنا بعد العصر مشرفين على وادى بوكدوة فى غير ماء
وارتحلنا فمررنا بوادى بوكدوة ثم بالرواشد ثم برقبة المستقيمة وظللنا
بوادى الرمل هنيهة ثم سرنا بقفر جعيفر ووصلنا قبر ابى حلاق فنزلنا
حوله هنيئة بقصد زيارته والتبرك به والفينا الماجل الذى امامه
جافا لاماء به وسرنا منه فصلينا الظهر قبالة راس ابى طهو وجلسنا هنيئة
للذكر اقصين اللهو ونزلنا بعد العصر بازاء قبر الضعفاء من ارض
تعرف بالسبتة وكانها سميت سبتة لقلة نباتها واشجارها كانها
سبتت اى خلقت وزال ما فيها من النبات كما يسبت الراس ويحلق شعره
فبتنا حول ذلك القبر على غير ماء وارتحلنا منه فمررنا صباحا بجلاء زين
ثم بلها بار السبعة ثم بقبر متاع ثم بقبر مخلب ووصلنا معطن جرجوف
ظهرا فبتنا به واستقى الناس من مائه ما يكفيهم وارتحلنا منه يوم الجمعة
سابع عشر رجب فمررنا صباحا بعقاقير الزناتية والفينا هنالك غدرانا
كثيرة من مياه المطر فقضينا من استقائه للشرب غاية الوطر وطرق
بعض الناس شماس وبوالقوار على ساحل البحر وهما اسم لمعطن كثير الماء
وماؤه مثل ماء جرجوف ومررنا بابار القطراني وهى ثلاثة ابار سقينا
من وسطها والفينا به ماء طيبا غادرته به الامطار وسقينا البهايم
ومررنا براعى الصفراء وهو قبر ولى من اولياء الاعراب الذين بتلك
النواحى يزار ويتبرك به وتجاوزناه وبتنا على غير ماء وارتحلنا
فمررنا صباح السبت براس الضبيع ونزلنا به للاستراحة ساعة ومنه
مررنا بغوط البقر وصلينا الظهر بالزهيرى ونزلنا خور الشوافى
عصرا فبتنا به على غير ماء وارتحلنا منه يوم الاحد فمررنا بقصر الاحداب

وتركنا

وتركنا بقبق يمينا وهو معطن كبير عظيم كثير الماء يكفى الركاب الكثيرة
واسترحنا هنيهة بقرعة هديلة ونزلنا معطن المقرب قرب الظهر واخذ
الناس يستقون منه حتى غاب الشفق وارتحلنا منه يوم الاثنين فاتينا
العقبة وبقينا تحتها حتى افطرنا واسترحنا وارتقينا عليها وهى
اطول من عقبة التشريق واشد منها فى الوعار المنسوبة اليها ومررنا
ببطومة واسترحنا فى السويلات وصلينا بها الظهر وتركنا القلاليب
بحريا ونزلنا ارضا تسمى الظهرة بعد العصر فبتنا بها على غير ماء
وارتحلنا يوم الثلاثا فمررنا صباحا بكدوة الحمارة وتركنا وشكة
الطامش يمينا ووصلنا قبر الشيخ عزيز قبل الظهر فنزلنا للزيارة
والاستراحة حول دارته وبقينا امامه حتى صلينا الظهر ووصلنا
الخشبة عصرا فصلينا بها العصر ولم نجد بابارها ماء وتجاوزناها
بقليل وبتنا على غير ماء وارتحلنا يوم الاربعاء فمررنا بالبحيرة
واسترحنا ساعة بالغرابات ومررنا بالعريض وهو قصر متهدم
ووصلنا غدير الريغى الظهر فالفيناه مملوءا بالماء كانه نهر فاستغنينا
بمائه عن المرور بمعطن الرقبة وتركناها وبتنا فى هذا الغدير
الذى جل فى ازهاره وازهاره وخصبه عن النظير واخذ الناس
يستقون منه ويسقون دوابهم ويقضون اربهم ووردت
علينا طوائف من الاعراب بالسمن والتمر والغنم وغير ذلك وارتحلنا
منه يوم الخميس فتركنا طريق الحج المالوفة وربضنا بسقيفة ابى الحامض
للافطار والاستراحة ثم مررنا بسقيفة الدودة وبتنا بسقيفة
العدم على غير ماء وارتحلنا صباح الجمعة فمررنا صباحا بالعديم
وربضنا بسقيفة الرمل وبتنا بالرميل بالتصغير على غير ماء وارتحلنا
يوم السبت وربضنا للافطار بسقيفة روس الاسد ووصلنا الظهر
بوادى المعترض واتينا فى العصر على غدير ماء زاد على الحق المفترض
فاستقينا من مائه واديا من الصلاة ما لابد من ادائه والفينا
ما حوله من الارضين مخضرة مخضلة ذات ازهار يانعة ونباتات
مظلة وبتنا بين العنبر وعين الغزالة على غير ماء وارتحلنا يوم الاحد

فسرنا بارض مخضرة بالازهار كثيرة الانبات والازهار ذات غدران
متلاطمة تلاطم البحار والانهار وربضنا بوادي الرجيمة للافطار
والفيناه مملوا بماء الامطار كثير الخصب والنبات حسن المراعي
والانبات ومررنا بوادي الجداري فالفيناه بحرا بماء المطر ايضا
قد فاض على جوانبه فيضا وصلينا الظهر بهيشة الطنفسه واستراحنا
ريثما رد كل واحد نفسه ونزلنا قبالة التميمي بالموضع المعروف
بكبكبان لان الفينا بجوانبه من الخصب والكلا ومياه الامطار
وغير ذلك من الاوطار ما فيه غنية لجميع الركبان فاغنانا ذلك
عن التميمي ومائه والمرور بمائه واقمنا بهذا الموضع بقية الاحد
ويوم الاثنين ووردت علينا هنالك ملاقاة ذرنة وقامت بينهم
وبين الحجاج سوق عظيمة اجتمع لها اهل درنا وغيرهم من اعراب
تلك النواحي وجلبوا انواع المطاعم والفواكه والخضر والشعير
والسمن والعسل وانواع الكعك والخبز والمقروط وغير ذلك
وورد علينا جماعة من طلبتها فيهم المحب الكبير الجدير بالتعظيم
والتكبير الفقيه الاديب البارع الانبل ابو عبد الله سيدي محمد
الاصرم الغروي المذكور فيمن لقيناه بطرابلس تقبل الله دعاءنا
في الاجتماع به لجميع بعض ما يسح من ادبه وسررنا بملاقاته كثيرا
واكرمناه وتناولنا معه مسائل علمية وتعاطينا امورا ادبية وبنفس
ما فرغنا من السلام وتعاطينا مناولة الكلام انشدني

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وسالته من اخبره عن هذا المحل الذي نزل به خليله وحل فانشدني

من جاء يسال عن داره   قلت له يمشي ويستنشق

ثم ذكر لي فسربنا في ذمام الليل معتسفا   فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل

ثم انجر بنا الكلام الى الخط وتهيئته للجهال دون الاعلام فانشدني لنفسه

قالوا تعلم فان العلم ينفع من   زمن ضاقت به الحيل
فمذ تعلمت قال الحظ مبتدرا   دع انني عنك بالجهال مشتغل
لذاك تلحظني للجهل متبعا   عسى لما هم به من ثروة أصل

وانشدني للزمخشري عفا الله عنه

وقائلة اراك بغير مال   وانت مهذب علم إمام
فقلت لان مالا قلب لام   ولم تدخل على الاعلام لام

وانشدني لابن نباتة

وقائلة ارى الايام تعطي   لئام الناس من رزق خبيث
وتمنع كل ذي عقل ولب   فقلت لها خذي اصل الحديث

ان اصل الكاس من حرام
فجادت بالخبيث على الخبيث صح

وذكر لي قصيدة الامام القاضي ابي الحسن الجرجاني المشهورة التي اولها

يقولون لي فيك انقباض وانما   راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم   ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لي يستفزني   ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
وما زلت منحازا بعرضي جانبا   عن الذم اعتد الصيانة مغنما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى   ولكن نفس الحر تحتمل الظما
واني اذا ما فاتني الحظ لم ابت   اقلب كفي اثره متندما
ولكنه ان جاء عفوا قبلته   وان مال لم اتبعه هلا وليتما
واقبض خطوي عن حظوظ قريبة   اذا لم انلها وافر العرض مكرما
واكرم نفسي ان اضاحك عابسا   وان اتلقى بالمديح مذمما
انهنهها عن بعض ما لا يشينها   مخافة اقوال العدا فيم او لما
ولم اقض حق العلم ان كنت كلما   بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي   لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ااغرسه عزا واجنيه ذلة   اذن فاتباع الجهل قد كان احزما
فان قلت جد العلم كاب فانما   كبا حين لم يحرس حماه واسلما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم   ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا   محياه بالاطماع حتى تجهما

وهي قصيدة بديعة جمعت مستحسن ما ينبغي للعلماء ارتكابه وبدعه
وقد قال في حقها الزمخشري في كتابه ربيع الابرار ولقد احسن
صاحبها كل الاحسان كانما نسجت في طراز حسان ثم ذكر من هذا المعنى
ما لا مزيد عليه فليراجعه فيه من احتاج اليه وتناولنا الكلام على

طرابلس ولغاتها السابقة فيها فانشد في قول التجاني الاوحشي

سرى فوشى في سيره ولوانه   خلي من الاوزار سار ولم يوسوا
سعى سعي طماح لا بعد غاية   فكانت له دار المقام طرابلس

وسالته عن درنا واحوالها وكيف هو فيها مع صروف الدهر واهوالها فانشد في لنفسه

قالوا قرية درنا نظيرها   وما دروا انها اشتقت من الدرن
من حل ساحتها لم يخل عن كدر   كانما ماؤها يجري على الحزن

والفى كتابنا شرح نظم ابن المرحل المذكور غير مره اخرجناه لمراجعة امور في تلك الحره فننا وز بعض مسائله واستغرب في الداعي اليه في هذه الازمان وسائله واعجب من تعاطيه مع قلة اسبابه ووسائله واستحسنه كل الاستحسان وشهد له بالاتقان والاحسان وتمنى ان لو وجد فسحة من الزمان ليتحلى بفرائده وفوائده المزرية بقلائد الجمان وكتب عليه تقريظا حسنا اجاد فيه ما شاء وابدع فيه الانشاد والانشاء مع ضيق الوقت وشغل البال وتزاحم الاشغال وهيجان البلبال ومطاوعة البديهة له والارتجال بما يعجز روية الفحول من الرجال ولم يتيسر نقله الان وارتحلنا من كبكبان يوم الثلاثا ففارقنا ابا عبد الله الاحضرم ونار الفراق في القلوب تضطرم وسرنا فرضينا بالعفرج للافطار ومررنا بعلب الشارف وقصر الغزيات وتركنا غدير بوهندي يمينا واتينا غدير الركب بين الظهرين فالفيناه بحرا زاخرا من مياه الامطار وبه صلينا الظهر والعصر واستعملنا بعض النوافل بعد القصر والفينا حوله من زهر الربيع ما ازرى بوشي صنعاء البديع وحيث الفينا هذا الغدير المتبحر في اول مفازة السروال الموصوفة بكثرة الاهوال قال في ذلك محبنا واخونا الفقيه البركة الاديب البارع الفاضل نخبة الافاضل ابو عبد الله محمد بن ابرهيم حفظه الله

دخلنا السروال في سبعة   حسوم فعادت علينا سعودا
تولى الاله سقايتنا   من الغيث حتى مكانا بعيدا

سقينا

سقينا به من مياه السما   بارض تعز المياه وجودا
فسبحانه فاعلا ما يشاء   يعطي ويمنع عدلا وجودا

فقلت في ذلك

سالكا بعض تلك المسالك
وقالوا اذا ما اتيت السروا   ل فاحذر هنالك حرا شديدا
واياك والماء فاملا به   الاواني واعزم على ان تزيدا
فان مفازته صعبة   تشد بها كم اشابت وليدا
وما علموا ان فضل الاله   ليس يزال بسيطا مديدا
يغيث الخلائق ان عطشوا   بغيث غزير يعم العبيدا
وكم من غدير يغادرها   يروي ركابا ويكفي جنودا
فسبحانه من جواد كريم   يعم الخلائق فضلا وجودا

وتجاوزنا غدير الركب وبتنا في موضع يقال له قرع بربر وارتحلنا منه يوم الاربعا فمررنا بوادي العش ووصلنا للمخيلي قرب الزوال فنزلنا به ريثما نصلح الاحوال والفيناه فائضا بمياه الامطار فاخذ الناس يقضون بالاستقاء منه الاوطار وبقي غالب الركب هنالك للاستراحة حتى صلى الظهرين وطاب وسرنا فبتنا بالغفسا وقد طاب كل واحد منا نفسا وارتحلنا يوم الخميس فرضينا بموضع يسمى الحمامه لا فاختة فيه ولا حمامه وبتنا مشرفين على وادي الشبكه في فلاة لا تصطاد فيها شبكه وارتحلنا فمررنا بالقليعات وربضنا بوادي ممالوس والفيناه جافا من الماء عاريا حتى من نبات البيداء وكان غالب الناس احتاج الى السقي فحثثنا السير متوجهين الى المزرب لعلنا ان نجد فيه ماء مزرب فلقينا اعرابيان على جملين واخبرانا بان لا ماء فيه اصلا ولا بين تلك الجبلين وان الارض التي حواليه لم تمطر فيجتمع الماء اليه واخبرانا انهما مرا ببير منحرف عن الطريق مملوءة بماء الامطار تسمى بير القلود فتوجه الناس اليه لكثرة ما كان من العطاش فيهم لعله يكفيهم وتركوا الطريق ذات اليسار وجدوا اليه التسيار فلما وصلنا لتلك البير لم يحصل لنا بها نفع كبير بل وجدنا ما يملا نحو الثماني عشرة قربه فاز بها من حصلت له من الثروة قربه بعد مشقة فادحه وبقي الناس من العطش في حالة فاضحه

وحصل لهم فى الانحراف لهذه البئر تعب كبير لخروشة تلك الارض وبعدها
عن صوب الطريق بعد اجاوزا الفرض وسرنا حتى وصلنا موضعا يسمى
اسطاطة قللود فنزلنا به فى وقت العصر لاجتماع الناس من التفريق
الذى حصل لهم عند الخروج الى البئر من الطريق وبتنا هنالك على
غير ماء وارتحلنا يوم السبت فذكر لنا بعض الاعراب ان غدير الخروبة
فائض بماء المطر وان فيه فوق ما يوفى بالوطر فانحرفنا اليه وتركنا
صوب الطريق وقصدنا الورود عليه فوصلناه بعد ارتفاع النهار
وقد فاض كالبحر الزخار فنزلنا امامه للافطار وقضاء الاوطار
واستقينا من مائه العذب الزلال وتنعمنا بالماء والمرعى بين تلك
التلال وسرنا منه وقد زالت الشمس وادينا اول الخمس فمررنا
بالحويجة وام الغزلان والقبر وكلها اودية معروفة عند اهل تلك
البلاد وبتنا بالعقابة على غير ماء وارتحلنا يوم الاحد فاتينا واديا يسمى
راس ابن فردان فالفيناه متعمما بالربيع والازهار والغدران ثم
مررنا بوادى المعقور وفى وسطه غدير يعرف بغدير قصر الصفا
فالفيناه مملوا بماء حاز العذوبة والصفا وحواليه من انواع الزهر
ما اخجل الزهر فبقينا به حتى صلينا الظهر ومررنا بعد ذلك بموضع
يسمى حنوة رقاد والفينا فيها جمعا عظيما من اعراب ذلك الواد
وتجاوزناه وبتنا على غير ماء وارتحلنا يوم الاثنين فمررنا ضحى
بالرحيبات وربضنا بالباب وماء الخنير عن عقبة الذيبة وحارت
الالباب وتعبت المراحل التى كانت فى شورة تعبا جاوز الحد وتورمت
اخفافها وارجل الرجالة بل لم يسلم من المشقة احد ونزلنا من السروال
بعد الزوال وسرنا جادين فى السلوك الى معطن سلوك فنزلناه
فى الغروب بعد مقاساة كروب ولم ينزله آخر الركب حتى مضى جزء
معتبر من الليل بعد مقاساة اشد الكرب واصبحنا به يوم الثلاثاء حتى
آن الزوال واستقى الناس من مائه الكثير المتوال وارتحلنا منه فمررنا
ببير تسمى الرحيحيف قريبا من ذلك وصلينا العصر هنالك وسرنا
حتى اصفرت الشموس ونزلنا لاستراحة النفوس وصلينا المغرب

فى

فى منظر من الازهار معرب وحط العلام عن اذن امير الركب حتى غاب
الشفق ومارق لاحد من الساكين ولا اشفق ولم ينزل آخر الركب
حتى انقضى ازيد من ثلث الليل وقاسى الناس من الشدايد ما ختم لهم
بالسيل وبتنا امام قصر الطليون حتى طلع الفجر وتفجرت السماء
عيونها غاية الفجر ولم يكف ذلك السيل طول الليل وكان الصواب
ان نقيم حذرا من الوقوع فى المقعد المقيم فلم يساعد الشيخ على الاقامه
وامر بالرحيل من تلك المقامه فكف المطر ريثما قضينا من الحمل
الوطر واخذ الركب يسير وتوجه الناس عقبه للمسير وارسل الله علينا
سحابة وكفاء ليس لها كفاء صيرت الارض كالبحر الزاخر لا يقر عليها
خف ولا حافر واعجزت عن السير واوجبت النزول طوعا اوكرها
فى ذلك الدير فنزلنا بعد اميال قليلة بحكم الملك القادر ولم تساعد
الامير فيما رامه من المسير المقادر وتفرق الناس يرتادون لنزولهم
المواضع الحرشا التى لا يخاف نازلها من كثرة الامطار ولا يخشى
والفينا بهذه الدار من الآبار والمآجل والغدران ما ازال عن القلوب
الاكدار وكلها مملوءة بمياه الامطار وكفت السحاب عن الوكوف
لتمام الاوطار وظللنا هنالك نتنعم فى المطاعم والمشارب ونقضى
من الراحة اقصى المآرب وارتحلنا يوم الخميس فربضنا بقرب قصر
عليان وبتنا على غير ماء فى الموضع المعروف بالبيضان وارتحلنا يوم
الجمعة فصلينا الظهر بالاجدابية واستقينا من جوابيها الجابية
وسرنا منها بعد صلاة العصر وبتنا بعد مجاوزة الجديدة بلا اصر
وارتحلنا يوم السبت فربضنا بالموضع المعروف بالعروف راضية
مديدة ونزلنا بعد العشاء على غير ماء بقصر وقيدة ولم ينزل آخر الركب
حتى مضى ثلث الليل وارتحلنا يوم الاحد فظللنا سايرين حتى اصفرت
الشمس ونزلنا معطن المنتم او المنقل ولم يصله آخر الركب حتى غاب
الشفق وبات الناس يسقون القرب ويبادرون الغرب ومنه فارقنا
جماعة من اهل فزان جاؤا معنا من مصر قاصدين بلادهم فزان ومن المنتم
بتنا بمقطع الكبريت على غير ماء ومنه بتنا بقرب الحدادية وهى بئر معروفة

استقى منها بعض من تيسر له مناولة الماء منها وارتحلنا يوم الاربعاء
فطرق بعض الناس بئر الحدادية ايضا واستقى منها لاحتياجه الى
الماء ومررنا قرب الظهر بالكحيلة واتحفنا الغدير ان ذكر لنا فيها ماء
المطر فلم نلف بها الا الاثر وعوضنا الله منها ما لا يكيف من الاريج
والزهر وبتنا باليهودية على غير ماء واليهودية بئر في هذا الموضع
وذكر ابو سالم انها قرى متعددة متقاربة فيها اثار بناء خال عزكم
يدل على انها كانت عمارة عظيمة واشتهر على السنة الحجاج انها كانت
مدينة ملكتها يهودية فسميت بها ويحتمل ان تكون هذه هي المشار
اليها في الرسالة القشيرية اذ لا مدينة في الغرب تعرف باليهودية
غيرها وارتحلنا منها يوم الخميس فبتنا بالجيرية قرب معطن بوسعده
وارتحلنا يوم الجمعة فمررنا به صباحا وبتنا بمعطن الاحمر وهنالك
الفينا الشطاب ورد بمكاتب من الغرب غير انه طال طوافه وجولانه
في الارض وخرج من فاس في المحرم فلم يصل الى هذا الوقت ووصلنا
معطن النعيم بعد الظهر وتلقانا بقربه طوائف من الاعراب يعرفون
باعراب الزاوية وفيهم الفرجان وغيرهم في عدد كثير وابهة عظيمة
عليهم اثار الرفاهية التي ليست بواهية والفينا حول المعطل
عسكرا من اتراك طرابلس ذكر لنا انه خرج ليأخذ عوايد ووظائف
على اعراب تلك النواحي وطلبوا الاقامة من الحجاج ليتسوقوهم هنالك
فساعفوهم على ذلك واصبحنا مقيمين يوم السبت وورد
الاعراب بالغنم والسمن والتمر وغير ذلك وكانت سوق عظيمة
غير ان الاتراك افسدوا احوالها واكثروا اهوالها لانهم ارادوا
ان يقتلوا رجلا من قرابة امير طرابلس كان توجه للحج مع الركب
الجزيري وتاخر في مصر لمقتضيات واغراض عرضت له حتى غرب معنا
يقال له الحاج محمد بوشاقور فطلبوا منه ان يتوجه لخيامهم ليكرموه
فكان اكرامهم له بالبندق والشاقور وجاء فارا بنفسه منهم بعد
ان كان هيأ لهم من الاطعمة ما ابعده الله عنهم واصابته رصاصة
في رجله وضربة بالسيف في يده وضربت فرسه رصاصة وما وصل الى المحلة

الا بعد لأي ولأي فدخل الى مكانه وكساه الله حلة امانه وانجاه الله
من اعدائه وسلم من فضل الله وبركة الرسول صلى الله عليه وسلم وترك
الترك ما راموه ونقضوا من القتال ما ابرموه ورجعوا الى مواضعهم
وعادت السوق كما كانت قبل تواضعهم وارتحلنا من النعيم يوم الاحد
وقد اخذ حذره من الاعراب والاتراك كل احد فبتنا بالمدينة
وتسمى الركمة بالتصغير فيها على غير ماء وارتحلنا يوم الاثنين
فصلينا الظهر بعد مجاوزة قصر الذبان وبتنا على غير ماء لما ظهر
قرار السوروبان وارتحلنا فوصلنا بئر مطر وعند ارتفاع النهار
تفرق الناس يستقون من مائه الذي جاري بكثرة الانهار ومنه مررنا
ببئر حسان وهو ماجل منقور في حجر يجتمع فيه الماء وبازائه قرى خالية
لم يبق الا رسومها تسمى قصور حسان اضافة الى بانيها وكان عاملا
لبني امية لما نقض اهل افريقية العهد في اخر خلافة بني مروان بنى
هناك قصورا واقام فيها نحوا من ثلاث سنين ثم افتتحها بعد ذلك
حسبما نبه عليه مورخوا افريقية وسمي هذا المكان باسمه الى الان ومن
حسان اولهرت كامر وهي من اخصب البلدان واحسنها والرفاهية
ظاهرة على اهلها وبتنا في قرار شرف حسان ويقال له قرار الزيتنة
على غير ماء وارتحلنا منه فصلينا العصر بالمخاطبة وهي ساقية من الماء
الملح مختلطة بحجر الملح في وسط سبخة عظيمة كما تقدم ومنها انحرف
الركب لسقي الابل يم من الهيشة وبتنا قبالة الهيشة على غير ماء
وظعنا فمررنا صباحا بالجدارية ووسط النهار بالصنعة ثم بالمجارن
واشرفنا على معطن السميدة وبتنا قريبا منه على غير ماء واصاب الناس
ظماء فسقاهم الله من ماء السماء وارسل سحابة عمت بالامطار ووفت
بالاوطار فتلقينا ماءها في ما حضر من الاواني وكفانا ذلك للطعام
والشراب فكانت لدينا كالشواني وحمدنا الله الذي ينزل الغيث من بعد
القنط ويجعل الفرج على من قنط وارتحلنا صباح الجمعة فوصلنا السميدة
مع طلوع النهار وسقينا من احسائها الفائضة فيضان الانهار
وجلسنا ريثما قضينا من السقي الاوطار وفرغنا من الافطار وسرنا

فربضنا بمعطن العويعر وصلينا به الظهر ثم سرنا في سباخ متتابعة
حتى وصلنا روضة الشيخ بوشعيفة وبتنا في كفالته وروضته
المباركة مسامتة للركب من قبالته وسقى الناس دوابهم من سوانيه
واستقى كل واحد في اوانيه واصبحنا بروضة سيدي بوشعيفة
نؤم دياره ونخلص له الزياره ونسال الله تعالى من كل شيء في الدنيا
والاخرة خياره ووصلنا ضحى لضريح الامام المشهور مولانا احمد
زروق اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وتفرق الناس في
افنيته ومسجده وامامه وخلفه يبتهلون الى الله تعالى ويسالونه
بجاهه ويطلب كل واحد ما شاء قرب بجاهه وبقينا به ريثما فرغنا
بالزياره في تلك المزاره وسرنا حتى توسطنا مسراته وربضنا
بين اشجار عظيمة من نخيل وزيتون وغير ذلك حتى صلينا الظهر بين
وزال عن القلوب كل رين وسرنا فبتنا في اول الوفنيه ووردت
علينا جماعات من الاعراب يتسوقون الركب بغنم وسمن وشعير
وغير ذلك وارتحلنا صباح الاحد فوصلنا القوانين ضحى وربضنا
تحت اشجارها وابنيتها ونخيلها الباسقة بين سوانيها الكثيرة
المتناسقة ومنها مررنا بازليتن وزرنا به ضريح الامام المشهور بين
تلك الاقطار في نيل الاوطار الشيخ سيدي عبد السلام الزليتني المشهور
بالاسمر الفيتوري وله مقام عظيم وشهرته كافيه وقد الف في مناقبه
الشيخ علي بن عبد الصادق احد اصحابه الملازمين له تاليفا حافلا
سماه منح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم وطرقنا وادي
للحمي وسماه لنا بعض عرب البلاد وادي اغنوا فصلينا به الظهر بين
واستقى منه من احتاج الى الماء ثم دخلنا ساحل حامد فزرنا في اوائله
روضة الشيخ ابي بكر الفرداوي الزياني وتجاوزناه وبتنا وسط نخيل
وابنية هنالك وظعنا يوم الاثنين فزرنا صباحا بروضة الشيخ
علي الفرجاني ثم بضريح الشيخ عمر الشارف احد اصحاب الشيخ عبد السلام
المتقدم الذكر رضي الله عن جميع اوليائه فزرناهما وتبركنا بهما وربضنا
عند سيدي بوعصيده رضي الله عنه لقب بذلك لان عادته ان يصنع

للحجاج

للحجاج فتصنع العصيدة كلما مروا به ذهابا وايابا حتى بنيا لوانها باجمعهم
وذلك دابه منذ اعوام متطاولة واسمه سيدي احمد بن جحالة روضته
عظيمة ومشهد حافل جدا على شاطئ البحر عليها اثار النور والبركة وورثة
اولاده فمازالوا على تلك الوتيرة وقد الفيناهم ضربوا اخبيتهم وشرعوا
في ذلك فتبركنا بطلب الدعاء منهم وتوضانا هنالك وسقينا البهايم
وسمى لنا بعض الاعراب تلك الارض بابن جحا ومنه انحدرنا في وادي
القلعي ووصلنا روضة الشيخ محمد القلعي الشريف ظهرا فنزلنا امامه
للاستراحة والصلاة واخذ الناس يستقون من بئر امامه ويسقون
الدواب وبقينا هنالك ريثما قضينا من الزيارة الاراب وصلينا
العصر في تلك الهضاب وانحدرنا من تلك العقاب المتطاولة
الصعاب المشهور ذلك كله بالنقازة عند الحجاج وغيرهم من الاعراب
ولما سهلت الارض ووطئت نزلنا فبتنا في حفظ رب الارباب وارتحلنا
يوم الثلاثا ففرغنا من النقازة واوديتها وربضنا هنيئة بوطية
قماطة ثم بواد يسمى مبيتة الحيار وعن يسار المغرب راس جبل عال يسمى
راس خيار والفينا تلك الارضين كلها منعمة بالربيع والازهار ومررنا
بوادي التوتة قبل الظهر واستقى الناس من بيرها العذب ثم مررنا
بالستالة ووصلنا وادي المسيد فسقينا به الدواب وصلينا الظهر
لما في تقديمها من الصواب وبقينا نتنعم في خصبه الكثير ومائه الغزير
حتى صلينا العصر وحثثنا المسير فبتنا بوادي الرمل وظعنا منه صباح
الاربعاء فزرنا بروضة سيدي علي النفاتي ووصلنا تاجورا ضحى وزرنا
بها روضة سيدي ابي النور وروضة سيدي عبد الله قادر وغير ذلك
من المشاهد المزارة نفعنا الله بذلك وربضنا بالنخيل المتصل بالابنية
المتصلة بالمنشية حتى صلينا الظهر وتوجهنا لدخول طرابلس فتلقانا
الاخ في الله ومحبه الشيخ سيدي احمد بن صالح وسط القرى التي هنالك
بقرب ضريح سيدي محمد بن سعيد رضي الله عنه وزرنا المشاهد التي هنالك
وسرنا حتى انتهينا الى المنشية وهي مدينة قبالة طرابلس ينزل الحاج في
ديارها لسعتها وكثرة المساكن بها فلذلك يوثرونها عن الدخول لطرابلس

دا تخذنا في المنشية دارا بقرب مسجدها الجامع رغبة في جواره لتحصيل
الجماعة فيه كل وقت وبقينا مدة اقامتنا بطرابلس نحوا من سبعة عشر
يوما او اكثر ونحن نتردد لمن امكنت زيارته من صالحيها
ومشاهدها ولقينا بها جماعات من الناس غير الذين لقيناهم في
الذهاب ولا واجل من لقيناه في الاياب الرجل الصالح العالم
الزاهد المتبرك به ابو عبد الله سيدي محمد المعزوي ادام الله رعايته
واحسن فيه سعايته بمنه لقيته بداره من المشرية مع محبنا الفقيه
ابي العباس احمد الغزي وصلينا معه العصر في مسجده الذي بقرب
داره وحدثنا بفوائد علمية وله يد في العلوم ولا سيما التصوف فانه
كرع فيه من بحر شيخه الامام المشهور سيدي محمد بن سعيد رضي الله عنه
وحالته متقشفة وله اخلاق جميلة واسعة وظن حسن في جميع العباد
ومنشأ ذلك صفاء الباطن ونورانيته وحسن النية وخلوصها جزاه
الله عنا وعن المسلمين خيرا وتبركنا ايضا بملاقاة الرجل الصالح المسن
الخير البركة الفقيه المشارك الدراك ابي عبد الله محمد بن مساهل
الطرابلسي بداره ومسجده وصلينا معه الظهر وتناولنا معه مسائل
حديثية وله اخلاق حسنة سهلة واسعة لينة رضي الله عنه ورأينا غير
هولاء ممن لقيناه اولا وخرجنا من طرابلس يوم السبت الرابع عشر
من رمضان المعظم سنة اربعين ومائة والف فنزلنا بعد تمام النخل
والابنية المتصلة بطرابلس بالموضع المعد لنزول الاركاب المسمى قرقارش
وارتحلنا منه صباح الاحد فريضنا ضحى بنخيل زنزور وريضنا في الظهر
في نخيل جدايم وتحت ظلالها صلينا الظهر والعصر واسرعنا المسير
فبتنا بالزاوية وارتحلنا يوم الاثنين فريضنا الراحة الاولى ضحى
بنخيل زواغة وصلينا الظهر بمليتية وبتنا بالزوارات الشرقية وظعنا
يوم الثلاثاء فريضنا ضحى بقرب الزوارات الغربية للافطار
ووصلنا فنزلنا لنقضي من السقي والاستقاء الاوطار وصلينا بها
الظهر وادركنا صلاة العصر ببرج الملح فاديناها على شاطئ البحر
الملح وجلسنا امامه نوحد الله ونتعجب فيما خصه به من تلك الامواج

والاه

والاه وبتنا بين البرج وارض الشوشة وارتحلنا يوم الاربعاء
فريضنا الراحة الاولى في اول الشوشة وهي ارض متسعة سميت بذلك
لكثرة ما بها من النبات المسمى بالشوشة وصلينا الظهر في وسطها وبتنا
بابن قردان وظعنا صباح الخميس فوصلنا نبش الذيب ظهرا وتفرق
الناس يستقون منه اذ لا غنى لهم عنه وبقينا به حتى صلينا العصر
وتجاوزناه وبتنا على غير ماء وظعنا يوم الجمعة فوصلنا جرف جربة
ضحى ونزلنا به وخرجت المراكب الموسوقة والاقوام المسوقة وقامت
هنالك سوق عظيمة بين اهلها وبين الحجاج وامتلات بكل ما ينفع
ويحتاج ولا سيما السمك والزيت والفواكه فقد عمرت كل مفاكه ولم
فيهم شيء من البضائع ضايع وارتحلنا من جربة يوم السبت فمررنا
بوادي السمر وصلينا الظهر بوادي ام جسار وادركنا صلاة العصر
بوادي عرام ولم ندخل قرية ذات المقبرة الحافلة الاعلام بل تجاوزناه
وبتنا وظعنا يوم الاحد فوصلنا مدينة قابس بعد ارتفاع النهار
وقابلناها ونزلنا نجني ما حواليها من الازهار ونفارق من يتوجه
لتونس من الناس ويحصل الناس من مقضياتهم ما يحصل لهم به ايناس
وورد علينا جماعة من فقهائها وحملة وافرة من نبهائها منهم
الفقيه الفاضل السيد الحاج محمد الملقب بالمكي الصفاقسي صهر الشيخ
المشهور ابي الحسن سيدي علي النوري ومنهم الفقيه ابو محمد عبد
السلام بن علي الخزامي مفتي قابس وامامها والفقيه ابو عبد الله محمد
ابن يحيى قفراش الخزامي احد عدولها المنتصبين للاشهاد فيها والفقيه
ابو الحسن سيدي علي بن الحاج علي بن عبد الرحمن بن عاقلة القابسي والفقيه
سيدي عبد الله بن الفقيه الفاضل المشهور سيدي عبد الكريم الحمروني
صاحب التآليف المشهورة المتعددة في انواع الفنون وسيدي علي
ابن ابي القاسم امام زاوية ابي لبابة وسيدي عبد اللطيف بن عبد الله
الحمروني وسيدي محمد بن عبد الرحمن السكري الحمروني وغيرهم ممن لم نعرف
اسماءهم وكل واحد يسال عما عن له من المسائل العلمية وقد ابدى لنا
السيد الحاج محمد المكي ابحاثا نفيسة في العربية وكذلك في التفسير واجنباه

وله الحمد وله مخالطة لتصريح الازهري وتفسير الجلالين وتكلم بعض
من ذكرناه من الشهود على امور مهمة من التوثيق فيسر الله الجواب عن
ذلك كله ولله الحمد اولا واخرا وباطنا وظاهرا واصبحنا يوم الاثنين
متوجهين لزيارة الامام الاعظم ابي لبابة رفاعة الانصاري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصح الاقوال وان اختلفوا في اسمه على
عدة اقوال وبقربه في الروضة ضريح سيدي علي التواتي وحوله سيدي
عبد الله ناجي ذكروا لنا انه كان امير ركب الحاج وكان صالحا خيرا
وسالنا الله تعالى بجاه هولاء السادات ان يمن علينا بخيرات الدنيا والاخرة
وان يختم لنا بالحسنى وينعمنا في المقر الاسنى بالدرجات الفاخرة
ودخلنا مدرسة ابي لبابة ومسجدها ولقينا بهما جماعة من الطلبة
وبناؤها في غاية الاتقان والفينا بقربه روضة اخرى ذكروا لنا
ان صاحبها يقال له سيدي عبد الله حجام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
لقب بذلك لانه طلب ذلك على رسول الله فبلغه الله امله ونيته ووصله
امنيته وكان له في ذلك سبب لم يكن لغيره وفاز بما لم يفز به احد من
خيره وهنالك قبة اخرى على ربوة لم نعرف اسم صاحبها فزرناها
بالنية في حصول كل امنية وسرنا حتى وصلنا روضة سيدي هريش
فزرناه وانحدرنا لواديه فالفينا عينه جاريه واستقينا منه
وسقينا البهايم الجاريه ونزلنا في الظهر حامة قابس واقمنا بها
يومين لمطر صير وجه الافق من شدة سحائبه عابس وورد علينا
فيها الفقيه الخير السيد نصر بن نصير الخفيفي بكتاب اسمه الدرر
الملتقط في المسائل المختلطه وهو كتاب حافل جامع لانواع الفقه
وختمه مولفه بمسائل تفسيرية وحديثية وجمع فيه من الفروع
الفقهية ما ليس في غيره وفي كل مسئلة يحكي اقوال الايمة الاربعة
وينقل كلامهم عليها ويتنوع في اختلاف المذاهب واختلاف
اهلها واقاويل اربابها ويجلب الاقوال الواردة على كل مذهب
وزرنا من امكنت زيارته من صالحيها كسيدي عسكر وسيدي بلقاسم
المدعو هبيلة الجروني وسيدي علي بن سالم وسيدي عمر الرجراجي وسيدي

محمد

محمد الغوث وسيدي محمد بن عبد الله البطمطي وسيدي عبيد وغيرهم
نفعنا الله تعالى بذلك وسلك بنا اوضح المسالك وجعلنا من
المحسوبين على اوليائه المتمسكين باسباب اصفيائه امين وظعنا
من الحامة يوم الاربعا الخامس والعشرين من رمضان فتركنا الطريق
ذات اليسار واعملنا الى ناحية اليمين التسيار وجلا من الوحل
الذي غادرته تلك السباخ الامطار حتى حال بين الطريق وبين
من له فيها اوطار واخذنا على طريق الشارب الذي لا يسوغ ماؤه
الشارب قيل انها سميت بطريق الشارب لان اكثرها متصل بالسبخة
كالشارب لها وربضنا في عقلة آبار هنالك تسمى برادع ذكروا ان
ماءها ليس للعطش برادع ولذلك لم يرد احد منه لاستغناء الناس
عنه وسرنا منها فربضنا ثانيا في موضع تسمى العويفلة بالتصغير
سميت بذلك لشجرات بها تتراءى للناظر كالقافلة السايرة وصلينا
بها الظهر والعصر وبتنا دون الزهانيات وظعنا يوم الخميس
فمررنا بالزهانيات صباحا وربضنا على الساقيه فصلينا بها
الظهرين وسقينا البهايم واستقينا من مياهها الساقيه وبتنا
بالمويلحة وظعنا يوم الجمعة فربضنا بالعرق وحثثنا السير فوصلنا
لسيدي بوهلال بعد الغروب ولم ينزل آخر الركب حتى غاب
الشفق وقاسى في الظلمة غاية الكروب وظعنا يوم السبت فزرناه
ومررنا في مداشره وقراه حتى وصلنا لقاعدة مدن الجريد واعظم
بلدانه وهي توزر قبل الظهر وخرج لملاقاة الركب جماعة من اعيانها
وفي وسطهم حاكمها فاحدق به العامة والخاصة واقمنا بها السبت
والاحد والاثنين وفي عشية ظهر هلال شوال فطلبوا منا اقامة
سنته على عادة الركب فاسعفناهم بذلك لما اشرنا اليه قبل واكد ذلك
انا كنا مقيمين ننتظر العلام ومن معه من الناس الذين ذهبوا من
قابس مع من توجه اليها ليوصلوهم للقيروان ورانا ايضا احتياج
الناس للموعظة ولا يمكن وعظهم في غير ذلك فصلينا وخطبنا لهم
خطبة حسنة مشتملة على التبشير والتحذير وغير ذلك مما يحتاج اليه

المامور والامير والجليل والحقير والصغير والكبير وتنوع الناس
ايضا على عادتهم فى انواع المطاعم وابدوا منها كل ناعم واوسعوا
كل حاضر بما لا يتيسر للحاضر وورد علينا ناس لا يحصون كثرة وفيهم
جماعة من اعيان الفقهاء والقضاة والنبلاء منهم مفتى تلك الارض
الفقيه الفاضل ابو العباس احمد بن عبيد وهو رجل فقيه يستحضر النصوص
الفقهية وله اخلاق حسنة يباشر بها الناس مع قيامه بامور الفتوى
هنالك ولم نكن لقيناه فى المرة الاولى ونحن مشرقون ومنهم الفقيه
القاضى الخير الناسك سيدى على بن عبد الملك قاضى توزر وامامها وخطيبها
لين الطبيعة سهلها مع الانصاف التام وقد مر ذكره ومنهم الفقيه
الدراك السيد رمضان المتقدم الذكر اورد علينا كتبا فى علم الكلام
يستشكل كلاما لبعض شراح الصغرى عند حدهم فيما يستحيل على الله تعالى
الموت فى كلام له مجمجمة بلا طحن ومن الغدا ورد الزرقانى على المختصر
يستشكل اشكالات له غير مانعة ويبدى فيها ابحاثا ظاهرة فجلنا معه
فى جميع ذلك واتضحت له بحمد الله تعالى وجوه تلك المسالك واخذ
يتكلم فى مسايل نحوية وحديثية ونحن نجاريه فيما هنالك وزرنا من
امكنت زيارته من صالحيها وارتحلنا منها يوم الخميس ثالث شوال فربضنا
بالحامة التوزرية فى احسن الاحوال واستقى الناس ما يكفيهم فى القرب
وقضوا من الاستراحة غاية الارب ومنها ربضنا ثانيا بالموضع
المعروف بالمخرق والفينا ماء غدرانه فى جميع نواحيه قد تخرق وفيه
من الكلأ والربيع للمراعى ما فيه غنية السائم والراعى فتنعمنا تلك
الغدران المغنية عن الانهار وتمرغت البهايم على هاتيك البسط المبسوطة
من الوان الازهار وتجاوزنا الشبيكة وبتنا وظعنا يوم الجمعة الرابع
فتجاوزنا تمغزا وربضنا بين ما حوالها من المرابع فى خصابة ظفرت
البهايم منها بالصبابة ثم ربضنا ثانيا فى ارض ذات ربا واحجار عارية
من الاشجار وبتنا بوادى غيران واستقى الناس ما يكفيهم منه ومما
حوله من الغدران وظعنا يوم السبت الخامس فربضنا بوادى الطرفا وسمى
وادى فرشكاون والفينا به من الماء الغزير والخصب الكثير ما فيه غنية وفى

جوانبه من اشجار الطرفا العظام ما يحيى رفات العظام ويحد النفس
للاستظلال به غاية المنية ومنه ربضنا بالفيضات وهى اسم المجارى
المياه بين تلك الجبال والرمال اذا تعددت من الامطار الفيضات
وبتنا امام وادى العظام بين هاتيك الكثبان العظام وظعنا يوم
الاحد السادس فربضنا بالزريبة الاولى المعروفة بزريبة حامد الجامعة
بين المعايب والمحامد وتلقانا اهلها بالتمر والشعير واللبن وغير
ذلك ووقعت بينهم وبين الحجاج سوق عظيمة هنالك والفينا الوادى
الذى بازائها مملوا بمياه الامطار وبين سواقيه حصايد عظيمة للبهايم
فيها غاية الاوطار فكملت فيها الراحة ووجد الخبير فيها من الماء والمرعى
ما لذ له وراحه وهنالك لقينا اخبار الرقاص الوارد من المغرب وانه
ببسكرة او دونها بالقرب ومنها نزلنا بزريبة الوادى بين الظهرين
والفينا الرقاقيص بها فبتنا فيها لنذهب ما اثرته الوحشة فى القلوب من
الرين ولما اذن المنادى للصلاة الواجب وكملت لدى الرقاقيص المواجب
اخذوا فى تفريق الرسايل على اربابها وادخال السرور ونفى الشرور عن
البابها وحاصل ما تضمنته تلك الرسايل وكان فى جلها من اعظم الوسايل
هو ان السلطان ابا العباس احمد الذهبى الذى كان تولى الملك بعد والده
تداخل بطريف الملك وتالده ولم يصلح للانتظام فى ذلك السلك
ولم يحسن نظر فى المملكة ولا فى الملك بل اشتغل بما لا يناسب ذلك من
اللعب واللهو والتفنن فى الخلاعة مع النساء والولدان تكميلا للزهو الى
غير ذلك مما يجب عنه الاعراض اذ لم تتعلق لنا به اغراض وانه لم يقم بذلك
ولم يحسن سلوك تلك المسالك خلعوه وقدموا اخاه ابا مروان عبد
المالك لما توسموا فيه من الصلاحية لما هنالك وورد علينا كتاب حافل
من محبنا الاود الفقيه الاديب ابى العباس احمد البكورى صدره بقوله

لما وضعت صحيفتى	فى بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها	يمناك عند وصولها

وورد علينا كتاب من اخينا الانجب الحاج طاهر يخبرنا بكل امر ظاهر
وان الاهل ولله الحمد فى عافية تامة ونعمة عامة فسررنا بذلك وكان ذلك

اليوم لنا كالعيد هنالك ثم قامت سوق عظيمة بين اهل زريبة الوادى
وبين الحجاج وجاؤهم بكل ما يحتاج اليه من سمن ولبن وفواكه وغنم ودجاج
وبتنا فى ليلة حضرت سرورها ونفرت شرورها وتمت نعمها وعمت
نعمها وظعنا منها يوم الاثنين السابع فاصبحنا على غدران ومرابع
فاستقى الماء من احتاج اليه واعرض عنه من لم يتوقف عليه وظللنا نستظل
باشجار الوادى المسمى وادى المنصف والفينا بقربه آبارا مملوة بمياه
الامطار فقضينا منها بعض الاوطار وجدنا بها الطهاره وتجاوزناها
وصلينا الظهر فى فلاة من الارض ووصلنا الى وادى الناموس ويسمى راس
العيون مع مغيب الشمس رغبة فى الماء وبتنا بين تلك البهماء وورد علينا
من الاعراب ما ملا البهما وظعنا يوم الثلاثا الثامن فوصلنا لسيدى
عقبة ضحى وطلب اعرابه من الشيخ النزول لديهم ليتسوقوا منهم ما بين يديهم
فاجابوهم بعدا للتيا الى ذلك ونزلوا اجل ذلك اليوم هنالك وكانت
سوق عظيمة مملوة بالتمر والسمن والشعير وغير ذلك من الحيوانات ولا
سيما جنس البعير وتوجهنا لزيارة سيدنا عقبة نفعنا الله به ودخلنا
روضته المباركه والفيناعليها بناء متقنا ليست فيه بمشاركه وحواليها
مسجد ومدرسة وابنية لا باس بها وفى بابه بير حسنة كثيرة على ملوحة
وسالنا الله تعالى بجاهه لنا ولاحبابنا واهلينا وعامة المسلمين وخاصتهم
بما نرجوا الله قبوله وصلينا الظهر وحثثنا السير من سيدى عقبة فصلينا
العصر بواد قرب بسكرة ووصلنا بسكرة عشية واقمنا بها الاربعاء
والخميس وكانت فيها سوق عظيمة بانواع النفاق تميس وامتلات
بالبغال والابل والشعير والسمن والتمر والدقيق والقمح واللحم والغنم
وغير ذلك من انواع السلع والزرابى وظعنا منها يوم الجمعة الحادى عشر
فربضنا والابعين وماش واستقى الناس من مائها وسقوا البهايم ومنها
ربضنا بوادى الزاب فى ازريات مداشره فصلى كل فريق مع معاشره
وتلقانا اهل الزاب كبارا وصغارا بانواع التمر وانواع الفواكه من تفاح
ومشمش وغير ذلك ووردوا علينا بما لا يحصى من الزرابى التى على شكل
زرابى بسكرة وغير ذلك ومن ذلك الوادى مررنا بضريح سيدى عبد الرحمن

الاخضر

الاخضرى الامام العلامة المشهور الجامع بين علمى الظاهر والباطن له كرامات
ماثورة وتآليف مشهوره كالسلم فى المنطق الذى اشتهر فى اقطار الارض
شرقا وغربا وكثر الانتفاع به وكالمنظومة التى له فى السلوك تشابه المباحث
الاصلية رائقة النظم فائقة الحسن حلوة مسلسلة وله مقدمة فى الفقه
مشهورة فى تلك الارض وله الجوهرة فى البيان وغير ذلك وبيتهم بيت
علم وصلاح وهو الذى اظهر القبر المعروف لسيدى خالد بن سنان فى بلاد
الزاب المتقدم الذكر ولما قربنا من قبر الشيخ عبد الرحمن وقابلناه اقبلنا
عليه بنية الزيارة والتبرك وتجاوزناه وبتنا بارض معدان على غير ماء
ولا غدران وارتحلنا يوم السبت الثانى عشر فاصبحنا بنخيل اولاد جلال
واخبرنا هنالك بان اعراب سيدى خالد عزموا على اخذ الركب بين تلك
التلال فاخذ الناس حذرهم من ذلك وتهيأوا لاقتحام المهالك وتفرقوا
على نواحى الركب يحمونه من كل كثب وعزموا على عدم الجواز على اعراب
سيدى خالد فرارا من القتال امام ذلك الامام العظيم القدر ورغبة عن
ان يتصف جوار ذلك الرسول بالغدر فتلقانا جماعة منهم وحكموا
بتكذيب جميع ما نقل عنهم واظهروا ان لهم فى الركب محبة ووداد
وانهم لا يزيدون منه الا بركة وامدادا فكيف يضمرون له ضيرا ويرجون
من ضرره خيرا فصدقناهم فى ذلك وتوجهنا معهم لهنالك وبتنا
بوادى سيدى خالد الذى جمع كل مجد طارف وتالد وتوجهنا لمشهده
الحفيل المشيد بين ذلك النخيل وسالنا الله بجاهه خيرات الدنيا
والاخره والكرع من فيض بحر فضله الزاخره وكانت لاعرابه مع الحجاج
سوق قامت لها البيوعات على سوق وامتلات بالشعير والتمر والسمن واللبن
والتفاح وغير ذلك مما يجلبه الركب لسوقه ويسوق ومات لنا هنالك رجل
من الحذاسين شاة الوادى وارتحلنا يوم الاحد الثالث عشر آخذين ايضا
الحذر فصلينا الظهر بوادى صياد وبتنا قرب التوميات وظعنا يوم الاثنين
الرابع عشر فاصبحنا بالتوميات وهما ربوتان عظيمتان شبهتا بالتوام الذى
يولد مع اخيه فى بطن واحد لتقاربهما وتقارنهما ثم عبر عنهما بالجمع
لكثرة رملهما او لعظمهما او غير ذلك كما مر ايماء اليه وربضنا فى جرف الاحمر

تحت ظلال شجرة الاسود فوق تربة الاحمر ومنه وصلنا عبد المجيد بعد
العصر بعد معاناة ما شاء الله من العنا والاصر فاخذ الناس
يسقون البهايم ويستقون قرب كل هايم وجلسنا فيه للاستراحه
وملانا بزيارة روضة الشيخ الشارف بن حرز الله نفعنا الله به الراحه
وآذنت الشمس بالمغرب وادينا حوله صلاة المغرب وسرنا حتى خلفنا
اوعاره كلها وتحملنا في تلك الظلمة ثقلها وكلها ونزلنا بعد
مغيب الشفق ولم ينزل اخر الركب حتى مضى نحو ثلث الليل وظعنا
يوم الثلاثاء الخامس عشر من شوال فمررنا صباحا بوادي عموره ه
وربضنا بوادي المأصل وهو واد نواحيه باشجار البطم العظيمة معموره
وصلينا الظهر بعين البرج وكان لسقي البهايم فيها صياح وهرج
وصلينا فيها الظهر وسرنا الى وادي دمت ويقال له وادي الطرفاء
فصلينا العصر وبتنا في دمت وجاء اعرابه للركب بالسمن الكثير واللبن
والغنم فكان ذلك بابخس ثمن وارتحلنا منه يوم الاربعاء السادس عشر
فمررنا صباحا بوادي الطرفاء كما هو الجاري على السنة الحجاج مع الذي قبله
لكثرة ما فيهما من اشجار الطرفاء ولا سيما هذا الثاني فقد عظمت فيه
اشجار الطرفاء جدا وتجاوزت في العظم حدا وقد سالت بعض اعراب
تلك الارض فسموه لي بوادي الحميضا وربضنا باشجار عظيمة من البطم
ذكر لي الخبير انها تسمى الجنان ومنه اتينا وادي البغ وصعدنا منه وبتنا
في ارض يسميها اهل البلاد المتسعة وارتحلنا يوم الخميس السابع عشر
فربضنا باشجار عظام من البطم قرب الاغواط سميت لنا ارضها الدخلة
واتينا الاغواط ظهرا فتوضانا بواديها وصلينا امام ناديها وتلاقينا
فيها بصاحبنا السيد اسمعيل ووالده الشيخ عبد الرحمن اللذين كنا لقيناهما
اولا ونحن مشرقون وورد علينا الفقيه المسن الخير ابو العباس احمد بن
ابي زيان الاغواطي وسالنا عن امور حديثية ومسايل طبية فتكلمنا معه
في ذلك واوضحنا له ما رامه من تلك المسالك ثم ربضنا لصلاة العصر
بموضع سماه لنا اهل البلد حمده فصليناه فيها واكثرنا شكر الله تعالى وحمده
ومنه اتينا الوادي المعروف على السنة الحجاج بوادي تجموت واما اهل البلد

فمموه

فسموه لنا بوادي مزي فسقينا منه واستقينا ما لا غنى لنا عنه وتجاو زناه
وبتنا بموضع قبالة قرية تجموت المتقدمة الذكر في موضع سماه لنا اهل
البلد ذراع الخزوف وورد اهلها على الركب بما شاء من سمن وبعير وخروف
وظعنا يوم الجمعة الثامن عشر فوصلنا عين ماضي ظهرا فنزلناها واتانا
اهلها بالغنم والسمن والتمر والشعير وغير ذلك وقامت سوق عظيمة
هنالك وارتحلنا منها يوم السبت التاسع عشر فربضنا الراضين تحت
اشجار من البطم عظام لها اظلال وارفات تحيي بلطافة نسيمها رفات
العظام وبتنا في فم وادي الاشبور المتقدم الذكر وارتحلنا يوم الاحد
الموفي عشرين من شوال فعبرنا وادي الاشبور ازيد من عشرين مرة على
التوال وقد سبق انه ممتد بين جبال من الملح ولما وصلنا راس العيون
التي مبداه منها وهي التي يعذب عند انفصاله عنها ربضنا تحت اشجار
عظيمة من الطرفاء هنالك وسقينا البهايم واستقينا القرب والمزادات
وغير ذلك وبتنا قرب عين النخيل او المخيلي على ما مر وارتحلنا يوم الاثنين
الحادي والعشرين فربضنا في النخيل تحت اشجار من التين عظام وسقى
الناس منه الدواب واستقى للشرب كل ظام وصلينا العصر في واد
هنالك ثم مررنا بعد وادي الطرفا بعد ذلك وبتنا بقصعات
المشرية وارتحلنا يوم الثلاثاء الثاني والعشرين فاصبحنا ضحى بالمشرية
وقامت فيها سوق عظيمة بانواع البيوع والاشرية وزرنا بها ضريح
الشيخ عبد الرزاق والشيخ محمد بومنيدونه وسالنا الله بحق ذلك المشهد
ولم نقض الامل دونه ومنها ربضنا بعين الحجر التي ينبع ماؤها
المعين وانفجر ودخلنا ارض الظهره التي اثقلت من كل مسافر لها ظهره
فبتنا في اولها قرب قصيعات الظهرة في موضع سماه لنا اهل البلد الصفا
ابرهيم واصابنا فيها من الامطار ما ترك كل واحد من الحجاج في واديه يهيم
واستمر الى ان خرجنا من مهمه الظهره وهو يبل من كل واحد بطنه وظهره
وذلك لان الحجاج الصعاليك لما زاروا سيدي عقبة سالوا الله تعالى
ان يمطرهم في فيفاء الظهرة مطرا غزيرا لما يعتادونه فيها من شدة الحر
التي لا تتقى من عبد ولا حر فيموت الا توفى الناس بذلك واذا سلموا

من الموت لحقهم من العطش اشد المعاطب واكثر المهالك وارتحلنا
يوم الاربعا الثالث والعشرين في فطر وابل لا يترك من الطرقات
الا الواضح السابل فبتنا على غدير ماء قرب دار فريجات وارتحلنا يوم
الخميس الرابع والعشرين فربضنا بعد مجاوزة دار فريجات بموضع
تسمى القرعه ووصلنا العين الحسينى بعد العصر فبتنا بها لنتوسع
في السقى والاستقاء بلا عصر وارتحلنا يوم الجمعة الخامس والعشرين
من شوال فربضنا اولا بالجنين بالتصغير وهو شجر من البطم عظيم
مستدير ومررنا بعده باشجار اخرى عظيمة متتابعة تعرف بالجنان
بالتكبير وتجاوزناه في فطر غزير وبتنا عند منقطع جبل عنتر وارتحلنا
منه يوم السبت السادس والعشرين في فطر غزير فربضنا في ربوة
مشرفين على غدير ثم ربضنا ثانيا في ابى الصنوبر ووصلنا الظهر حول
احسائه السهلة الصنوبر وتجاوزناه بكثير في فطر غزير وبتنا على
غدير ماء في فلاة بهماء وظعنا يوم الاحد السابع والعشرين فمررنا بغدير
مملوء بالماء النمير وربضنا في عقلة آبار تعرف بالعقلة الحمراء بين
هاتيك الصحراء وجددنا الطهارة بآبار السلطان ومررنا بسباخ
عظيمة ومنها ارتفعنا لربوة حمراء بين تلك الغيطان فصلينا بها الظهر
وبقينا بها نستريح حتى صلينا العصر وسرنا حتى آذنت الشمس بالغروب
وبتنا بالمنقوب وارتحلنا يوم الاثنين الثامن والعشرين فربضنا
حول شجرات الغراب لاستعمال ما خف من الطعام والشراب ثم مررنا
ببطمة المهزولة وربضنا ثانيا بوادى الشارف وهو راس وادى ابن
مُطهر وفيه لقينا اعرابا لا تحصر وبقينا بالكدية المعروفة بتسكينت
مشرفين على المريجات وارتحلنا فتركنا المريجات يمينا ومررنا بالطرارير
وربضنا على عيون الشيخ على بن مسالح رضي الله عنه وهناك وردت
علينا اخبار الغرب واهله وبقينا بها حتى صلينا الظهر والعصر وسرنا
فبتنا بمويه الطير بعد مجاوزة فم بلنوز وارتحلنا يوم الاربعا الموفى
ثلاثين من شوال فدخلنا تفراطة وربضنا بفم الوادى المنسوب لابى دوا
ومنه ربضنا بغويبة البطم التى بتفراطة المسماة رقبة الغويبة وهناك

لقينا

لقينا بعض الملاقين ووردت علينا رسائل من اصحابنا تهنينا بما اعطونا
من ودق الحج والزيارة غمائم سحابنا وتاملنا تلك الرسائل البديعه التى
حازت حسن الخطاب وبديعه واستغنينا عن الاستراحة بما وجدناه
في اخبار الاحباب من الراحه وتركنا الشريعة يمينا بوادى البطم ووصلنا
وادى ملوية الذى لم نر لحياة جدا وله على تلك الروابى ملتوية فنزلنا
بقصد المبيت هنالك ووردت علينا من انواع الملاقاة المغربية
والاطعمة الفاخرة الملونة ما يقف الوصف دون ذلك وظعنا يوم
الخميس مهل القعدة فربضنا بالموضع المسمى بذراع تدارت ومنه ربضنا
بوادى القطف حول غدران من المياه في اوائله وبتنا في اواخره امنين
من غوائله وظعنا يوم الجمعة الثاني من القعدة فاصبحنا بتازا ضحى
وبقينا بها حتى صلينا الجمعة وكان الركب تقدم امامنا فلحقناه وبتنا
بوسط عقبة بنى مجاره وقد اوسع كل واحد من اطعمة الملاقاة جاره
وظعنا يوم السبت الثالث فربضنا بعدما عبرنا الوادى ثم ربضنا
بالزبيرق ثانيا ومررنا ببوحلوا وبتنا بقصبة الثور منجدين بنجدها على
الغور وهناك تلقانا محبنا وصفي ودنا الفقيه النبيه الاديب النزيه
ابو زيد سيدى عبد الرحمن بن سيدى محمد بن شيخ شيوخنا الامام الاكبر
ابى على الحسن اليوسى رضي الله عنهم بالدقيق والدجاج وما كول التين وغير
ذلك كثر الله خيره ووقاه ضيره واصلحه في الباطن والظاهر وابقى
عرضه النقى الطاهر وظعنا يوم الاحد الرابع فمررنا ببورملان والفينا
بعيون الطين ما رق من الاطعمة ودان وربضنا فيها حتى صلينا
الظهر والعصر وورد علينا اخونا طاهر بما فيه غنية في العصر وبعضهم
يسمى هذه العين عين حنان وعين ردادة وسرنا منها فبتنا بالبير
قرب عنق الجمل وظعنا يوم الاثنين الخامس من الشهر فاصبحنا بقنطرة
وادى سبو وتعرض لنا فيها من اصحابنا كل عالم شهير وظللنا هنالك
نتنعم في المطاعم والمشارب ونتجاذب من اطراف الاحاديث ما فيه
غنية الشارب ونتوسع في غير ذلك وجاءنا سيدى عبد الرحمن اليوسى المذكور
من انواع الاطعمة فيها بما لا يزال عليه نفس المحمود المشكور وكذلك رفيقنا

شيخ الاسلام ابو محمد عبد السلام فقد وافا بطعام يكفي حامله
ما يقرب من العام ودخلنا لفاس الطيبة الانفاس امنها الله من كل
باس صبيحة الثلاثاء السادس من القعدة الحرام وتوجهنا للحرم
الادريسي ننهي اليه الاجلال والاكرام وبجعله اول ما القينا به عصا
التسيار وحمدنا الله تعالى على السلامة من غوائل الاسفار واكثرنا من
الحمد والشكر والثناء والاستغفار وطلبنا المغفرة لنا ولجميع المسلمين
من الملك الغفار وسالنا الله العافية التامة في هذه الدار وفي تلك الدار
وان يختم لنا بالحسنى بجاه نبينا محمد الذي هو القطب الذي عليه المدار
ختم الله بالصالحات اعمالنا وبلغنا من خيرات الدنيا والاخرة امالنا
بمنه وفضله وكرمه وطوله امين يارب العالمين سبحانك
اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك
اللهم صل على سيدنا محمد واله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دائما
م





